"الاشارات الى بعض الحقائق والعبارات"

محمد البشير بن عثمان

كدونا --نيجيريا

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ويمكن الاتصال به عبر:

bashirsenior@yahoo.com,muhammadmb

2026@gmai.com

07055341872

07032259251

09071094452

تنبيه: هذا الكتاب مطبوع ولكن نسخته المطبوعة تحمل فوائد غير موجودة فى التى أمامنا –ألا وهي تعليقات قيمة دقيقة على هوامش بعض الصفحات وتحت النقاط المهمة.فننصح القارئ للحصول على المطبوع وهو متوفر لدينا بفضل الله العظيم—لتمام الفائدة.

نفعنا الله تعالى واياكم أجمعين بما فيه.إنه على كل شيء قدير.وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى وعلى أله وصحبه وسلم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد الله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا.والصلاة والسلام على الرسول الأعظم والنبى الأكرم سيدنا ومولانا وقدوتنا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المجاهدين وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، لما كان أعظم فرق الإسلام اليوم وأكثرها أتباعا وأشهرها هذه الثلاثة-الشيعة والصوفية والسلفية الوهابية- أفردنا هذا الجزء الصغير المتواضع لمناقشة بعض المسائل المتعرضة للحوار بين منتحليها عبر العصور. فببساطة نقول: إن لكل من هذه الثلاثة عقائد وآراء قد تنفرد بها عن غيرها نفيًا وإثباتًا حسب ما توفر لديها وما

تعتمد عليه من الأدلة – دع ما تتفق عليه فلا يهمَنا-، وقد يضلّل ويبدَع على الأقل بعض هذه الفرق من يخالفها فى آرائها زعما منها أن الحق معها دون المخالف.

فرأينا الحاجة إلى عرض شئ من تلك المسائل وتوضيح غوامضها بالقدر المستطاع وبالأدلة الكافية بحول الله تعالى وفضله.

واعلم أنه ثمة أفكارا وقضايا صحيحة الأصل ولكن أفسدها الغلاة إما بغلوهم فيها وإما بالفهم الخاطئ فأوجب ذلك إنكارها وردها من قبل المعارضين على أصحابها. مثال ذلك هو مسألة وحدة الوجود الآتية عند مقارنة ابن

تيمية عربى وابن تيمية وعند التوضيح لحقائق فى مذهب الصوفية.

أفردنا ما لا يقل عن عشرين مسألة وتحت كل منها فروع مناسبة .سنذكر ما اشتهر عنها ونحققه ثم نناقش موقف مثبتها ممن ينفيها وبالعكس بالإنصاف العلمي وإن رأى القارئ ذلك نوع تذبذب. وغرضنا فى هذا الجزء المسمى بـ "الإشارات إلى بعض الحقائق والعبارات" ليس إلا نصرة الحق والحصول على مرضاة الله تعالى عن طريق خدمة دين رسوله صلى الله عله وسلم. نرجو انشراح صدر القارئ لقبول الحق والعمل به ونرغب فى دعاءه لنا بالخير والبركة، كما نسأل الله تعالى التوفيق لنا جميعا

لسعادة الدارين، والمغفرة لآبائنا وأمهاتنا ولجميع من سبقنا بالإيمان من المسلمين.

وكان الفراغ من هذه المقدمة يوم السبت ٩./٣./١٤٣٥ هجريا الموافق 11/01/2014 ميلاديا. (اللهم صلى وسلم على من أرسلته رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين).

أولية النور المحمدى

تمهيد:

هذا موضوع كثر النزاع حوله ليس بين الصوفية والسلفية الوهابية فحسب، بل بين المنتحلين لنفس مذهب الصوفية. أما الوهابية فتتهم بسببه الصوفية بالغلو فى خير خلق الله تعالى على الإطلاق سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الكرام – نسأل الله السلامة.

وأذكر أن أول علمي بهذا الموضوع أن أختا صوفية الإنتساب حكت لي منذ أربع سنوات أو خمس مضت ما حدث بينها وبين الطلاب فى مدرسة وهابية وكان كالتالي: أن المدرَس طرح عليها سؤال صورته: "ما هو أول الخلق عند الله؟ فأجابت" أول الخلق هو النبي محمد صلى الله

عليه وسلم، فضحك عليها الطلاب والمعلم جميعا. وقالوا: بل أول ما خلق الله القلم.

هذه الحكاية – كالعادة – أثارت رغبتى فى الحصول على الحقيقة. وقد كنت زمن السؤال – سؤال الأخت الكريمة – رجعت من الجامعة للعطلة الأكاديمية فما أن انقضت مدة العطلة حتى عدت للدراسة المعهودة وحضرت مجلس شيخنا المرحوم المحدث الصوفى إبراهيم بن شعيب نورالله مرقده – مجلسه لتعليم الحديث النبوي الشريف واستفتيته فأجابنى قائلا ما ملخصه: "حديث أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر صحيح أخرجه الإمام عبد الرزاق فى الجزء المفقود من المصنف، وقد كان بعض العلماء حكموا بوضعه لعدم وجوده فى الكتاب

حتى وجده بعضهم فى الهند ورأوا أن إسناده صحيح..."انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى.

و هذا الجزء المفقود قديما عثرنا عليه الآن وصورنا منهن نسختنا الخاصة, فلله الحمد والمنة.

وكما قلنا فى المقدمة، هناك أفكار صحيحة وثابتة بالأدلة صيرها غلو أصحابها أو قوم منهم عرضة الإنكار والرفض الكلى.

ومن هذا النوع موضوع أولية النور المحمدى. وقد زاد الطين بلة فقدان الجزء الذى فيه هذا الحديث لفترة طويلة مما أدى بعض الحفاظ المحققين إلى الجزم – خطئًا – بوضعه على رسول الله ﷺ.

ثبوت النور المحمدى فى القرآن الكريم

قال أبو عبدالله القرطبى تحت قوله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، المائدة: 15)

قد جاءكم من الله نور أي ضياء، قيل: الإسلام. وقيل: محمد عليه السلام، عن الزجاج. (وكتاب مبين) أي القرآن ,فإنه يبين الأحكام ,وقد تقدم انتهى المراد.راجع (١١٨/٦) من الجامع لأحكام القرآن.ونحوه فى معالم التنزيل للبغوى (٣٣/٣) وعند الشوكانى فى فتح القدير (٢٨٥/٢-٢٨٦) وكذا فى البحر المحيط (٢٠٨/٤) بزيادة يسيرة.

وقال العلامة على بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري فى "الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة" (ص ٣٨٥- ٣٨٧، طبعة المكتب الإسلامى) ما نصه:

وأما نوره ﷺ فهو فى غاية من الظهور شرقا وغربا، **وأول ما خلق الله نوره**، وسماه فى كتابه نورا، وفى دعائه ﷺ (اللهم اجعلنى نورا، وفى التنزيل (يريدون أن يطفئوا نورالله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره) وقال الله تعالى (الله نور السموت والأرض مثل نوره) فى قلب محمد ﷺ. وقال عز وجل (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور).

لكن هذا النور ليس له ظهور إلا فى أعين أهل البصيرة (فإ نها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور). انتهى بحروفه.

دليل من نفى حديث جابر

قلنا إن طائفة من الحفاظ حكموا بوضع هذا الحديث لعدم وقوفهم عليه فى كتاب المصنف – ومنهم الجلال السيوطى الذى قال فى "الحاوى" ليس له إسناد يعتمد عليه، و آخر رأى الإسناد وادعى تركيبه كالحافظ المغربي أحمد الغماري فى المغير" وشقيقه عبدالله فى "مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر". وقد ألف تلميذه الشيخ حسن السقاف رسالة بعنوان "إرشاد الحائر إلى وضع حديث جابر" أيضا يجزم فيها بوضعه.

أما المحدّث الحبشى الشيخ عبدالله الهرري فهو --إضافة إلى عدم عثوره عليه فى المصدر الأصلى-- يرى أن فيه

من ركاكة المعنى وغلو الإعتقاد فى الرسول ﷺ ما يقتضى الحكم ببطلانه.

حجة من أثبت حديث جابر

فنقول لمن تمسك بقول الحفاظ السابقين وغيرهم ممن أنكر الحديث: إن عدم وقوف هؤلاء المحدثين عليه فى كتاب المصنف لا يكون دليلا لرده فى حين وجوده فيه لغيرهم بعد ذهابهم رحمهم الله تعالى، لأن من عرف حجة على من لم يعرف. فهم بذلوا الجهود فى طلبه والبحث عنه ولسوء الحظ لم يكن التوفيق حليفهم,فلم يسعهم سوى التصريح بذلك.

وعلى الرغم من تخطئة بعض العلماء لهم فى الحكم بالوضع على ما لم يطلعوا على إسناده بدلا من التوقف

والتثبت فإن ما فعلوه من رد الحديث بهذ السبب ليس إلا شاهد قوي على إنصافهم وعدم تعصبهم. ولا ندرى هل يدع المتمسك بقولهم فى هذا الحديث بعد هذا رميهم بالأباطيل فى مواضع أخرى أو يأخذ بأحكامهم وفتاويهم فى أمور أثبتوها وهو مصر على إنكارها.هذا فيما يتعلق بثبوت سنده.

أما بالنسبة لنكارة متنه أو غلو بعض الناس فى المقام النبوى بسببه فقد أجابوا عن ذلك بأجوبة كافية وسوف نذكر شيئا منها هنا خوفا وفرارا من الإطالة.

أخطأ البعض فى حقيقة النور المحمدى

رفض ثلة من المحققين فكرة النور المحمدى منهم الشيخ المحدث العلامة عبد الله الحبشي الهرري لما ذكرنا من

غلو بعض الجهلة فى مفهومها .ومن الطبيعى أن يستغلّ ذلك المتنطعون ويتخذوه ذريعة إلى تبديع-إن لم يكن تكفير-المثبتين لها.ونحن نقول:إن الغلو لم تنج منه فرقة من فرق الإسلام عبر الدهور وإن اختلف قدره وشكله بين مجموعها.وستأتى الأمثلة على ذلك فى هذا الكتاب بمشيئة الله.

ثم عادة الله تعالى فى تقييض المجاهدين والناصرين للحق حتى يتم نوره ولو كره المجرمون.فلم تخل الساحة من علماء مبارزين يفصلون بين الحق والباطل ويميزون الصحيح من السقيم (ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم).

ومن ثم قال العلامة المحدث الهندى عبد الحى اللكنوي فى "الآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة" ص ٣١-٣٢:

"ومنها ما يذكرونه فى ذكر المولد النبوى أن نور محمد ﷺ خلق من نور الله، بمعنى أن ذاته المقدسة صارت مادة لذاته المنورة أو أنه تعالى أخذ قبضة من نوره فخلق منه نوره، وهذا سفسطة من القول، فإن ذات ربنا – تبارك وتعالى – تتعالى من أن تكون مادة لغيره، وأخذ قبضة نوره ليس معناه أنه قطع منه جزءا فجعله نور نبيه,فإن (فإنه) مستلزم للتجزى وغير ذلك مما يتبعه فى ذاته تعالى الله عنه.

والذى أوقعهم فى هذه الورطة الظلماء هو الظاهر رواية عبد الرزاق فى مصنفه عن جابر قال قلت: يا رسول الله ﷺ! بأبي أنت وأمى أخبرنى عن أول شئ خلقه الله قبل الأشياء، فقال : ياجابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء، ولا أرض ولا شمس ولا قمرا ولا جني ولا إنسيّ، الحديث المذكور بتمامه فى المواهب اللدنية وغيره.

وقد أخطأوا في فهم المراد النبوى، ولم يعلموا أن الإضافة فى قوله من نوره كالإضافة فى قوله تعالى فى قصة خلق آدم (ونفخت فيه من روحى) وكقوله فى قصة سيدنا

عيسي: (وروح منه) وكقولهم بيت الله الكعبة والمساجد، وقولهم روح الله لعيسى وغير ذلك.

قال الزرقانى فى "شرح مواهب اللدنية"، قوله :من نوره، إضافة تشريف، وإشعار بأنه خلق عجيب، وأنه له شأنا له منسبة ما إلى الحضرة الربوبية على حد قوله تعالى (ونفخ فيه من روحه) وهى بيانية، أى من نور هو ذاته، لا بمعى أنه مادة خلق نوره، بل بمعنى تعلق الإرادة به بلا واسطة شئ فى وجوده – انتهى-.

تنبيه:

قد ثبت من رواية عبد الرزاق أولية النور المحمدى خلقا، وسبقته على المخلوق سبقا، وقد اشتهر بين القصاص

حديث: أول ما خلق الله نورى، وهو حديث لم يثبت بهذا المعنى، وإن ورد غيره موافقا له فى المعنى .انتهى.

تتمّة:

ذكر الشيخ عبدالله الهرري إشكالات فى "صريح البيان فى الرد على من خالف القرآن" (١٢٨- ١٣٤) حول الحديث ومن تأمل ما قلناه فى النقل السابق رأى أننا قد أجبنا عنها بما يشفى العليل ويروي الغليل فى الموضوع وبشكل كامل.

وعلى فرض بقية شئ نلخص نقدنا له كالتالي:

١- قوله إن الحديث يعارض الأحاديث التى فيها أن الماء والعرش هما أول المخلوقات منقوض بأن أولية النور

المحمدى إضافية أو مطلقة وأولية غيره من المخلوقات نسبية كما قال العلماء.

٢- استدلاله بقول السيوطى "ليس له إسناد يعتمد عليه" وبقول الحافظ عبد الله الغمارى أنه " لا يوجد فى مصنفه (أي الإمام عبد الرزاق) ولا جامعه ولا تفسيره" مردود بأن غيرهما وقف عليه فى الجزء المفقود من الكتاب ووجد إسناده صحيحا.

٣ --دعوى ركاكة لفظه كما حكاها عن الحافظ أحمد الغماري وأيدها لا تضر الحديث لأن المعلوم رد الخبر بركاكة المتن أو نكارة المعنى إذا كان مرويا بلفظه؛ أما المروي بالمعنى فلا, إذ يبعد أن يؤديه الراوي بألفاظ ركيكة ومعان منكرة.

(٤)-- رده تأويل العلامة ابن حجر الهيتمى بأن أولية القلم فى حديث" أول ما خلق الله القلم "نسبية وأولية النور المحمدى مطلقة" وقوله بأن ابن حجر لم يكن حافظا خبيرا بالتصحيح والتضعيف وأن الحديث الضعيف إذا خالف الثابت لا حاجة إلى تأويله خطأ أيضا.

لماذا؟ لأن ابن حجر الهيتمى وإن لم يكن حافظا فقد أثبت الحديث جماعة من المحدثين بما فيهم العلامة الحافظ عبد الحي اللكنوي فتعينت الحاجة إلى تأويله.

٥-- رده الحديث من أجل غلو البعض فيه وسوء فهمهم لمغزاه مما أجاب عنه العلماء، وقد تقدم كلام العلامة اللكنوي فى ذلك. فالحمد لله تعالى.

نص الحديث من الجزء المفقود (ص ٦٣ – ٦٦)

٨١-عبد الرزاق عن معمر عن ابن المنكدر عن جابر قال: "سألت رسول الله ﷺ عن أول شئ خلقه الله تعالى؟ فقال: هو نور نبيك يا جابر خلقه الله، ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كل شئ، وحين خلقه أقامه قدامه من مقام القرب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام فخلق العرش/والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم, وأقام القسم الرابع فى مقام الحب اثني عشر ألف،ثم جعله أربعة أقسام فخلق القلم من قسم, واللوح من قسم، والجنة من قسم، ثم أقام القسم الرابع فى مقام الخوف اثني عشر ألف سنة [فـ]جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء

والشمس من جزء،والقمر والكواكب من جزء, وأقام الجزء الرابع فى مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة,ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والعلم والحكمة والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع فى مقام الحياء اثني عشر ألف سنة ثم نظرالله عز وجل إليه فترشح النور عرقا فقطر منه مائة ألف وأربعة.[وعشرون ألف وأربعة آلاف] قطرة من نور، فخلق الله من كل قطرة روح نبى، أو روح رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم الأولياء والشهداء والسعداء والمطيعين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي/من نورى/ والكروبيون من نوري والروحانيون والملائكة من نوري والجنة

وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والتوفيق من نوري، وأرواح الرسل والأنبياء من نوري، والشهداء و السعداء والصالحون من نتاج نوري، ثم خلق الله اثني عشر ألف حجاب فأقام الله نوري وهو الجزء الرابع فى كل حجاب ألف سنة، وهى مقامات العبودية والسكينة والصبر والصدق واليقين، فخمس الله ذلك النور فى كل حجاب ألف سنة فلما أخرج الله النور من الحجب ركبه الله فى الأرض فكان يضئ منها ما بين المشرق والمغرب كالسراج فى الليل المظلم، ثم خلق الله آدم من الأرض فركب فيه النور فى جبينه، ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهر إلى

طيب، ومن طيب إلى طاهر، إلى أن أوصله الله صلب عبدالله بن عبد المطلب، ومنه إلى رحم أمي آمنة بنت وهب، ثم أخرجنى إلى الدنيا فجعلنى/ سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين وهكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر" اهـ.

تلخيص:

ما كان لموضوع أولية النور المحمدى أن يسبب تكفير وتبديع المسلمين بعد ما قاله وبعد هذا الحديث القرآن وهذا الحديث الصحيح الشريف لولا فقدان الإنصاف ولولا إيثار العنف على المنهج السلمي من الطائفة المتطرفة.

وقد أسبقنا الرد والتوضيح الشافى لمن أنكره للغلو فيه من قوم.أما المستدل بأقوال الحفاظ السابقين – السيوطى، والغماريين والهرري فنقول له هل: أنت مع السيوطى فى مشروعية الإحتفال بالمولد النبوي ؟ أو تصدق بوقوع رؤية النبى ﷺ يقظه كرامة للأولياء كما أثبتها فى "تنوير الحلك"؟ وما هو موقفك من رسالته فى الذب عن الصوفية عموما والشيخ محي الدين ابن عربي خصوصا؟

وما رأيك فى ردود السادة الغمارية القاسية وردود العلامة الهررى على شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وحتى الألبانى فى عدة أمور بعضها ينتهى إلى التكذيب و إلى التبديع؟ ...

فنحن خالفناهم هنا لأن الحق مع غيرهم فيما ظهر لنا كما تقدم.والكمال لله وحده.أما أنتم فمخالفتكم للعلماء—وحتى لابن تيمية نفسه أو لوزيره ابن القيم- نتيجة للهوى والتعصّب.

مفهوم البشرية النبوية

قال الله تعالى فى كتابه أولا: قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، (الكهف : ١١٠).

وقال ثانيا: قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين، (فصلت: ٥) صدق الله العظيم.

قال العالم العلامة الفاضل، الشريف محمود صبيح فى كتاب" حتى لا تحرم من رؤية النبى ﷺ فى المنام" ص ١٥٩ ما نصه:

"يجب أن نفرق بين كون النبى ﷺ بشرا، وبين أن هذه البشرية مخصوصة مهيأة لأنوار النبوة فأصبحت ذات قوة لا تتهيأ لبقية البشر... بمعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا وهذا معناه أنه خلق من أب

وأم فى آخر المطاف (هذا لا ينفى أنه خلق من نور).

أما خصوصية البشرية فالمقصود بها أن سمع النبى غير سمعنا وبصره يدرك به ما لا تدركه أبصارنا، وقوته أشد من قوة ركانة أقوى رجل فى العرب...اهـ.

قلت:من قال إن النبى ﷺ بشر ولم يقيد بقوله "يوحى إليه" فقد أوهم التسوية بين سيد الخلق وبين عامة البشر؛وهكذا من رفض ذلك مطلقا فقد أورد نفسه- على الأقل- شبهة المخالفة للقرآن الكريم ونسأل الله

السلامة من المهلكين. وهذا النزاع شبيه بموضوع علم النبى ﷺ بالغيب أو عدمه.

المهم أن المثلية فى الآيتين إنما هى فى الآدمية والإنسانية وليست ذاتية ولا شخصية أى--كما أفاد الشوكانى---معنى قوله تعالى [قل إنما أنا بشر مثلكم]:"إن حالى مقصور على البشرية لا يتخطاها إلى الملكية,ومن كان هكذا فهو لا يدعى الإحاطة بكلمات الله إلا أنه امتازعنهم بالوحي إليه من الله سبحانه فقال :[يوحى إليه] وكفى بهذا الوصف فارقا بينه وبين سائر أنواع البشر.انتهى بحروف الشوكانى فى الفيض القدير (343/4).

فمن الواضح أن بشرية الأنبياء عليهم السلام --وفوقها بشرية سيدهم ﷺ --تختلف تماما عن بشرية غيرهم كما أن لها ميزات وخصوصيات لا توجد فى إنسانية سائر البشر تميزوا بها عنهم وإن اتفقوا فى الأصل الجنسى، وهم صفوة الله فى خلقه ونخبته فى عباده صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

" الأنبياء بشر ولكن....."

قال العلامة السيد محمد بن علوى المالكى فى "مفاهيمه ص ٢١١:

يظن بعض الناس أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يساوون غيرهم من البشر في كل أحوالهم وأعراضهم، وهذا خطأ واضح وجهل فاضح، ترده الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة.

وهم وإن كانوا يشتركون مع جميع بني آدم في حقيقة الأصل التي هي البشرية كما بينه قوله جل ذكره: (قل إنما أنا بشر مثلكم، الكهف ١١٠)، إلا أنهم يختلفون عنهم في كثير من الصفات والعوارض، وإلا فما هي مزيتهم؟ وكيف تظهر ثمرة اصطفائهم على غيرهم واجتبائهم على من سواهم؟... إلى قوله

الأنبياء هم الصفوة المختارة من عباد الله شرفهم الله بالنبوة، ... وقد اقتضت حكمة الله أن يكونوا من البشر ليتمكن الناس من (الإجتماع بهم والأخذ عنهم) والإتباع لهم فى سلوكهم وأخلاقهم، والبشرية هي عين إعجازهم؛ فهم بشر من جنس البشر لكنهم متميزون عنهم بما لا يلحق به أحد، ومن هنا كانت ملاحظة البشرية العادية، المجردة فيهم دون غيرها هى نظرة جاهلية شركية. وفى القرآن شواهد كثيرة على ذلك اهـ.

وقال فى ص ٢١٢ من نفس المصدر:

والأنبياء صلوات الله عليهم وإن كانوا من البشر، يأكلون ويشربون ويصحون ويمرضون، وينكحون

النساء ويمشون فى الأسواق، وتعتريهم العوارض التى تمر على البشر من ضعف وشيخوخة وموت، إلا أنهم يمتازون بخصائص ويتصفون بأوصاف عظيمة جليلة؟ هي بالنسبة لهم من ألزم ومن أهم الضروريات. وهذه الصفات نلخصها فيما يلى:

(١) الصدق

(٢) التبليغ

(٣) الأمانة

(٤) الفطانة

(٥) السلامة من العيوب المنفرة

(٦) العصمة اهـ.

ثم ذكر أحاديث فيها قوله صلى الله عليه وسلم "إنى لأراكم من وراء ظهري" وقوله "إنى لأرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون" وعزاه لأحمد والترمذى وابن ماجه.

إستطراد: دعوى الغلو فى البشرية النبوية

موضوع "الغلو فى الدين" عامة مما نتكلم عنه فيما يأتى من هذا الكتاب. ولا يعنى الإعتراف بغلو البعض فى الحقيقة المحمدية أو فى مكانة بعض الأولياء –جهلا- موافقة الوهابية فى التسارع إلى إطلاقه على كل توقير أو تبجيل مبالغ لعباد الله المكرمين. بيد أننا نعلم أنهم–أنفسهم غرقى فى غلو أقبح مما يرون

من غيرهم –علموا ذلك أو لم يعلموه كما سنفصل إن شاء الله .

ويقول السيد بن علوى (ص ٢٠٧) :"فهم بعض الناس من قوله ﷺ: "لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم" النهى عن مدحه ﷺ، واعتبار ذلك من الإطراء والغلو المذموم المؤدي إلى الشرك، وأن كل من مدحه ورفعه على غيره من عامة البشر وأثنى عليه ووصفه بما يميزه عن غيره، فقد ابتدع فى الدين وخالف سنة سيد المرسلين ﷺ.

وهذا فهم سيئ ويدل على قصر نظر صاحبه، وذلك أن النبى ﷺ نهى أن يطر كما أطرت النصارى ابن مريم، إذ قالوا: ابن الله.

ومعنى ذلك: أن من أطراه ﷺ ووصفه بما وصف به النصارى نبيهم، فقد صار مثلهم. أما من مدحه ووصفه بما لا يخرجه عن حقيقة البشرية، معتقدا أنه عبد الله ورسوله ﷺ مبتعدا عن معتقد النصارى، فإنه ولا شك من أكمل الناس توحيدا.

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

- فإن فضل رسول الله ليس له

- حد فيعرب عنه ناطق بفم
- فمبلغ العلم فيه أنه بشر
- وأنه خير خلق الله كلهم اهـ.

حدود البشرية النبوية

ونعنى بها ما يحبوز وما لا يجوز فى حقه مما يتعلق ببشريته ﷺ.

جاء فى أحاديث – بعضها فى الصحيحين – أن النبى ﷺ كان يسهو فى صلاته، وأنه سحر، وأنه كان يلعن بغير حق ويغضب كما يغضب البشر، وأنه ...، وأنه...صلى الله عليه وآله وسلم.

هذه الأحاديث --كما أشرنا إليه – جلّها صحيح سندا ومتنا إلا أن الشيعة وبعض الصوفية ينكرونها بدعوى نكارة متنها ومعارضتها القرآن كما فهموا وليس ذلك بصحيح عندنا كما سيأتى.

جمهور العلماء والمحدثين قالوا بجواز السهو من النبى عليه الصلاة والسلام فى غير الأحوال البلاغية على وفق ما ورد فى السنة الشريفة.

ونخطّأ الشيعة والغلاة من إخواننا فى رد ذلك مع حسن الظن بهم, ونرى أن حاملهم على ذلك هو الغيرة على المقام والشخصية النبوية وليس شهوة الإختلاف.

أجل, التأدب واجب اعتقادنا وكلامنا فى النبى صلى الله عليه وسلم ومن باب الأولى فى اعتقاد وكلام العلماء المخرجين لتلك الأحاديث وشراحها وهم سلفنا فى الوقوف عليها.وعليه.ولو كان فى إثباتها تنقيص لمقام النبوة وعصمتها لامتنع منه أولئك العلماء ولحكموا عليها بالبطلان.

فبما أنهم لم يفعلوا ذلك علمنا قطعاً أنه ليس فيها شيء يضر دين المسلم ولا ما يخدش فى تعظيمه لرسول الله ﷺ.

أحاديث سهو النبى ﷺ

1- روى الإمام المحدث أبو عبدالله البخارى – فى أبواب السهو – (بأرقام :١١٦٦، ١١٦٧، و١١٦٨) عن عبدالله: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر خمسا فقيل له أزيد فى الصلاة؟ فقال (وما ذاك) قال صليت خمسا فسجد سجدتين بعدما سلم.

٢- عن أبى هريرة: صلى بنا النبي ﷺ الظهر أو العصر فسلم فقال له ذو اليدين الصلاة يارسول الله أنقصت؟ فقال النبي ﷺ لأصحابه (أحق ما يقول). قالوا نعم. فصلى ركعتين أخريين ثم سجد سجدتين الخ. الحديث برقم ١١١٦ فى الصحيح.

٣- وروى مسلم عن ابن مسعود قوله ﷺ "إنما أنا بشر أنسى كما تنسون". (وسيأتي شرح القاضي عياض له فى إكمال المعلم (٢٨٦/٢).

فالأحاديث السابقة تصرح بوقوع السهو منه صلى الله عليه وسلم وهي الحجة لمن أثبت ذلك له كما سنسوق من أقوال من شرحها فى الفصول القادمة. وقد جاء ما هو أقوى منها وهو إثبات السهو للشخصية المصطفوية من القرآن الكريم (الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد).وانظر التالى.

ثبوت سهو النبي فى القرآن الكريم

(١) قال الله تعالى فى محكم تنزيله: (فإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين، الأنعام: ٦٨)

قلت: فى هذه الآية الكريمة جوّز الله تعالى لنبيه محمد ﷺ الوقوع فى السهو أو النسيان وهو ما نفاه عنه الشيعة ومن شايعهم من الصوفية حتى ردوا بقولهم الأحاديث السابقة.

قال المفسر السلفى ابن جرير الطبرى فى تفسيرها (٤٣٦/١١): وإما ينسينك الشيطان يقول: وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض

عنهم فى حال خوضهم فى آياتنا، ثم ذكرت ذلك فقهم (فقم)عنهم، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاصوا فى غير الذى لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه. وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل اهـ. ثم ذكر – رحمه الله – عن مجاهد قوله: نهي رسول الله ﷺ أن يقعد معهم إلا أن ينسى، فإذا ذكر فليقم – ص ٠٤٣٨وانظر أيضا زاد المسير (357/2),وابن كثير (278/3).وذكر الشوكانى قولين فى ذلك فى فتح القدير (٤٣٠/٢).

وقال أبوعبدالله القرطبى فى "الجامع لأحكام القرآن "(١٣/٧-١٤): قوله تعالى: وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)... المعنى: يا

محمد إن أنساك الشيطان أن تقوم عنهم فجالستهم بعد النهى (فلا تقعد بعد الذكرى أى إذا ذكرت فلا تقعد مع القوم الظالمين) يعنى المشركين.

والذكر إسم للتذكير. الثانية – قيل: هذا خطاب للنبي ﷺ المراد أمته، ذهبوا إلى تبرأته عليه السلام من النسيان. وقيل: هو خاص به، والنسيان جائز عليه. قال ابن العربي: وإن عذرنا أصحابنا فى (قولهم) إن قوله تعالى: "لئن أشركت ليحبطن عملك" خطاب الأمة باسم النبى ﷺ لاستحالة الشرك عليه، فلا عذرلهم فى هذا لجواز النسيان عليه. قال عليه السلام "نسى آدم فنسيت ذريته" خرجه الترمذى وصححه.

وقال مخبرا عن نفسه: "إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني خرجه فى الصحيح، فأضاف النسيان إليه. وقال وقد سمع قراءة رجل: "لقد أذ اذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها" واختلفوا بعد جواز النسيان عليه، هل يكون فيما طريقه البلاغ من الأفعال وأحكام الشرع أم لا؟ فذهب إلى الأول – فيما ذكره القاضى عياض – عامة العلماء والأئمة النظار، كما هو ظاهر القرآن والأحاديث، لكن شرط الأئمة أن الله تعالى ينبهه على ذلك ولا يقره عليه. ثم اختلفو هل من شرط التنبيه اتصال بالحادثة على الفور، وهو مذهب القاضى أبي بكر والأكثر من العلماء، أو يجوز فى ذلك التراخى ما لم ينجز عمره

وينقطع تبليغه، وإليه نحا أبو المعالي ومنعت طائفة من العلماء السهو عليه فى الأفعال اليلاغية والعبادات الشرعية، كما منعوه اتفاقا فى الأقوال البلاغية واعتذروا عن الظواهر الواردة فى ذلك، وإليه مال الأستاذ أبو إسحاق.وشذت الباطنية وطائفة من أرباب علم القوب فقالوا: لا يجوز النسيان عليه، وإنما ينسى قصدا ويتعمد صورة النسيان ليسن، ونحا إلى هذا عظيم من أئمة التحقيق وهو أبو المظفر الإسفراييني فى كتابه الأوسط، وهو منحى غير سديد، وجمع الضد مع الضد مستحيل بعيد اهـ.

(٢) وقال تعالى: (ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا، الكهف: ٢٣-٢٤).

قلت: فيها أيضا تأكيد لقولنا – وأقوال سلفنا – وتأييد إلهى ظاهر للأحاديث التى تخبر بوقوع السهو والنسيان من أفضل الخلق وأغلاهم على الإطلاق ﷺ.

قال الإمام ابن جرير الطبرى تحتها (١٧/٦٤٤-٦٤٥):...

وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور

أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شئ إلا بمشيئة الله.

وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتى قد ذكرناها فيما مضى اللواتى، إحداهن المسألة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهم عنهن غد يومهم، ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة، حتى حزبه إبطاؤه، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهن، وعرف نبيه سبب احتباس الوحي عنه، وعلّمه ما الذى ينبغى أن يستعمل فى عداته وخبره عما يحدث من الأمور التى لم يأته من الله بها تنزيله اهـ.

وانظر تفاسير البغوى (١٦٤/٥) والدر المنثور (٥١٤/٩-٥١٦) وزاد المسير (٢١٥/٤) والبحر المحيط (١٦٢/٧).

ولننقل كلام أبي عبد الله القرطبى فى "الجامع" (٣٨٦/١٠) حيث قال --بعد ذكر أقوال--: وهذه الآية مخاطبة للنبى ﷺ وهى استفتاح كلام على الأصح، وليست من الإستثناء فى اليمين فى شئ، وهى بعد تعم جميع أمته، لأنه حكم يتردد فى الناس لكثرة وقوعه. والله الموفق اهـ.

(٣) وقال تعالى: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي فلم نجد له عزما، طه: ١١٥)

قلت: فى هذه الآية مزيد تأكيد وتأييد وتقوية لمذهب من أجرى تلك الأحاديث الصحيحة على ظاهرها مع التعظيم الكامل لجناب النبى عليه الصلاة والسلام.

وأوضح من ذلك فإن فيها إثبات النسيان لأبي البشر وأول الأنبياء وأبيهم قاطبة سيدنا آدم عليه السلام، وقد مر بنا فى النقل السابق عن ابن العربي قوله عليه السلام "نسي آدم فنسيت ذريته"،وهو إستدلال صحيح بها واستنباط صريح منها.

شرح العلماء لأحاديث السهو

١-- رأي القاضى عياض

قال القاضي فى "إكمال المعلم" (٢٨٦/٢) بعد أن ساق أقوال العلماء المختلفة—حذفنا منها ما جاء فى كلام القرطبى خوفا من الإطالة--- :وشذت الباطنية وطائفة من أرباب علم القلوب فقالوا النسيان لا يجوز عليه جملة، وإنما ينسى قصدا ويتعمد صورة النسيان ليسن ونحى إلى قولهم عظيم من أئمة التحقيق وهو أبوالمظفر الإسفراينيى في كتابه الأوسط، وهذا منحى غير سديد، وجمع الضد مع الضد مستحيل بعيد، والقول الأول هو الصحيح، فإن السهو في الأفعال غير منافي للنبوة، ولا موجب للتشكيك

في الرسالة، ولا قادح في الشريعة، بل هو سبب لتقرير شرع وإفادة حكم – كما قال عليه السلام (إني لأنسى أو أنسى)، وكذلك اختلفو افيما ليس طريقه البلاغ، ولأن بيان الأحكام من أفعاله الشرعية، وما يختص به من عاداته وأذكار قلبية، والأكثر على تجويز الغفلة هنا والسهو إذا لم يؤمر بتبليغها. وأما طروء ذلك عليه في الأقوال فممتنع بإجماع فيما طريقه البلاغ كما امتنع من ذلك التعمد إجماعا، وأما طروئه عليه في الأقوال الدنيوية، وفيما ليس سبيله البلاغ من الأخبارالتي لا متسند للأحكام إليها ولا أخبار المعاد، ولا تضاف إلي وحيي، فقد جوز قوم السهو والغفلة في هذا الباب، إذ ليس من باب التبليغ الذى يتطرق به إلي القدح في الشريعة، والحق الذى لا مرية

فيه ترجيح قول من لم يجوز ذلك على الأنبياء فى خبر من الأخبار، كما لم يجوزوا عليهم فيها العمد, وأنه لا يجوز عليهم الخلف فى خبر من الأخبار، لا عن قصد، ولا سهو، ولا فى صحة ولا مرض، ولا رضى ولا غضب، وحسبك أن سيره وآثاره وكلامه وأفعاله مجموعة معتنى بها على مر الزمان يتداول نقلها الموافق والمخالف، ويرويها الموقن والمرتاب، فلم يأت فى شئ منها استدراك غلط فى قول ولا اعتراف بوهم فى كلمة، ولو كان لنقل سواه فى الصلاة ونومه عنها، وإستدراكه رأيه فى تلقيح النخل، وفى نزوله بأدنى مياه بدر, وفى مصالحة عيينة بن بدر، ولقوله: (والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها، إلا فعلت الذى خلقت عليه

وكفرت وغير ذلك، وأما جواز السهو عليه في الإعتقادات في أمور الدينا فغير نكير انتهى باختصار.

٢-- كلام الحافظ العسقلاني

قال الحافظ ابن حجر عقب حديث البخارى فى الفتح (١٠١/٣-١٠٢): وهو حجة لمن قال إن السهو جائز على الأنبياء فيما طريقه التشريع وأن كان عياض نقل الإجماع على عدم جواز دخول السهو في الأقوال التبليغية وخص الخلاف بالأفعال لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز ذلك على أنه لا يقرعليه بل يقع له

بيان ذلك أما متصلا بالفعل أو بعده كما وقع فى هذا الحديث من قوله لم أنس ولم تقصر ثم تبين أنه نسى ومعنى قوله لم أنس أي فى اعتقادي لا فى نفس الأمر ويستفاد منه أن الإعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفائدة جواز السهو فى مثل ذلك بيان الحكم الشرعي إذا وقع مثله لغيره وأما من منع السهو مطلقا فأجابوا عن هذا الحديث بأ جوبة فقيل قوله لم أنس نفي لنسيان ولا يلزم منه نفي السهو وهذا قول من فرق بينهما وقد تقدم رده ويكفى فيه قوله فى هذه الرواية بلى قد نسيت وأقره على ذلك وقيل قوله لم أنس على ظاهره وحقيقته وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك يقع التشريع منه بالفعل لكونه أبلغ من القول

وتعقب بحديث ابن مسعود الماضي فى باب التوجه نحو القبلة ففيه إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فأثبت العلة قبل الحكم وقيد الحكم بقوله إنما أنا بشر ولم يكتف بإثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول ليس نسيانه كنسياننا فقال كما تنسون وبهذا الحديث يرد أيضا قول من قال معنى قوله لم أنس إنكار اللفظ الذى نفاه عن نفسه حيث قال إنى لا أنسى ولكن أنسى وإنكار اللفظ الذى أنكره على غيره حيث قال بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا وكذا وقد تعقبوا هذا أيضا بأن حديث إنى لا أنسى لا أصل له فإ نه من بلاغات مالك التى لم توجد موصولة بعد البحث الشديد، وأما الآخر فلا يلزم من ذم إضافة

نسيان الآية نسيان كل شئ فإن الفرق بينهما واضح جدا وقيل أن قوله لم أنس راجع إلى السلام أي سلمت قصدا بانيا على ما في اعتقادي أني صليت أربعا وهذا جيد وكأن ذاليدين فهم العموم فقال بلى قد نسيت وكان هذا القول أوقع شكا أحتاج معه إلى استثبات الحاضرين وبهذا التقرير يندفع إيراد من استشكل كون ذي اليدين عدلا ولم يقبل خبره بمفرده فحسب التوقف فيه كونه أخبر عن أمر يتعلق بفعل المسئول مغاير لما فى اعتقاده وبهذا يجاب من قال أن من أخبر بأمر حسي بحضرة جمع لا يخفى عليهم ولا يجوز عليهم التواطؤ ولا حامل لهم على السكوت عنه ثم لم يكذبوه أنه لا يقطع بصدقه فإن سبب عدم القطع

كون خبره معارضا باعتقاد المسئول خلاف ما أخبر به وفيه أن الثقة إذا انفرد بزيادة خبر وكان المجلس متحدا أو منعت العادة غفلتهم عن ذلك أن لا يقبل خبره وفيه العمل بالإستصحاب لأن ذاليدين إستصحب حكم الإتمام فسأل مع كون أفعال النبى ﷺ للتشريع والأصل عدم السهو والوقت قابل للنسخ انتهى باختصار.

السهو النبوي جائز فى بعض الأمور

بكل تعظيم وتقدير وتوقير --إن شاء الله-- للحضرة الشريفة، نقول –اقتداءً بالعلماء وعملا بالآيات والأحاديث السابقة-- إن سهو النبى صلى الله عليه وسلم جائز فى بعض الأمور دون غيرها متى ما وقع, فليفهم القارئ ذلك وليتأمّله.

قال السيد محمد بن علوي فى "الإنسان الكامل" (ص ٩٢-٩٣): وتأول قوله (لم أنس بأنه تأديب كإنكاره على من قال : نسيت آية كذا وكذا فى حديث آخر ثم جمع بينه وبين حديث (إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون) بقوله: إن الحديث الأول يفيد نفي اللفظ –

لفظ النسيان وكراهة لقبه – فقط والثاني فيه إثبات النسيان. اهـ.

وأضاف قائلا (ص ٩٤ – ٩٥): وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل، وحكمة الله فيه ليستن به، إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول، وأرفع للإحتمال، وشرطه أنه لا يقر على السهو، بل يشعر به ليرتفع الإلتباس، وتظهر فائدة الحكمة.

وإن النسيان والسهو في الفعل في حقه ﷺ غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق، وهذا بناء على التفريق بين الأفعال البلاغية، فالسهو والنسيان

قد يقع في الأفعال والأحكام منه ﷺ، وهو جائز عليه، كما ثبت من أحاديث السهو في الصلاة.

أما الأقوال البلاغية فلا يجوز وقوع النسيان والسهو فيه[فيها] لقيام المعجزة على الصدق في القول، والنسيان يناقض، اما النسيان في الأفعال فغير ناقض لها ولا قادح في النبوة، بل غلطات الفعل من سمات البشر، كما قال ﷺ: "إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني" وحالة النسيان والسهو هنا في حقه ﷺ سبب إفادة علم، وتقرر شرع، كما قال ﷺ: "إني لأنسى أو أنسّى لأسنّ" بل قدروي "لست أنسى ولكن أنسّى لأسنّ".

وهذه الحالة زيادة له في التبليغ، وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص، وأغراض الطعن. أما ما ليس طريقه البلاغ، ولا بيان الأحكام من أفعاله ﷺ، وما يختص به من أمور دينية، وأذكار قلبية، مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثرمن طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها، وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق، وسياسات الأمة، ومعاناة الأهل، وملاحظة الأعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الإتصال، بل على سبيل الندور، وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه ﷺ جملة، وهو مذهب جماعة من العارفين من أهل القلوب والمقامات، رضي الله عنهم اهـ.

قلت: وهذه الطائفة هى الباطنية إضافة إلى أرباب القلوب المذكورين وقد تقدم قول القاضى عياض فيهما ونقل القرطبي لشذوذ قولهما حتى قال إنه "منحى غير سديد " وأظهر أن القول الأول --الذى نقول وندين الله تعالى به – هو الصحيح الموافق للأدلة القوية.فالحمد لله على التوفيق.والسهو والنسيان سيان كما أشار إليه كلام السيد بن علوى والحافظ العسقلانى فى النقل المتقدم.

سهو النبي ﷺ ليس عن غفلة

تدبر – أيها الأخ الرشيد – قول السيد بن علوي: "وذلك بما كلفه الله من مقاساة الخلق، و سياسات الأمة، ومعاناة الأهل وملاحظة الأعداء...

فعلا، يستحيل فى الذهن كما يعظم فى الخاطر كون الرسول ﷺ فى حالة الغفلة وبشريته معصومة من الإنشغال بسفاسف الأمور، وقلبه الشريف وباله الظريف حي دائما ويقظ فهو ذاكر لله تعالى ومشتغل به فى جميع أحيانه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وفى الذخائر ص ١٧٣ هذه الأبيات اللطيفة:

يا سائلى عن رسول الله كيف سها

والسهو من كل قلب غافل لاهي

قدغاب عن كل شئ سره فسها

عما سوى الله فالتعظيم لله اهـ.

وانظر شرح القاضي عياض لقوله صلى الله عليه وسلم "إنه ليغان على قلبي" (٨/٩٦-٩٧) فى صحيح مسلم تجد نحو ما قلناه إن شاء الله.

لا يسهو النبى فى العقيدة ولا فى التبليغ

قال القاضي عياض فى أواخر كلامه فى المصدر السابق: وأما ما يتعلق من ذلك بالعلم بالله وصفاته والإيمان به فلا يصح فيه طروؤ سهو، ولا غلط ولا ما يضادّه عليه، لأن ذلك كله كفر، وهو محال فى حقه – عليه السلام – انتهى المراد.

قلت: وقد مر فى النقول كلها تقريبا عدم جواز السهو أو النسيان فى الأقوال البلاغية وغير بعيد عنا قول السيد بن علوي "أما الأقوال البلاغية فلا يجوز وقوع النسيان والسهو فيه (فيها) لقيام المعجزة على الصدق فى القول والنسيان يناقض ذلك" اهـ.

ومصداق ذلك فى قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون، الحجر:٩).

فإذا كان الذكر المنزل عليه ﷺ محفوظا من الزيادة والنقصان وهو المكلف بتبليغه كما أنزل امتنع طروؤ السهو الذى من لوازمه الزيادة والنقصان

عليه. أما الخطأ – وهو السهو – فى العقيدة فلا يحتاج امتناعه فى حق النبى ﷺ إلى دليل منقول.

كلام الشيخ أحمد التجانى قدس الله سره

جاء فى "الفيض الربانى فى التفسير والحديث للعارف بالله سيدى أحمد التجانى"(1230 هـ) للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب تحت عنوان ":الأنبياء عليهم السلام مع ربهم عز وجل وبرآءة ساحة الأنبياء" قول المؤلف(75-79):وسئل رضي الله عنه عن بعض الآيات الواردة فى حق الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فأجاب:..."وأما ما ذكر من الغفلة فليست هى الغفلة المعهودة هنا فى حقهم هي النسيان،والنسيان غير مستحيل فى حقهم؛لأنهم جبلّة بشرية.

29-فقد قال ﷺ:"إنما أنا بشر أنسى كما تنسون،فإذا نسيت فذكروني"

30-كما فى قضية حديث ذى اليدي: حيث سلم من ركعتين فى الرباعية ﷺ فقال له ذو اليدين أقصرت

الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟،فقال له ﷺ:"لم تقصر ولم أنس" فقال له بل نسيت.فلما قال له ذلك،سأل صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر فقال لهما:"أحق ما يقوله ذو اليددين"؟فقالا:نعم،فرجع للصلاة وأكملها،فظهر لك من هذا الخبر **أن النسيان يطرأ على الأنبياء بتصرفات الأحكام الشرعية**،وهي الصلاة،وهي أعظم ما يطلب شرعا.ونسي (ص)بعض أجزائها.فهو دليل أن النسيان فى تصرف الأحكام الشرعية **غير مستحيل فى حقهم بشاهد الحديث.**

ولتعلم أن النسيان المذكور هنا هو غير الملحوظ فى قوله تعالى:[فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا](الأعراف:510)فإن ذلك هو تعمد الترك للعمل بأمر الله مع العلم به،وعدم نسيانه،ولكن النسيان ههنا هو الترك فقط.

والنسيان المعبر عنه فى حق الأنبياء ينقسم قسمين فقط لا ثالث لهما:

القسم الأول:هو الطارئ بالجبلة البشرية،وهو نسيان الحكم فى الأمر،وعدم وقوعه فى بال الشخص.فهذا صاحبه معذور،لا يؤاخذ به شرعًا.

القسم الثانى من النسيان:أن يطرأ على أكابر الصديقين والأنبياء فى حضرة ذي الجلال سبحانه وتعالى من

التجليات والواردات مما يذهل العقل وينسيه الأحكام التى كان يعلمها أو بعضها بسبب السطوة الطارئة من التجلي أو الواردة،فهذا أيضا كالنسيان الجبلّي؛إذ صاحبه معذور،وهذه هي وجوه النسيان فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قلت الشيخ رضي الله عنه:وهل يطرأ النسيان على الرسل قبل تبليغ ما أمروا به،كما طرأ بعد التبليغ؟

قال:لا،ولو نسي شيئا مما أمر بتبليغه للخلق لبعث الله إليه الملك،وذكره به ليتم الدين الذين(الذى) أراده سبحانه وتعالى؛لأنه هو الحافظ له،حتى يكمل ما أراده من شرعه.

31-قال تعالى:[لا تحرك به لسانك لتعجل به.إن علينا جمعه وقرءانه](القيامة:16،17)لأنه كان صلى الله عليه وسلم يعجل بقراءة ما يسمعه خوفا من النسيان.

ثم قال رضي الله عنه:وإنما وقعت المعاتبة على النسيان الطارئ بسبب الجبلّة،أو بسبب الواردات لعلو مقامهم،ولطلب تنزيهه مما يدنسه فهذا وجه الغفلة على وجه طلب الترك،فيما تمحض فيه حكم الإباحة ا هـ.

سحر النبى لا يقدح فى عصمته

فإذا تقرر أن جواز السهو عليه ﷺ داخل الصلاة وخارجها أو على غيره من الأنبياء عليهم السلام لا يستلزم القدح فى عصمتهم ولا نقصا فى رتبتهم فلينتقل نقاشنا لموضوع سحر النبي ﷺ، الوارد فى الحديث أيضا والذى هو أحق بالإعتراض وأدعى له من غيره.

حديث سحره صلى الله عليه وسلم

روى البخارى برقم ٣٢٦٨ عن السيدة عائشة قالت سحر النبي حتى كان يوم دعا ودعا ثم قال أشعرت أن الله أفتانى فيما فيه شفائى أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر ما وجع الرجل قال مطبوب قال و من طبه قال لبيد بن الأعصم قال فيماذا قال فى مشُطٍ (مشْطٍ) ومشاقة وجف طلعة ذكر قال فأين هو قال فى بئر ذروان فخرج إليها النبى ﷺ ثم رجع فقال لعائشة حين رجع نخلها كأنها (كأنه رءوس) الشياطين فقلت استخرجته فقال لا أما أنا فقد شفانى الله وخشيت أن يشير ذلك شرا على الناس شرا ثم دفنت البئر اهـ.

توجيه نفيس لحديث السحر

قال العلامة بن علوى فى "الإنسان الكامل "ص ١٠٤ ــ ١٠٥.

وقد اختلف الناس فى هذا الحديث اختلافا كبيرًا فمنهم من رده وطعن فيه، ومنهم من التبس عليه الأمر فقدح فى العصمة النبوية.

والحق أن حديث سحره ﷺ صحيح متفق عليه ولا يقدح فى عصمته ﷺ. وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل فى أمره لبسا، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوته.

وأما ماورد من أنه يخيل إليه أنه فعل الشئ ولا يفعله، فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلة فى شئ من تبليغه أو شريعته أو يقدح فى صدقه لقيام الدليل والإ جماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروّه عليه فى أمر دنياه التى لم يبعث بسببها، ولا فضل من أجلها و هو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان...

مثال هذا: مثال سارق دخل إلى دار مملوؤة بالدرر والجواهر وأنفس الذخائر، فاستطاع بحيلته أن يدخل الدار، ولكنه لم يستطع أن يتناول شيئا مما فيه من الكنوز بقوة قاهرة وسطوة ظاهرة، من غير حجاب

ولا باب ولا حارس أو بواب، فخرج كما دخل خائبا خاسرا، فالسحر أثر على شئ من بشريته ﷺ، ولم يؤثر على قلبه أو عقله انتهى النقل اللطيف من "الإنسان الكامل".

حديث "أغضب كما يغضب البشر"

روى الإمام مسلم فى الصحيح (برقم ٢٦٠٠) عن عائشة، وعن جابر (٢٦٠٢) وعن أ بي هريرة

برقم (٢٦٠١) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغصب البشر وإنى قد اتخدت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما

مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة".

ولفظ جابر: اشترطت على ربي عز وجل أي عبد من المسلمين سببته أوشتمته أن يكون ذلك له زكاة وأجرا، ومثله وأطول منه عن أنس (برقم ٢٦٠٣).

وقد أخرج بعده (برقم ٢٦٠٤) عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب قال فجاء فحطأني حطأة وقال اذهب وادع لي معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل قال ثم قال لي اذهب فادع لي معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل

فقال لا أشبع الله بطنه. قال ابن المثنى قلت لأمية ما حطأني؟ قال قفدني قفدة اهـ.

قلت: حديث "أغضب كما يغضب البشر" خرجه أيضا الإمام أحمد فى المسند برقم (٧٣١١) ٧٣٠٩.

القول فى هذا الحديث

ببساطة، نؤمن بكل حديث صح سنده واتصل إلى رسول الله ﷺ حسب القوانين المعتبرة ولم يعارض القرآن أو أحد الأدلة التى يُردّ الحديث بها, وحتى لو عارضها ما لم يمتنع تأويله وحمله على الوجه الصحيح بفضل الله.ومن جملة ذلك هذا الحديث.وإن استشكله الشيعة وقوم منا ورأوا فيه قدحا وطعنا فى

العصمة النبوية فرفضوه واتهموا بني أمية بوضعه دفاعا عن معاوية بن أبى سفيان وصرفا لما فى نظرهم هو دعاء نبوي عليه.

قلت:رحم الله الإمام مسلم وجزاه على هذا التفصيل خير الجزاء.فمن احتج علينا بروايته فى صحيح مسلم رددنا عليه وقلنا له هو خرج الحديث وترجم له بـ "باب من لعنه النبى ﷺ أو سبه أو دعا عليه وهو ليس أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة" ولم يفهم منه ما فهمتم.فهلا اكتفيتم بفقهه واقتصرتم عليه كما قبلتم روايته؟ فالرواة والشراح جميعا قالوا نقيض ما قاله الشيعة فى تلك الأحاديث.

كلام القاضي عياض رحمه الله

قال فى "إكمال المعلم شرح صحيح مسلم "(٣٤/٨-٣٥) قوله: (اللهم إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، وإني اتخذت عندك ربي عهدا لن تخلفنيه، فأى مسلم لعنته أو سببته أو جلدته – وفى رواية: أو آذيته – فاجعله له زكاة وأجرا)، وكفارة ورحمة وقربة، تقربه إليك يوم القيامة، على اختلاف ألفاظ الحديث، وزيادة بعضها على بعض، قال الإمام: فإن قيل: قوله عليه الصلاة والسلام – (اللهم إنى أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، وأيما أحد دعوت عليه من أمتى بدعوة ليس لها أهل "الحديث قال

الإمام – وفقه الله – إن قيل: كيف يدعو النبى عليه الصلاة و السلام بدعوة على من ليس لها بأهل، وهذا مما لا يليق به (ﷺ)؟

قيل:المراد بقوله: ليس لها بأهل عندك فى باطن أمره، لا على ما يظهر إليه – عليه الصلاة والسلام – مما يقتضيه حاله حين دعائه عليه، فكأنه – عليه الصلاة والسلام – يقول: من كان باطن أمره عندك أنه ممن يرضى عنه فاجعل دعوتى عليه الذى اقتضاها ما ظهر إلى من مقتضى حاله حينئذ طهورا وزكاة.

وهذا معنى صحيح لا إحالة فيه وهو عليه الصلاة والسلام – متعبد بالظواهر، وحساب الناس في البواطن على الله تعالى. وإن قيل معنى "وأغضب كما يغضب البشر" وهذا يشير إلى أن تلك الدعوة وقعت بحكم صورة الغضب، لا على أنها من مقتضى الشرع، فبقى السؤال على حاله؟ قيل: يحتمل أن يكون – عليه الصلاة والسلام –أراد أن دعوته – عليه الصلاة والسلام- -أو سبه أو جلده كان مما خير بين فعله له عقوبة به للجاني، أو تركه. والزجر له بما سوى ذلك، فيكون الغضب لله تعالى على لعنته أو جلده، ولايكون ذلك خارجا عن لشرعه (شرعه) ولا موقعا له فيما لا يجوز.

ويحتمل أن يكون خرج هذا مخرج الإشفاق منه – عليه الصلاة والسلام –وتعالى، فكأنه – عليه الصلاة والسلام – يظهر الإشفاق من أن يكون الغضب يحمله على زيادثة (زيادة) يسيرة فى عقوبة الجانى لولا الغضب ما زادها ولا أوقعها، ويكون ذلك من الصغائر على القول بجواز وقوعها من الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وإشفاقا منه – عليه الصلاة والسلام – بأن لم يقع منه.

وقد وقع اللعن والسباب من غير قصد إليه، فلا يكون فى ذلك نازل منزلة اللعنة الواقعة رغبة منه إلى الله سبحانه وطلبا للإستجابة، فمثل هذه الطرئق ينبغى أن تسلك فى (مثل) هذا الحديث. انتهى.

قلت: ما أحسن هذا التوجيه وما أليقه بمقام النبوة الشريفة.

كلام النووى رحمه الله

قال فى شرحه على صحيح مسلم (٤١٤/٨): هذه الأحاديث مبينة ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته، والإعتناء بمصالحهم والإحتياط لهم، والرغبة فى كل ما ينفعهم.وهذه الرواية المذكورة آخرا تبين المراد بباقي الروايات المطلقة، وأنه إنما يكون دعاؤه عليه رحمة وكفارة وزكاة ونحو ذلك إذا لم يكن أهلا للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه، وكان مسلما، وإلا فقد دعا ﷺ على الكفار والمنافقين، ولم يكن ذلك لهم رحمة. فإن قيل: كيف يدعو على من ليس هو بأهل

الدعاء عليه؟ أو يسبه أو يلعنه ونحو ذلك؟ فالجواب ما أجاب به العلماء، ومختصره وجهان: أحدهما أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له ﷺ استحقاقه لذ لك بأمارة شرعيّة، ويكون في باطن الأمر ليس أهلا لذلك، وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر، و الله يتولى السرائر. والثاني أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية، كقوله تربت يمينك، عقرى حلقي وفي هذا الحديث (لا كبرت سنك) وفي حديث معاوية (لا أشبع الله بطنك) [بطنه].

ونحو ذلك لا يقصدون بشئ من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف ﷺ أن يصادف شئ من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه فى أن يجعل ذلك رحمة وكفارة، وقربة وطهورا وأجرا، وإنما كان يقع هذا منه فى النادر والشاذ من الأزمان، ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا لعّانا ولا منتقما لنفسه اهـ.

قلت: فأنت رأيت توجيه النووي للحديث الذى تمسك به الشيعة فى تنقيص معاوية إن لم نقل تكفيره.

حديث "ما يخرج منه إلا حق"

جاء فى سنن أبي داود (٣٦46):" عن عبدالله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شئ سمعته من رسول الله ﷺ أريد حفظه,فنهتنى قريش وقالوا:أتكتب كل شىء سمعته ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: اكتب فواللذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق".

رواه أبو داود فى كتاب العلم (٣/٣١٨) وأشار إليه الترمذى،وخرجه الإمام أحمد فى المسند (برقم ٦٥١٠) كما جاء فى معالم السنن أيضا (برقم ١٤٤٩).

الجمع بينه وبين الحديث السابق

اعلم أن حديث "أغضب كما يغضب البشر" لايعارض قوله ﷺ "ما يخرج منه إلا حق" بوجه من الوجوه.ومصداق ذلك ما ذكره القاض عياض والنووى وهو أن السب واللعن فى الحديث الأول لو وقع من النبى فهو إما من أجل الحكم بالظاهر المأمور به فى معاملة الناس عامة وإما من جنس ما اعتادته العرب من وصل كلامهم بلا نية وبلا قصد لحقيقته أصلا,وكلاهما حق. وبذا يندفع الإشكال وينتهى.

العلم بالغيب والحضرة النبوية

ما هو الغيب؟

من سفسطة المتنطعين أن يقولوا لك إنما أخبر الله به نبيه وعلمه إياه ليس من علم الغيب وكأنه من الممكن أن يعلم العبد شيئا بدون تعليم من الله تعالى له!

فنقول أولا, قال العلامة ابن منظور فى لسان العرب (٦٥٤/١): "والغيب كل ما غاب عنك (قال) أبو إسحاق فى قوله تعالى: يؤمنون بالغيب أي يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبرهم به النبى ﷺ من أمر البعث والجنة والنار وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب وقال ابن الأعرابى يؤمنون بالله قال والغيب أيضا ما غاب عن العيون وإن كان محصلا فى القلوب أوغير محصل وغاب عن الأمر

غيبا وغيابا وغيبة وغيبوبة ومغابا ومغيبا وتغيب بطن"

اهـ.

قلت: وفى "مفردات القرآن" للشيخ المراغى(243/1):والغيب:ما غيب علمه عن الناس بعد تمكينهم من أسباب العلم به،وهو قسمان:

1-غيب حقيقى:وهو ما غاب عن جميع الخلق حتى الملائكة وهو المعنيّ بقوله عز اسمه:"قل لا يعلم من فى السماوات والأرض الغيب إلا الله".

2-غيب إضافى:وهوما غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض كالذى يعلمه الملائكة من أمر عالمهم وغيره ولا يعلمه البشر.أما يعلمه بعض البشر من أسبابه واستعمالهم لها ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أو

عجزهم عن استعمالها فليس بداخل فى عموم الغيب الوارد فى كتاب الله.

وهذه الأسباب ضروب:

1-ما هو علمى كالدلائل العقلية والعلمية،فعلماء الرياضة يستخرجون من دقائق المجهولات ما يعجز عنه اكثر الناس ويضبطون ما يقع من الخسوف والكسوف بالدقائق والثواني قبل وقوعه بألوف الاعوام.

2-ما هو عملى كالبرق الأثيرى(التلغراف اللاسلكى)الذى يعلم به المرء ما يقع فى اقاصى البلاد من وراء البحار وبينه وبينها ألوف الأميال.

3-ما هو إدراكات نفسية خفية تصل إلى مرتبة العلم كالفراسة والإلهام،وأكثر هذا النوع هواجس تلوح للنفس ولا يجزم بها الإنسان إلا بعد وقوعها ا هـ ملخصا.

قلت:والغيب الحقيقى فى تعبيره هو المطلق فى اصطلاح الآخرين،والإضافى هو النسبى أو المقيد ولا مشاحة فى الإصطلاح.

وقد تحدث الله تعالى عن الغيب فى مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى: (وما كان الله ليطلعهم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ,الآيه آل عمران : ١٧٩).

وقوله (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك، إن أتبع إلا ما يوحى إليه، الآية، الأنعام:٥٠).

وقوله: (قل لا أملك لنفسى نفعا ولاضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون، الأعراف: ١٨٨).

وقوله: (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون، النمل: ٦٥).

وقوله – بنفس المعنى: (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم،الآية، الأحقاف: ٩).

وقوله: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا، الجن: ٢٦).

فهذه الآيات فيها إطلاقات وتقييدات فيما يتعلق بإطلاع الله تعالى أنبياءه وصفوة البشرعلى المغيبات لمن نور الله بصيرته.والرسول ﷺ خاصة شرفه الله تعالى بعلم ما شاءه الله وأراده من ذلك كما كرم سائر الأنبياء والأولياء, وحتما فحال النبي المصطفى ﷺ أكمل من حال غيره.

الوحي بالغيب لا يغيّر إسمه

من قال ليس من الغيب ما أخبر الله به نبيه وما أوحاه إليه من علمه تعالى فهو كاذب كذّبه:

(١) قوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين, هود: ٤٩).

(٢)وقوله: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون، يوسف: ١٠٣).

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

وهدف أولئك فى آخر المطاف هو التوصل إلى تكذيب فضائل الأولياء من أهل الله الصالحين وما يحكى من كراماتهم.وبفرض أن تلك الكرامات غلو وخرافات فلم

ينقل عن جميع هؤلاء مثل ما نقل عن ابن تيمية كما سنتحفه القارئ فى آخر هذا الباب.

.وانظر الآن إلى ما قاله العلماء ممن سوى المبتدعة.

كلام الإمام النووي رحمه الله

جاء فى "النوازل الجامعة " أو " نواز الجامع "(ص ٦٦٧):

وسئل – أي النووى – عن معنى قوله تعالى (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) (النمل: ٦٥)، وقول النبى ﷺ: "لا يعلم ما فى غد إلا الله" وأشباه هذا من القرآن والحديث مع أنه قد وقع علم ما فى غد من معجزات الأنبياء وصلوات الله و سلامه عليهم، وفى كرامات الأولياء رضي الله عنهم.

فأجاب: معناه: لا يعلم ذلك استقلالا وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله تعالى. وأما المعجزات والكرامات؛ فحصلت بإعلام الله تعالى للأنبياء والأولياء لااستقلالا.

وهذا كما تعلم أن الشمس إذا طلعت تبقى ست ساعات نحوها ثم ترول، ثم تبقى نحو ذلك ثم تغرب، ثم تبقى مجموع ذلك أو نحوه ثم تطلع، وهكذا القول فى القمر وغيره من الأمور التى يعلم وقوعها فى المستقبل ، وليس هو علم غيب علمناه استقلالا، وإنما علمناه بإجراء الله تعالى العادة اهـ.

للأنبياء نصيب من علم الغيب

قال القرطبي فى تفسيره (٨٢/١٤) تحت قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة، الآية، لقمان: ٣٤): وقال ابن عباس: هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى، فمن ادعى أنه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقرآن، لأنه خالفه. ثم إن الأنبياء يعلمون كثيرا من الغيب بتعريف الله تعالى إياهم انتهى.

القول فى الخمس التى لا يعلمهن إلا الله

فى الآية الآتية تناول القرآن موضوع الغيب بشكل شامل فقال تعالى: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم

ما فى الأرحام وما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير، لقمان: ٣٤).

قال العلامة الألوسى فى "روح البيان" (١٠٨/١١-١١١) بعد كلام: وظاهر هذه الأخبار يقتضى أن ما عدا هذه الخمس من المغيبات قد يعلمه غيره عز وجل وإليه ذهب من ذهب..... وصرح بعضهم باستئثار الله تعالى بهن، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن قتادة أنه قال فى الآية: خمس من الغيب استأثر الله تعالى بهن فلم يطلع عليهن ملكا ولا نبيا مرسلا إن الله عنده علم الساعة ولايدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة فى أي سنة ولا فى أي شهر أليلا أم نهارا وينزل فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث

أليلا أم نهارا ويعمل ما فى الأرحام فلا يعلم أحد ما فى الأرحام أذكرا أم أنثى أحمر أو أسود ولا تدري نفس ماذا تكسب غدا أخيرا أم شرا وما تدري بأي أرض تموت ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض أفي بحر أم في بر فى سهل أم في جبل، والذي ينبغي أن يعلم أن كل غيب لا يعلمه إلا الله عز وجلّ وليس المغيبات محصورة بهذه الخمس وإنما خصت بالذكر لوقوع السؤال عنها أو لأنها كثيرا ما تشتاق النفوس إلى العلم بها، وقال القسطلانى: ذكر ﷺ خمسا وإن كان الغيب لا يتناهى لأن العدد لا ينفي زائدا عليه ولأن هذه الخمسة هي التى كانوا يدعون علمها انتهى، وفى التعليل الأخير نظر لا يخفى وأنه

يجوز أن يطلع الله تعالى بعض أصفيائه على إحدى هذه الخمس ويرزقه عز وجلّ العلم بذلك فى الجملة وعلمها الخاص به جل وعلا ما كان وجه الإحاطة والشمول لأحوال كل منها وتفصيله على الوجه الأتم، وفى شرح المناوي الكبير للجامع الصغير فى الكلام على حديث بريدة السابق خمس لا يعلمهن إلا الله على وجه الإحاطة والشمول كليا وجزئيا فلا ينافيه اطلاع الله تعالى بعض خواصه على بعض المغيبات من هذه الخمس لأنها جزئيات معدودة، وإنكار المعتزلة لذلك مكابرة انتهى.

ويعلم مما ذكرنا وجه الجمع بين الأخبار الدالة على استئثار الله تعالى بعلم ذلك وبين ما يدل على خلافه

لبعض إخباراته عليه الصلاة والسلام بالمغيبات التى هى من هذا القبيل يعلم ذلك من راجع نحو الشفا والمواهب اللدنية مما ذكر فيها معجزاته صلى الله عليه وسلم وأخباره عليه الصلاة (والسلام) بالمغيبات،

وذكر القسطلانى أنه عزو جل إذا أمر بالغيث وسوقه إلى ما شاء من الأماكن علمته الملائكة الموكلون به ومن شاء سبحانه من خلقه عز وجل، وكذا إذا أراد تبارك وتعالى خلق شخص فى رحم يعلم سبحانه الملك الموكل بالرحم بما يريد جل وعلا كما يدل عليه ما أخرجه البخارى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: "إن الله تعالى وكل بالرحم ملكا يقول: يا رب

نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الرزق والأجل. فيكتب فى بطن أمه فحينئذ يعلم ذلك الملك ومن شاء الله تعالى من خلقه عز وجلّ.

وهذا لا ينافي الإختصاص والإستئثار بعلم المذكورات بناء على ما سمعت منا من أن المراد بالعلم الذى استأثر سبحانه به العلم الكامل بأحوال كل على التفصيل فما يعلم به الملك ويطلع عليه بعض الخواص يجوز أن يكون دون ذلك العلم بل هو كذلك فى الواقع بلا شبيهة,وقد يقال فيما يحصل للأولياء من العلم بشئ مما ذكر إنه ليس بعلم يقيني قال: علي القاري فى شرح الشفا: الأولياء وإن كان قد ينكشف

لهم بعض الأشياء لكن علمهم لا يكون يقينا وإلهامهم لا يفيد إلا أمرا ظنيا ومثل هذا عندي بل هو دونه بمراحل علم النجومي ونحوه بواسطة أمارات عنده بنزول الغيث وذكورة الحمل أو أنوثته أو نحو ذلك ولا أرى كفر من يدعى مثل هذا العلم فإنه ظن عن أمرعادى، وقد نقل العسقلانى فى فتح البارى عن القرطبى أنه قال: من ادعى علم شئ من الخمس غير مسندة إلى رسول الله ﷺ كان كاذبا فى دعواه وأما ظن الغيب فقد يجوز من المنجم وغيره إذا كان عن أمر عادى وليس ذلك بعلم، وعليه فقول القسطلانى من ادعى علم شئ منها فقد كفر بالقرآن العظيم ينبغى أن يحمل العلم فيه على نحو العلم الذى استأثر الله به

دون مطلق العلم الشامل للظن وما يشبهه، وبعد هذا كله أن أمر الساعة أخفى الأمور المذكورة وأن ما أطلع الله تعالى عليه نبيه ﷺ من وقت قيامها في غاية الإجمال وإن كان أتم من علم غيره من البشر صلى الله عليه وسلم وقوله عليه الصلاة والسلام "بعثت أنا والساعة كهاتين" لا يدل على أكثر من العلم الإجمالى بوقتها ولا أظن أن خواص الملائكة عليهم السلام أعلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ويؤيد ظنى ما رواه الحميدى فى نوادره بالسند عن الشعبى قال: سأل عيسى ابن مريم جبريل عليهما السلام عن الساعة فانتفض بأجنحته، وقال: ما المسئول بأعلم من السائل، والمراد التساوى فى العلم بأن الله تعالى

استأثر بعلمها أن يكون الله تعالى أطلع حبيبه عليه الصلاة والسلام وقت قيامها على وجه كامل لكن لا على وجه يحاكي علمه تعالى به إلا أنه سبحانه أوجب عليه ﷺ كتمه لحكمة ويكون ذلك من خواصه عليه الصلاة والسلام، وليس عندى ما يفيد الجزم بذلك اهـ باختصار.

فهذه نصوص المفسرين والمحدثين والفقهاء فى ثبوت إطلاع الله تعالى الخواص من عباده على معلومات غيبية والأنبياء والرسل عليهم السلام هم سادة البشر وخيرة الخلق أجمعين. أما نبينا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فجائز علمه حتى بوقت قيام الساعة علما إجماليا ولائقا بمكانته الرفيعة وليس بواجب عليه إخبار الأمة.

نموذج من علم غيبه ﷺ

الأدلة على هذا الموضوع وافية كافية.وكتب السنة المشرفة مليئة بإخبار النبى ﷺ بالأمور القادمة كأحاديث الفتن فى آخر الزمان وأشراط الساعة والوقائع الأخيرة والحوض ونحو ذلك مما لا ينكر أحد صحته حتى قال القاضى عياض المالكى:"والأحاديث فى هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره"انتهى فى (335/1) من الشفا.

ونكتفي منها بحديثين –صحيحين –روى أولهما البخارى(6649) ومسلم(1843,1846)عن عبد الله قال:قال رسول الله ﷺ(إنكم سترون بعدى أثرة وأمورا

تنكرونها)قالوا فما تأمرنا يا رسول الله؟قال(أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم)انتهى.

والثانى رواه مسلم فى الصحيح (برقم ٥١٤٧) عن حذيفة: قال فيه: قام فينا رسول الله ﷺ مقاما ما ترك شيئا يكون فى مقامه إلى قيام الساعة إلا حدث به خفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وإنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه .انتهى

فالحديث الأول يحتوى على أمر واحد سيحدث فى مسقبل الأمة وربما اشتمل على أكثر من ذلك.أما

الثانى فعلى عدة أشياء مقبلة-- صلى الله على حبيبه وعلى آله وسلم .

العلم بالغيب من كرامات ابن تيمية

عمدة التمسلفة الكبرى وحجتهم العظمى هى قول شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية أو تلاميذه وعلى رأس أولئك العلامة ابن القيم.

فنقول :إن ما أثبتناه للرسول ﷺ ولبعض الأولياء من العلم بالغيب قد ادعاه شيخ الإسلام وأقره له كبار تلاميذه.

فانظر قول العلامة ابن القيم فى منزلة الفراسة من مدارج السالكين (٢/٤٨٩-٤٩٠) :ولقد شاهدت فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أمورا عجيبة ومالم أشاهده منها أعظم أعظم ووقائع فراسة تستدعي سفرا ضخما أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة وأن جيوش المسلمين تكسر وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام وإن غلب الجيش وحدته في الأموال: وهذا قبل أن يهم

التتار بالحركة ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما ترك التتار وقصدوا الشام:أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا فيقال له: قل إن شاء الله فيقول: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا.

وسمعته يقول ذلك قال: فلما أكثروا علي قلت: لا تكثروا كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ: أنهم مهزومون في هذه الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام قال: وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر.

ولما طلب إلى الديار المصرية وأريد قتله بعد ما أنضجت له القدور وقلبت له الأمور: اجتمع أصحابه لوداعه وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك فقال: والله لا يصلون إلى ذلك أبدا قالوا: أفتحبس قال: نعم ويطول حبسي ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رؤوس الناس سمعته يقول ذلك ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك

أخبروه بذلك وقالوا: الآن بلغ مراده منك فسجد لله شكرا وأطال فقيل له: متى هذا فقال: لا تربط خيول الجند على القرط حتى تقلب دولته فوقع الأمر مثل ما أخبر به سمعت ذلك منه

وقال مرة: يدخل علي أصحابي وغيرهم فأرى في وجوههم وأعينهم أمورا لا أذكرها لهم فقلت له أوغيرى لو أخبرتهم فقال:

أتريدون أن أكون معرفا كمعرف الولاة وقلت له يوما: لوعاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الإستقامة والصلاح فقال: لاتصبرون معي على ذلك جمعة أو قال: شهرا وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه ولم ينطق به لساني وأخبرني ببعض حوادث كبار تجرى في المستقبل ولم يعين أوقاتها وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته والله أعلم اه

كلام ابن القيم القاصم لظهر المتنطعة.

أما الحافظ ابن عبد الهادى فيحكى عن المغيثى فى العقود الدرية(ص ٣٧٧-٣٧٩)" فى مرثية له لابن تيمية قوله":

- وله مقام فى الوصول لربه ومقامه نطقت بها الأقتام (الأغتام)

- وله فتوح من غيوب إلهه وتحزن وتمسكن وكلام

- وتصوف,وتقشف,وتعفف وقراءة, وعبادة, وصيام انتهى.

قلت:والمصابون بفيروس الإنكار حتى لضوء الشمس فى رابعة النهار لن يستطعوا-مهما حاولوا- نفى دعوى الإطلاع على اللوح المحفوظ التى قام بها ابن تيمية وأقرها ابن القيم على أنها من فراسة المؤمن,ثم ذكرها ابن عبد الهادى فى كتاب ألفه لترجمته وذكر مناقبه. ولو قال أحد – ولو شاعر مادح – إن للرسول ﷺ ساعة يطلعه الله فيها على ما فى اللوح المحفوظ ويخبر الناس به فما الذى سيسمّونه؟

المهم أن تخصيص النفي العام لعلم الغيب فى حق غير الله تعالى كما جاء فى القرآن وبعض الأحاديث هو الحق الذى يجب المصير إليه, وإنما أوردنا كلام ابن تيمية -الذى سنناقش بمزيد التفاصيل فى الفصل الخاص بموضوع " الغلو فى الدين "- هنا إسكاتا للخصوم فقط, وليس احتجاجا.

و صلى اللهم وسلم على من قال له ربه تبارك وتعالى (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وعلى آله الطاهرين.

بين ليلة القدر وليلة المولد

قال الله تعالى فى التنزيل (إنا أنزلناه فى ليلة القدر؛وما أدراك ما ليلة القدر؛ ليلة القدر خيرمن ألف شهر؛ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر؛سلام هي حتى مطلع الفجر). [القدر:1 -٥] وقال فى موضع آخر (حم؛ والكتاب المبين؛ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا

منذرين؛ فيها يفرق كل أمر حكيم؛ أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين؛ رحمة من ربك, إنه هو السميع العليم) [الدخان: ١-٥].

فمن ثم استُشكل قول معظم الصوفية بأفضلية ليلة المولد على ليلة القدر المباركة.

ونقول: لا داعي لهذا الإستشكال أصلا، لأن القرآن العظيم لم ينص قط – لا فى السورة السابقة ولا فى غيرها –على أن ليلة القدر المباركة أفضل من جميع ليالي السنة.

وغاية ما فعله القرآن هى التنصيص على خيريتها من ألف شهر كما تقدم. وانظر ما قاله المفسرون تعليقا على هذه الآية: قال أبوعبد الله القرطبي (١٣١/٢٠): (ليلة القدر خير من ألف شهر) بين فضلها وعظمها. وفضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل. وفى تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذى لا يوجد فى ألف شهر. والله أعلم. وقال كثير من المفسرين: أي العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر... وقيل عنى بألف شهر جميع الدهر، لأن

العرب تذكر الألف فى غاية الأشياء كما قال تعالى: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة (البقرة: ٩٦) يعنى جميع الدهر. وقيل إن العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله ألف شهر، ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر، فجعل الله تعالى لأمة محمد ﷺ عبادة ليلة خيرا من ألف شهر كانوا يعبدونها اهـ.

وانظر ما قاله البغوى فى تفسيره (٨/٤٩٠-٤٩١) أيضا.

و قد ذكر مثله الشوكانى فى فتح القدير (٨/٣٣) ثم زاد قوله: وقيل: إن النبي ﷺ رأى أعمار أمته قصيرة، فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر، فأعطاه ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم انتهى.

وجوه أفضلية ليلة المولد على ليلة القدر

قال فى "النوازل الجامعة "(١/٢٦١-٢٦٥): فائدة جليلة: صرح الشيخ الخطيب الحاج الرحال أبو عبدالله محمد بن أحمد بن مرزوق رحمه الله بإيثار ليلة مولده ﷺ على ليلة القدر، واحتج بمختاره فى كتابه: "جنا الجنتين فى فضل الليلتين" بإحدى وعشرين وجها، وها أنا أسردها بعون الله قال:

الأول: أن الشرف هو العلو والرفعة، وهما نسبتان إضافيتان، فشرف كل ليلة بحسب ما شرفت به، و[شرف ليلة المولد]بولادة خير حلق الله عز وجل، فثبت بذلك أفضليتها بهذا الإعتبار.

الثاني: أن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ، وليلة القدر معطاة له حسبما قدمناه، وما شرف بظهور ذات المشرف أشرف مما شرفت بسبب ما أعطيه، ولا نزاع فى ذلك، فكانت ليلة المولد بهذا الإعتبار أشرف.

الثالث: إن ليلة القدر إحدى ما منحه من شرفت ليلة المولد بوحود[ه] من المواهب والمزايا وهى لا تحصى كثرة، وما شرف بإحدى

خصائص وثبت له الشرف المطلق لا يتنزل منزلة المشرف بوجود[ه]، فظهر أن ليلة المولد أشرف بهذا الإعتبار، وهو المطلوب.

الرابع: إن ليلة القدر شرفت باعتبارما خصت به، وهو منقض بانقضائها إلى مثلها من السنة المقبلة على الأرجح من القولين، وليلة المولد شرفت بمن ظهرت آثاره، وبهرت أنواره أبدا فى كل فرد من أفراد الزمان إلى انقضاء الدنيا.

الخامس: إن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرفت بظهور النبي ﷺ فيها، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى، فتكون ليلة المولد أفضل من هذا الوجه، و هو المطلوب.

السادس: الأفضلية عبارة عن ظهور فضل زائد فى الأفضل، والليلتان معا اشتركا فى الفضل بنزول الملائكة فيهما معا حسبما سبق مع زيادة ظهور خير الخلق ﷺ فى ليلة المولد، ففضلت من هذا الوجه على

القولين جميعا فى المفاضلة بين الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

السابع: إن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة عليهم الصلاة(والسلام) وانتقالهم فى محالهم من الأعلى إلى الأرض، و ليلة المولد شرفت بوجوده صلى الله عليه وسلم وظهوره,وما شرف بالوجود والظهور أشرف مما شرف بالانتقال.

الثامن: إن ليلة القدر فضلت باعتبار عمل العامل فيها فإذا قدرت أهل الأرض كلهم عاملين فيها فلا يلحقون قدر من شرف به ليلة المولد ولا يلحقون عمله فى لحظة وإن كان فى غيرها، فثبت أفضلية المولد بهذا الإعتبار.

التاسع: شرفت ليلة القدر لكونها موهوبة لأمة محمد ﷺ، وشرفت ليلة المولد بوجود من وهبت ليلة القدر لأمته ﷺ اعتناء به فكانت أفضل.

العاشر: ليلة القدر وقع التفضيل فيها على أمة محمد ﷺ، وليلة المولد الشريف وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات، فهو الذى بعثه الله رحمة للعالمين فقال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء:١٠٧) فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعم نفعا بهذا الإعتبار فكانت الشرف وهو المطلوب.

الحادي عشر: إن ليلة المولد فضلت على غيرها من ليالى السنة بولادته ﷺ، فإنك تقول فيها ليلة مولد محمد ﷺ,وتقول فى ليلة القدر وهو الشرف، وأما التقدير والإضافة إلى ليلة المولد إضافة اختصاص؛ وهى أفضل وأبلغ من الإضافة إلى مطلق الشرف، أو ليلة التقدير فهي وإن كان التقدير فيها من لوازم شرفها فاعتباره فى ليلة المولد ليلة الشرف العام بلا افتراء؟ فثبت فضل ليلة المولد وهو المطلوب.

الثاني عشر: إن ليلة القدر إنما يحظى بها العامل فيها فمنفعتها قاصرة, وليلة المولد متعدية منفعتها,وما كانت منفعتها متعدية أفضل من غيرها وهو المدعى.

الثالث عشر: إن ليلة القدر ثبت فى فضلها ما ثبت مما قدمناه إلا أنه عرض فيها من الخلاف فى البقاء والرفع,وإن ضعف, وليلة مولده ﷺ شرفها باق لما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى وكانت أفضل بهذا الإعتبار.

الرابع عشر: المدعى أن ليلة المولد أفضل,ويدل عليه أن تقول: زمن شرف بولادته ﷺ وإضافته إليه, واختص بذلك, ولكن أفضل الأزمنة قياسا على أفضلية البقعة التى اختصت بمحمد ﷺ

ولحد بين:أطباقهاها على سائر الأمكنة,وقد فضلت إجماعا فليكن الزمن الذى اختص بولادته ﷺ أفضل الأزمنة بهذا الإعتبار.

الخامس عشر : إن ليلة القدر فرع ظهوره ﷺ,والفرع لا يقوى قوة الأصل ففضلت ليلة المولد على ليلة القدر بهذا الإعتبار وهو المطلوب.

السادس عشر: إن ليلة المولد حصل فيها من الفيض الإلهى النورانى ما عم الوجود ووجوده مقارن لوجوده ﷺ, ولم يقع ذلك إلا فيما وجب فضلها على غيرها وهو المدعى.

السابع عشر: إن ليلة المولد أظهر الله تعالى فيها أسرار وجوده صلى الله عليه وسلم التى ارتبطت بها السعادة الأخروية على الإطلاق,واتضحت للحقائق وتميز بها الحق من الباطل, و ظهر ما أظهر الله تغالى فى الوجود من أنوار السعادة وسبيل الرشاد, وافترقت به فريق الجنة من فريق السعير, وتميز وعلا به الدين وأظلم الكفر وهو الحقير, إلى غير ذلك من أسرار وجود الله عز وجل فى مخلوقاته, وما هو الموجود من آياته؟ ولم يثبت ذلك فى ليلة من ليالى الزمان,فوجب بذلك تفضيلها بهذا الإعتبار وهو المطلوب.

الثامن عشر: وهو تنويع فى الإستدلال, وإن كان معنى ما تقدم وهو أن نقول: لو لم تكن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر للزم أحد أمور, وهى: إما تفضيل الملائكة على النبى ﷺ,أو العمل المضاعف أو

التسوية,وكلها ممتنع, أما الأول فعلى الصحيح المرتضى, وأما الثانى, والثالث فباتفاق وبيان الملازمة أن التفضيل فى الأول حصل بولادته ﷺ, وفى الثانية إما بنزول الملائكة أو للعمل.

العشرون: أن بعض زمان المولد الشريف هو زمان ولادته صلى الله عليه وسلم, وولادته ﷺ أفضل الأزمنة, فإذا فضل بعض على سائر الأزمنة فضلا ليلة القدر[فضل ليلة المولد] بهذا الإعتبار.انتهى مع حذف الحادى والعشرين لكثرة الإشكال فى نصه

ما هى الليلة المقصودة؟

ثم أضاف قائلا: اعلم أن الليلة التى ولد فيها وسول الله ﷺ بعينها لا ينبغى أن يختلف فى تفضيلها على كل ليلة من الليالى على الإصلاق باعتبار الواقع فيها, وإنما الكلام فى تفضيل ما وافقها من ليالى السنة, وهذا هو الذي ينظر فيه مع ليلة القدر.

فإن قلت: دل الدليل على أن ما تختص به ليلة القدر موجود فى كل سنة على القول المشهور من بقائها وعدم رفعها, ولم يثبت فى ليلة المولد ما يجب اعتبارها فى كل سنة فوجب تفضيل ليلة القدر.

قلت: دل الدليل على مراعاة فضلها باعتبار تكرر زمانها حسبما رويناه فى صريح الصحيح، وهو ما حدثناه به شيخنا شمس الذين (الدين) بن القماح، نا رضي الدين إبراهيم بن مصر الواسطي، نا أبو التقى منصور بن عبد المنعم الفراوي، نا الإمام أبو عبدالله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي، نا الإمام عبد الغافر الفارسي، نا أبو أحمد الجلودي، نا إبراهيم، نا إبراهيم بن سفيان الفقية، نا مسلم، نا زهير بن حرب,نا عبد الرحمن بن مهدي بن ميمون، عن غيلان، عن عبدالله بن معمر, عن أبي قتادة "أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الإثنين فقال: فيه ولدت وفيه أنزل علي " أخرجه مسلم، وفى طريق "وفيه بعثت أو أنزل على فيه"، رويناه فى "سنن النسائى" من طريق الأحمر، وهي الطريق التى انفرد بها المغاربة على حسب ما قررناه

فى برنامج المرويات، وفى كتاب "عجالة المستوفز المستجاز فى ذكر من سمع دون من أجاز، بالمغرب والشام والحجاز"، وخرجه من طريق قتادة هذا عنه فليراجع.

قلت: ثبت بهذا الحديث استمرار أفضلية ليلة المولد وصبيحتها, فشرفها باق ورعي زمانها ثابت, إذ لا نزاع فى صحة الحديث, ولا يرد عليه شئ من الأسئلة الواردة على المتون كما تقرر عند الأصوليين وأهل النظر.فالحاصل فى ليلة القدر حاصل فيها مع مزية عدم الإختلاف الموجود فى ليلة القدر, وهذا أدل على ما ذهب إليه, والمنة لله عز وجل انتهى.

وقال المعلق على "الذخائر المحمدية" –الأستاذ فاروق جبريل محمود الدقاق (ص ٣٩):"ورأيت فى نسخة علق عليها المؤلف بخطه: وفهم بعض الجهال أن المفاضلة بين ليلة القدر وليلة المولد المتكررة فى كل عام وغاب عن عقولهم أن المقصود بليلة المولد: أي التي مضت وانقضت ووقع فيها الميلاد وهي كانت قبل ليلة القدر قطعا بلا شك".

قلت: فى القول الأول تفضيل ليلة المولد -الأصلية والمتكررة- على ليلة القدر وفى الثانى تفضيلها بدون المتكررة.

ابن تيمية يفضل ليلة الإسراء على ليلة القدر

قال المعلق السابق: هذا ولقد شنّع بعض المعاصرين على ما ذهب إليه المؤلف بأن ليلة الميلاد أفضل من ليلة القدر,ولم نجد لهذا التشنيع سببا مقبولا إلا أن يكون داء الصدر ومرض القلب!!

فأولا, السيد المؤلف لم يبتدع هذا القول ولم يأت به من عند نفسه ويكفى أنه سبقه إليه الإمام القسطلانى فى المواهب,وذكر الإمام النبهانى فى جواهر البحار أن الإمام الطحاوى نقله عن بعض علماء الشافعية.

ثانيا: القول بأن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر لا يصادم نصا شرعيّا صريحا أو حتى غير صريح من كتاب أو سنة, فليس هناك ما يفيد أن ليلة القدر هى أفضل الليالى على الإصلاق بل الذى ورد أنها ليلة

مباركة وأنها خيرمن ألف شهر وأنها ليلة نزول القرآن الكريم, وهذا كله لا يعنى أنه ليس هناك ليلة أفضل منها فقد نقل ابن القيم (رحمه الله) عن شيخه ابن تيمية أنه سئل أيهما أفضل ليلة الإسراء أم ليلة القدر؟ فقال: إن ليلة الإسراء –إن قصد بها الليلة التى أسرى فيها برسول الله ﷺ وحصل له فيها ما لم يحصل فى غيرها من غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولاعبادة فهذا صحيح. زاد المعاد. انتهى كلامه.

قلت: ومن قال: إن شيخ الإسلام قد حذّر هنا من تخصيص الليلة – ليلة الإسراء وغيرها مما لم يرد فيه شىء من ذلك – بنوع من العبادة وأنتم تخصون به ليلة المولد.

يقال له: المطلوب هو الإستدلال بكلام ابن تيمية وموافقته فى أمرين على الأقل:

الأول: فى أنه لم يرد نص قرآنى ولا حديثي فى أفضلية ليلة القدر على جميع ليالي السنة وإن صرّح القرآن الكريم بخيريّتها من ألف شهر.

الثاني: فى ثبوت تفضيل بعض الليالى المباركة على ليلة القدر من العلماء السابقين, منهم ابن تيمية وقبله بعض الشافعية كما سينقله الطحاوى وكما مر عن العلامة النبهانى أيضا.

قال الألوسي فى "روح المعانى"(٤١٧/١٥):

"ونقل الطحاوى عليه الرحمة فى حواشي المختار عن بعض الشافعية أن أفضل الليالى ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ثم ليلة القدر ثم ليلة الإسراء والمعراج ثم ليلة عرفة ثم ليلة الجمعة ثم ليلة النصف من شعبان ثم ليلة العيد وأنا لا أرى أن له ما يعول عليه فى ذلك والله أعلم انتهى.

قلت: المهم هو إثبات نقل الطحاوي عن هؤلاء وليس مناقشة العلامة الألوسى أو رأيه.

فإن قلت:جاء أثر عن عطاء بن يسار (19-103 هـ)يقول:ما من ليلة بعد القدر أفضل منها,يعنى ليلة النصف من شعبان ينزل الله تبارك

وتعالى إلى سماء الدنيا فيغفر إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم".أخرجه اللالكائي فى شرح أصول إعتقاد أهل السنة (255/2,و451/3) وعلق عليه الدكتور محمود صبيح فى ليلة النصف من شعبان(83/1-84) بقوله:"ومثل هذا الخبر لا يقال عن اجتهاد, فأصله مرفوع" ا هـ.

فهذا نص واضح من عطاء فى أن ليلة القدر هى أفضل الليالى وتليها ليلة النصف من شعبان.

قلت:المقصود بقول الدكتور "لا يقال عن اجتهاد" هو جملة " ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا فيغفر إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم" فهى ثابتة فى أحاديث مرفوعة.أما نقطة التفضيل فهى محض اجتهاد,إذ- كما قلنا-ليس فى ذلك نص القرآن الكريم ولا الحديث الشريف.والله أعلم.

بعض النهى للتأديب

ينهى النبى ﷺ عن أشياء لحكمة التأديب،فتراه ﷺ يقر شخصا على ما نهى عنه آخر.

مثال ذلك أننا قدمنا أن النبي ﷺ ومن شاء الله من الأنبياء والصالحين يطلعهم الله تعالى على ما شاء من حقائق ومعلومات من خزائن غيبه تكريما وتشريفا لهم, كل حسب مقامه ومنزلته عند الله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).

فإذا جاء خبر يقول إن النبى عليه الصلاة والسلام ينفى عن نفسه العلم بالغيب مطلقا يجب أن تفهم أن مراد ذلك النهى أو النفي "التأديب" إما فى استعمال الألفاظ وإما فى التربية الإعتقادية لأمته.وقس على ذلك ما جاء فى مسائل مشابهة.

نـهى النبي من نسب العلم الغيب إليه

أخرج الإمام أبو عبدالله البخاري فى صحيحه (برقم ٥١٤٧) عن خالد بن ذكوان قال قالت الربيع بنت معوذ ابن عفراء: جاء النبي ﷺ – فدخل حين بنى عليّ، فجلس على فراشى كمجلسك منى، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن وفينا نبي يعلم ما فى غد فقال (دعى هذه، وقولي بالذى كنت تقولين).

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢٠٣/٩): وإنما أنكر عليها ما ذكر من الإطراء حيث أطلق علم الغيب له وهو صفة تختص بالله تعالى كما قال تعالى قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وقوله لنبيه قل لا أملك لنفسي نفعا ولاضرا إلا ما شاء الله ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وسائر ما كان النبي ﷺ يخبر به من الغيوب بإعلام الله تعالى إياه لا أنه يستقل بعلم ذلك كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول اهـ.

قلت: فخطر الإطلاق هو نقطة التنبيه والتأديب فى هذا الحديث لاحتمال الإشراك فى التسوية بين الله سبحانه وتعالى وخلقه.

النهى عن التلقيب بلفظ "السيد"

(١) روى النسائي فى الكبرى (70/٦) برقم (٤٣٣/٢-٤٣٤) والضياء المقدسى فى المختارة والإمام أحمد فى المسند (٢٥/٤) عن أنس: أن رجلا قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله عليه وسلم: يأيها الناس قولوا بقولكم ولاتستجرينكم الشياطين، أنا محمد بن عبدالله أنا عبدالله ورسوله وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتى التى أنزلنيها الله" وعند أحمد قال " وربما قال "ولا يستهوينكم".

(٢) و فى غزوة الخندق – فى الحديث الطويل – لما قال صلى الله عليه وسلم "قوموا إلى سيدكم فأنزلوه قال عمر: سيدنا الله عز وجل الحديث أخرجه أحمد (١٤٢/٦) وابن حبان (٤٩٨/١٥) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٢٦/٦): رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة و هو حسن الحديث وبقية رجاله تقات.

قلت: فى الحديث الأول نهى الناس عن تسميته بـ "السيد" وعن إطلاقه عليه ﷺ وفى الثاني استشكال عمر رضي الله عنه لتلقيب الصحابى سعد بن معاذ بذلك من النبى ﷺ.

ورود التلقيب بلفظ "السيد"

(١) عن سيدنا رسول الله ﷺ :

روى البخارى (٣٤٦٣) و الضياء فى المختارة (٢/٣٥٧-٣٥٨) والنسائى فى الكبرى (٦/٧١) (رقم ١٠٠٧٩ و1 8٠٠١) ولفظه عن أبي موسى: قال سمعت الحسن يقول سمعت أبا بكرة يقول:لقد رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن معه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول إن ابني هذا سيدا ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين اهـ.

(٢) وقبله عند النسائى أيضا عن سعيد بن أبي سعيد قال: كنا مع أبي هريرة جلوسا فجاء حسن بن علي بن أبى طالب فسلم علينا فرددنا عليه وأبو هريرة لا يعلم فمضى فقلنا يا أبا هريرة هذا

حسن بن علي قد سلم علينا فقام فلحقه فقال يا سيدى فقلنا له تقول يا سيدى قال إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه لسيد). (راجعه برقم ١٠٠٧٩).

(٣) خرج البخارى فى الصحيح (١٣٧١/٣، برقم ٣٥٤٤) عن جابر قال: كان عمر (رضي الله عنه) يقول: أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالآ.

(٤) وفى القصة الطويلة لوفاة رسول الله عليه وسلم كما خرجها البخارى أيضا (١٣٤١/٣، رقم ٣٤٦٧):... ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال فى كلامه نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال حباب بن المنذر لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا فبايعوا عمر وأبا عبيدة بن الجراح فقال عمر بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ

عمر بيده فبايعه وبايعه الناس فقال قائل قتلتم سعدا فقال عمر قتله الله الخ.

توجية الأحاديث السابقة

أما الحديث الأول فظاهره أن النبي ﷺ عرضت له حالة عبودية مستغرقة فى التواضع والتذلل لربه تعالى فأرشد القائل إلى تسميته بأحب الأسماء إليه كما يبدوا من قوله "ما أحب أن أرفع فوق منزلتي التى أنزلنيها الله".

كيف وهو القائل "أنا سيد الناس يوم القيامة "؟ رواه البخاري (٢٣٧٥) ومسلم (١٩٤) وهو الذي سمى ابنه الحسن بن علي" سيدا " كما تقدم؟

وقد يكون الأمر أنه أراد تثبيت العبودية الحقة لنفسه الشريفة تأديبا للمخاطب. وعادته أن يفعل ذلك بالصغار من صحابته أو من هو حديث عهد بالإسلام منهم رضوان الله عليهم كما هو موجود فى كتب السنة والسيرة النبوية.

والحديث الثانى فيه مشاهدة محضة للحقيقة الإلهية عرضت لسيدنا عمر بن الخطاب فحجبته فى الحال عن رؤية غير الله تعالى سيدا ولم يكن فعله إعتراضا على قول الرسول ﷺ وحاشاه رضي الله.

يؤيد قولنا أنه نفسه لقب الصديق رضي الله عنه به بعد ذلك فى البيعة للصديق بعد وفاة النبي ﷺ ومعلوم أن قوله ﷺ لسعد بن معاذ "سيد" كان فى غزوة الخندق. ومثله أيضا فعل الصحابي أبى هريرة مع الإمام الحسن بن على بن أبي طالب أمام أصحابه واستدلاله بقول النبى صلى الله عليه وسلم له "سيدا" فى الحديث السابق. فالحمد لله تعالى.

لفظ "السيد" فى الصلاة على النبي ﷺ

من زاد لفظ "السيد" فى الصلاة على النبي ﷺ فليس بمبتدع.فليس كل زيادة فى الدين – سواء فى الأذكار أو الأدعية النبوية أو غير ذلك – تكون بدعة إلا عند من لا يفهم الأمور أو شان فهمه تلبيس وتمويه.

قال العلامة الشوكاني فى نيل الأوطار (٣٢٩/٢) (باب ما يستدل به على تفسير آله المصلى عليهم) قوله: (فليقل اللهم صلى على محمد) قال الأسنوي: قد اشتهر زيادة سيدنا قبل محمد عند أكثر المصلين وفى كون ذلك أفضل نظر اهـ. وقدروي عن ابن عبد السلام أنه جعله من باب سلوك الأدب وهو مبني على أن سلوك الأدب أحب من الإمتثال ويؤيده حديث أبي بكر حين أمره صلى الله عليه وسلم أن يثبت مكانه فلم يمتثل وقال ما كان لأبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك امتناع على عن محو اسم النبي ﷺ من الصحيفة في صلح الحديبية بعد أن أمره بذلك وقال لا أمحواسمك أبدا وكلا الحديثين

في الصحيح فتقريره ﷺ لهما على الإمتناع من امتثال الأمر تأدبا مشعر بأولويته اهـ.

وقد ذكرنا فى "الفوائد" فى فصل "تقسيم البدعة عن السلف والعلماء عمليا" زايادات فى العبادات والأذكار والأدعية المأثورة من ذلك قولنا-نقلا عن "إتقان الصنعة"-:

4- زاد عبدالله بن عمر فى التلبية

عن نافع عن ابن عمر: أن تلبية رسول الله ﷺ لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك،إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. وكان عبدالله بن عمر يزيد فى تلبيته: لبيك وسعديك والخير بيديك، لبيك والرغباء إليك والعمل اهـ.

قال الحافظ الغمارى رواه الستة، والحديث عندى فى صحيح مسلم برقم (١١٨٤) وسنن أبي داود (١٨١٢) والترمذى (٨٢٧) وحكى جواز الزيادة لعامة المسلمين – الإمام الترمذى عن الشافعى عقب الحديث.

٥-زاد أبوه أيضا – عمر بن الخطاب – فى التلبية كما فى صحيح مسلم (رقم ١١٨٧).

6- زاد عبدالله بن عمر فى التشهد "وبركاته" وكذلك "وحده لاشريك له".

والحديث فى سنن أبي داود (برقم 971). قال الغمارى من ص : ٧٠ – قلت: زيادة وبركاته صحت من حديث ابن مسعود وزيادة وحده لا شريك له، صحت من حديث أبي موسى لكن ابن عمر لم يسمعها، أو لم تصح عنده، فزادها باجتهاده، وهذا يدل على أنه لا يرى بأسا فى الزيادة على الذكر المأثور فى الصلاة. اهـ.

7- كان سيدنا بلال يصلى ركعتين بعد كل وضوء – اجتهادا منه كما فى صحيح البخارى (برقم ١١٤٩) ومسلم (برقم ٢٤٥٨) وقد بشره النبى ﷺ على ذلك بالجنة.

8- زاد بعض الصحابة لفظ "حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه" بعد رفع النبى ﷺ من الركوع.رواه البخارى أيضا (برقم ٧٩٩) ومسلم (برقم ٦٠٠).

فاك هو فهم السلف والأئمة.أما عند أصحاب التصفية فمبتدع كل من قسم البدعة إلى محمودة ومذمومة ،وكذا من استحسن أمرا محدَثا-لا يرضونه هم-واستنبطه من القواعد الشرعية المعلومة.فإنا لله وإنا إليه راجعون.انتهى بتصرف.

تنبيه: حديث "لا تسودونى فى الصلاة" حديث باطل موضوع لا أصل له. قال الحافظ السيوطي فى "الحاوى "(٣٣٢/١)، مسألة: هل ورد حديث (لا تسودونى فى الصلاة)؟ الجواب: لم يرد ذلك والله أعلم اهـ.

جمع "الله" و"رسوله" فى ضمير واحد

عن عدي بن حاتم: أن رجلا خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال رسول الله ﷺ بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله".

أخرجه مسلم (٨٧٠) فى "باب تخفيف الصلاة والخطبة".

كلام القاضي عياض

تعليقا على الحديث السابق، قال القاضي عياض فى "إكمال المعلم" (١٥٢/٣-١٥٣): وقوله فى الذى خطب: بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله) أنكر عليه السلام – جمع اسمه مع اسم الله فى كلمة واحدة وضمير واحد؛

لما فيه من التسوية؟ تعظيما لله تعالى، وقد قال – عليه السلام – لايقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ثم شاء فلان، وذلك

لما في معنى (ثم) من التراخي، بخلاف الواو التي تقتضي التسوية، وإن كان الله تعالى قد شرف نبينا بذكره مثل ذلك في حقه، وغدت من خصائصه، كقوله: (وأطيعوا الله والرسول) وآمنوا بالله ورسوله) وشبه هذا (أحسب) وفيه: توقي الكلام المجمل والمحتمل – في حق الله، والتخفظ من إيراد أمثاله في الخطب والمقامات المشهودة وهذا [بيق] في معنى الحديث، وعليه إنكاره – عليه السلام – وقد روي أن إنكاره عليه السلام (و) وقوفه على قوله: (ومن يعصهما) [أ] واحتج به المفسرون على تخطئة الوقوف على غير التام، وما رده – عليه السلام – في الكتاب عليه، وهوأصح، يخالف هذه الرواية. وقدا ختلف المفسرون في قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي (الأحزاب: ٥٦) هذا الضمير راجع إلى نفنسه والملائكة، (فأ)جازه بعضهم،ومنعه آخرون، لعلة التسوية والتشريك،

وخصوا الضمير بالملائكة، وقدروا الآية أن الله يصلي والملائكة يصلون اهـ.

كلام الإمام النووي

قال النووى تعليقا عليه فى شرح صحيح مسلم (١٥٩/٦-١٦٠):

قوله إن رجلا خطب عند النبي ﷺ فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال رسول الله ﷺ بئس الخطيب أنت قال ومن يعص الله ورسوله فقد غوى قال القاضي وجماعة من العلماء إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضي للتسوية وأمره بالعطف تعظيما لله تعالى بتقديم اسمه كما قال ﷺ في الحديث الآخر لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان والصواب أن سبب النهي أن الخطب شأنها البسط والإيضاح واجتناب الإشارات والرموز ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا ليفهم وأما قول الأوليين فيضعف بأشياء سنها أن مثل هذا الضمير قد تكرر في الأحاديث الصحيحة من كلام رسول الله ﷺ كقوله ﷺ

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وغيره من الأحاديث وإنما ثنى الضمير هاهنا لأنه ليس خطبة وعظ وإنما هو تعليم حكم وكلما قل لفظه كان أقرب إلى حفظه بخلاف خطبة الوعظ وإنه ليس المراد حفظه وإنما يراد الإتعاظ بها ومما يؤيد هذا ما ثبت في سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله (وأشهد أن محمدا عبده ورسول أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا والله أعلم اهـ.

تعليق الحافظ ابن حجر

عند شرح حديث البخارى : "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما الخ. (صحيح البخارى برقم: ١٦، و مسلم برقم :٤٣)قال الحافظ نقلا عن

البيضاوي رحم الله الجميع: وقال الشيخ محي الدين هذا حديث عظيم أصل من أصول الدين ومعنى حلاوت الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فى الدين وإيثار ذلك على أعراض الدنيا ... ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول وإنما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل و من لا يعقل قال وفيه دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية وأما قوله للذى خطب فقال ومن يعصهما بئس الخطيب أنت فليس من هذا لأن المراد فى الخطب الإيضاح وأما هنا فالمراد الإيجاز فى اللفظ ليحفظ ويدل عليه أن النبي ﷺ حيث قاله فى موضع آخر قال ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه واعترض بأن هذا الحديث إنما ورد أيضا فى حديث خطبة النكاح وأجيب بأن المقصود فى خطبة النكاح أيضا الإيجاز فلا نقض وثم أجوبة أخرى منها دعوى الترجيح فيكون حيز المنع أولى لأنه عام والآخر يحتمل الخصوصية ولأنه ناقل والآخر مبني على الأصل ولأنه قول

والآخر فعل ورد بأن احتمال التخصيص فى القول أيضا حاصل بكل قول ليس فيه صيغة عموم أصلا ومنها دعوى أنه من الخصائص فيمتنع من غير النبي ﷺ ولا يمتنع منه لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاقه التسوية بخلافه هو فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك وإلى هذا مال ابن عبد السلام ومنها دعوى التفرقة بوجه آخر وهو أن كلامه ﷺ هنا جملة واحدة فلا يحسن إقامة الظاهر فيها مقام المضمر وكلام الذى خطب جملتان لا يكره إقامة الظاهر فيهما مقام المضر وتعقب هذا بأنه لا يلزم من كونه لا يكره إقامة الظاهر فيهما مقام المضمر أن يكره إقامة المضمر فيهما مقام الظاهر فما وجه الرد على الخطيب مع أنه هو صلى الله عليه وسلم جمع كما تقدم ويجاب بأن قصة الخطيب كما قلنا ليس فيه صيغة عموم بل هى واقعة عين فيحتمل أن يكون فى ذلك المجلس من يخشى عليه توهم التسوية كما تقدم ومن محاسن الأجوبة فى الجمع بين حديث الباب وقصة الخطيب أن تثنيته

الضمير هنا للإيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فإنها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى فمن يدعى حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ويشير إليه قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فأوقع متابعته مكتنفة بين قطري محبة العباد ومحبة الله تعالى للعباد وإنما أمر الخطيب بالإفراد فلأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية إذ العطف فى تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين فى الحكم ويشير إليه قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فأعاد أطيعوا فى الرسول ولم يعده فى أولى الأمر لأنهم لا استقلال لهم فى الطاعة كاستقلال الرسول انتهى من كلام البيضاوي والطيبي راجع الفتح (١/٦١-٦٢).

وقالل الدكتور محمود صبيح فى كتاب "حتى لاتحرم" ص ١٥٣ عن ذلك: فانظر إلى قوله ﷺ "مما سواهما" بل قال الله عز

وجل (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الأرض من ولي ولا نصير، التوبة ٧٤) وقول النبى ﷺ يغلق الأبواب أمام المتنطعين حتى لا يقولوا "الإشراك برسول الله" اهـ.

قلت: ويؤكد ما سبق أن مخرجه الإمام المحدث الفقيه – مسلم- ترجم له بقوله "باب تخفيف الصلاة والخطبة". وما أحسن تعليم وما ألطف حكمة وتربية من قال فيه ربه: (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين، آل عمران: ١٦٤)ﷺ.

حياة الأنبياء عليهم السلام

تمهيد:

هذا موضوع يدور عليه الحوار حول عدة أشياء – خصوصا أشياء متعلقة بأحوال الصوفية من أهل الله وما يحكونه من تلقى المدد والمعارف من أرواح الأنبياء وعباد الله الصالحين.

فهذا فصل أفردناه لمن أراده الله بلطفه ورشاده جعلنا الله جميعا من المهتدين.

أبسط الأقوال هو:أن حياة الأنبياء – حياة برزخية عالية – ثابتة عن طريق القياس الأولى بثبوت حياة الشهداء بشكل مستمر فى القرآن الكريم عند قوله تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون, البقرة:154) وقوله (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون(169).فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون, آل عمران:170)

وثابتة أيضا بنص الحديث النبوي الصريح وهو ما رواه الإمام البيهقى عن أنس أن النبي ﷺ قال: << الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون>>.

أخرجه فى السلسلة الصحيحة برقم (٦٢١).

من الأدلة على حياة الأنبياء

قال الجلال السيوطى فى "أنباء الأذكياء بحياة الأنبياء" – ضمن الحاوى (178/2-187) :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.وقع السؤال – قد اشتهر أن النبى ﷺ حي فى قبره وورد أنه ﷺ قال :<<ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام>> فظاهره مفارقة الروح (له) فى بعض الأوقات فكيف الجمع؟ و هو سؤال حسن يحتاج إلى النظر والتأمل.

فأقول حياة النبي ﷺ فى قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا لما قام عندنا من الأدلة فى ذلك وتواترت (به) الأخبار, وقد ألف

البيهقى جزءا فى حياة الأنبياء فى قبورهم, فمن الأخبار الدالة على ذلك ما أخرجه مسلم عن أنس أن النبي ﷺ مر بموسى عليه السلام وهو يصلى فى قبرة, وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس أن النبي ﷺ مر بقبر موسى عليه السلام وهو يصلى فيه, وأخرج أبو يعلى فى مسنده, والبيهقى فى كتاب حياة الأنبياء عن أنس أن النبي ﷺ قال: الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون, وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن يوسف بن عطية قال سمعت ثابتا البناني يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحدا يصلي فى قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا, وأخرج أبو داود, والبيهقى عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي ﷺ أنه قال: <<من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي الصلاة فيه فإن صلاتكم تعرض علي،قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ - يعنى بليت – فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء>>.

وأخرج البيهقى (فى) الإيمان, والأصبهاني فى الترغيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: << من صلى علي عند قبرى سمعته

ومن صلى علي نائيا بلغته>>... وروى سفيان الثورى فى الجامع قال: ما مكث نبي فى قبره أكثر من أربعين حتى يرفع. قال البيهقى: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء يكونون حيث ينزلهم الله, ثم قال البيهقى: ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد فذكر قصة الإسراء فى لقيه جماعة من الأنبياء وكلمهم وكلموه.. ص١٧٨-١٧٩.

وقال-ص١٧٩-: وأخرج ابن سعد فى الطبقات عن سعيد بن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة والناس يقتتلون قال: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذانا يخرج من قبل القبر الشريف... فهذه الأخبار دالة على حياة النبي ﷺ وسائر الأنبياء وقد قال تعالى فى الشهداء: (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) والأنبياء أولى بذلك فهم أجل وأعظم وما (من) نبي إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة فيدخلون فى عموم لفظ الآية.

مفهوم الموت ورأي الإمام القرطبي

.قال السيوطي-ص ١٨٠- وقال القرطبي فى التذكرة فى حديث الصعقة نقلا عن شيخه: الموت ليس بعدم محض وإنما هوا نتقال من حال إلى حال, ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء فى الدنيا, وإذا كان هذا فى الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى, وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه ﷺ اجتمح بالأنبياء ليلة الإسراء فى بيت المقدس وفى السماء ورأى موسى قائما يصلي فى قبره وأخبر ﷺ بأنه يرد السلام على كل من يسلم عليه, إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لاندركهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال فى الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامته من أوليائه انتهى. وسئل البارزي عن النبي ﷺ هل هو حي بعد وفاته فأجاب إنه ﷺ حي اهـ.

رؤية الأنبياء يقظة كرامة من كرامات الأولياء

وفى ص 181 من المصدر السابق ما نصه: وقال الشيخ عفيف الدين اليافعى: الأولياء ترد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر النبي ﷺ إلى موسى عليه السلام فى قبره, قال: وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدى, قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهل, ونصوص العلماء فى حياة الأنبياء كثيرة فليكتف بهذا القدر اهـ.

كيفية الرؤية لأرواح الأنبياء

ونقل السيوطى عن الشيخ تقي الدين السبكي قوله: حياة الأنبياء والشهداء فى القبر كحياتهم فى الدين ويشهد له صلاة موسى (عليه السلام) فى قبره, فإن الصلاة تستدعي جسدا حيا, وكذلك الصفات المذكورة فى الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدينا من الإحتياج إلى طعام والشراب. وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى انتهى.

الأرواح الطاهرة جوالة فى العالم

أجاب السيوطى عن إشكالات الحديث المذكور بلفظ (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله على روحي حتى أك عليه السلام) فقال أخيرا: ويخرج من هذا جواب آخر-لمن قال يلزم من قوله (إلا رد الله علي روحي) تعدد حياته فى أقل من ساعة إذ الوجود لا يخلو من مسلم يسلم عليه – وهو أن المراد برد الروح التفرع من الشغل وفراغ البال مما هو بصدده فى البرزخ من النظر فى أعمال أمته والإستغفار لهم من السيئات أو الدعاء بكشف البلاء عنهم, والتردد فى أقطار الأرض لحلول البركة فيها, وحضور جنازة من مات من صالح أمته, فإن هذه الأمور من جملة أشغاله فى البرزخ كما وردت بذلك الأحاديث والأثار اهـ بحروفه (ص ١٨٤-١٨٥).

حياته ﷺ أفضل وأكمل

قال السيد محمد بن علوي فى "الذخائر المحمدية ص ٧٥: قال القسطلانى فى المواهب اللدنية: "ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة, ونبينا ﷺ أفضلهم (أي بالنصوص والإجماع) وإذا كان كذلك فينبغى أن تكون حياته أكمل وأنعم من حياة سائرهم انتهى.

قلت: وقصة ابن المسيب ذكرها ابن تيمية نفسه وأقرها فى الفتاوى (280،281/11) وإن تناقض فى مواضع أخر.

فبهذه النصوص تثبت حياة الأنبياء عليهم السلام بعد موتهم وبالطريق الأولى حياة نبينا صلى الله عليه وسلام. كما ثبتت قدرتهم جميعا على الجولان فى أقطار الأرض وعلى الإدراكات والتمثل والتصور للأولياء جعلنا الله منهم وأفاض علينا من بركاتهم.

ويكون ذلك روحا وجسدا كما صرح به السبكى وقد تقدم التوضيح لماهية الموت بمل يرتفع به الإشكال(يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال والله بكل شىء عليم, النور: ٣٦)

الرد على العلامة ابن القيم

ضعف هذا الحديث الإمام ابن القيم فى " القصيدة النونية بلا حجة فرددنا عليه بكلام الألبانى فى "الفوائد" وهاك النقل منه:

ه – فى القصيدة النونية أو "الكافية الشافية فى الإنتصار للفرقة الناجية" ص . ١٦١-١٦٠ قال:

وحديث ذكر حياتهم بقبورهم لما يصح وظاهر النكران

فانظر إلى الإسناد تحرفحاله إن كنت ذاعلم بهذا الشأن اهـ

قلت: والحديث صحيح شاء ابن القيم أم أبى, قال الألبانى بعد تصحيحه فى "الصحيحة" (٢/١٢٠, رقم ٦٢١): وقد كنت برهة من الدهر أرى أن هذا الحديث ضعيف لظنى أنه مما تفرد به ابن قتيبة- كما قال البيهقى – ولم أكن قد وقعت عليه فى "مسند أبي يعلى" "وأخبار أصبهان". فلما وقفت على إسناده فيهما تبين لى أنه إسناد قوي وأن التفرد المذكور غير صحيح, ولذلك بادرت إلى إلى أخراجه فى هذا

الكتاب تبرئة للذمة وأداء للأمانة العلمية ولو أن ذلك قد يفتح الطريق لجاهل أو حاقد إلى الطعن والغمز واللمز فلست أبالى بذلك ما دمت أنى قمت بواجب ديني أرجو ثوابه من الله تعالى وحده اهـ.

قلت: وابن القيم هو القائل فى "اجتماع الجيوش الإسلامية" (٥٤/١): وروى الخلال فى كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخارى عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: "لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه" اهـ.

قال الدكتور محمود صبيح فى كتاب " حتى لا تحرم من رؤية النبي ﷺ" (ص ٤5٥): وقد شوش بعض الناس وقالوا: أن هذا الحديث المكذوب صحيح، وعللوا ذلك بوجود نهى عن وضع إحدى الرجلين على الأخرى.

نقول لهم:

قال ابن جماعة فى إيضاح الدليل (٢٢٧/١): هذا حديث منكر باطل ليس له أصل يعتمد عليه, ومعلول من وجوه, وفى رواته مع إرساله

إبراهيم بن المنذر وعبيد بن جبير لا يصح حديثهما عند أئمة الحديث, وفى رواته **فليح بن سليمان** قال يحي لا يحتج بحديثه, وفى رواته عبيد بن جبير عن قتادة بن النعمان وهو لم يدركه بل مولده بعد وفاة قتادة بست سنين,... والغريب أن الذهبى قال فى ميزان الإعتدال(442/5-444و٣٦٥/٣) فى ترجمة فليح بن سليمان: وقال عبد الله بن أحمد: سمعت ابن معين يقول ثلاثة يتقى حديثهم, محمد بن طلحة بن مصرف وأيوب بن عتبة وفليح بن سليمان انتهى كلام الدكتور صبيح.

قلت: والذهبى قال ذلك بعد أن حكى تضعيف النسائى وأبي حاتم له.

وانظر تناقض ابن القيم فى قوله فى "الروح" ص ٣٦: وقد أخبرنا بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم, وإن كانوا موجودين جاءوا (جاء) ذلك كالحال فى الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم وإذا تقرر

أنهم أحياء فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله اهـ المراد منه.

مفهوم أهل البيت النبوى وعصمتهم

العصمة من الكبائر والصغائر- على أرجح الأقوال عندنا- للأنبياء فقط عليهم السلام, وكما قلنا حال النبى الأعظم فوق حال غيره من كل وجه على الإطلاق.

أما غير الأنبياء كالذرية النبوية الطاهرة بالتطهير بنص القرآن الكريم فعصمتهم فى السلوك والعقيدة ونحوهما.

فعند قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا, الأحزاب:33)

(1)-قال المفسر ابن جرير الطبرى (20/262-266): إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد, ويطهركم من الدنس الذى يكون فى أهل معاصي الله تطهيرا.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك:

(فذكر) عن قتادة: (إنما يريد الله...., الآية) فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء, وخصهم برحمة منه؟ قال ابن زيد فى قوله (إنما يريد الله ....الآية): الرجس هاهنا: الشيطان, وسوى ذلك من الرجس: الشرك>>.

ثم قال ابن جرير:

اختلف أهل التا ويل فى الذين عنوا بقوله (أهل البيت) فقال بعضهم: عنى به رسول الله ﷺ وعلي وفا طمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم... وقال آخرون: بل عني بذلك أزواج النبى ﷺ اهـ.

(٢) و قال القرطبى (183/١٤-٢٨٢): وقدا ختلف أهل العلم فى أهل البيت، من هم؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى: "واذكرن ما يتلى فى بيوتكن"، وقالت فرقة منهم الكلبي: هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، وفى هذا أحاديث عن النبي عليه السلام، واحتجوا بقوله تعالى: "ليذهب عنكم

الرجس أهل البيت ويطهركم" بالميم ولوكان بالنساء خاصة لكان "عنكن ويطهركن"، إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل، كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونسائك، فيقول: هم بخير، قال الله تعالى "أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت "(هود: ٧٣) والذى يظهر من الآية أنها عامة فى جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم، وإنما قال ويطهركم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليا وحسنا وحسينا كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهذا يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم.

ثم ذكر حديث الكساء مع قول الثعلبى، وهم بنو هاشم، وقال: فهذا يدل على أن البيت يراد به بيت النسب، فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم. وروي نحوه عن زيد بن أرقم رضى الله عنهم أجمعين وعلى قول الكلبي يكون قوله: واذكرن" ابتداء مخاطبة الله تعالى، أي أمر الله عز وجل أزواج النبي ﷺ، على جهة الموعظة وتعديد النعمة

بذكر ما يتلى فى بيوتهن من آيات الله تعالى والحكمة. قال أهل العلم بالتأويل: "آيات الله" القرآن، والحكمة" السنة. والصحيح أن قوله: "واذكرن" منسوق على ما قبله انتهى ملخصا.

(٣) و قال البغوى (٦/٣٥١-٣٥٥): أراد بالرجس الإثم الذى نهى الله النساء عنه، قاله مقاتل، وقال ابن عباس: يعنى: عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى، وقال قتادة يعنى: السوء وقال مجاهد: الرجس الشك. وأراد بأهل البيت: نساء النبى ﷺ لأنهن فى بيته، وهو رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وتلا قوله "واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله" وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدرى، وجماعة من التابعين، منهم مجاهد، وقتادة، وغيرهما: إلى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين اهـ. ثم أورد حديث الكساء وحديث زيد بن أرقم.

(٤) وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٥/١٣٣-١٣٤): قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس، وفيه للمفسرين خمسة أقوال:

أحدها: الشرك، قاله الحسن

والثانى: الإثم، قاله السدى

والثالث: الشيطان، قاله اين زيد

والرابع: الشك

والخامس: المعاصي، حكى هما الماوردى.

قال الزجاج: **الرجس:** كل مستقذر من مأكول أو عمل أو فاحشة.

وفى المراد بأهل البيت ها هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم نساء رسول الله ﷺ، لأنهن فى بيته، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وابن السائب، ومقاتل. ويؤكد هذا القول أن ما قبله وبعده متعلق بأزواج رسول الله ﷺ. وعلى أرباب هذا القول اعتراض، وهو أن جمع المؤنث بالنون، فكيف قيل: (عنكم) (ويطهركم)؟

فالجواب أن رسول الله ﷺ فيهن، فغلّب المذكر.

والثانى: أنه خاص فى رسول الله ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين، قاله أبو سعيد الخدرى. وروي عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك.

والثالث: أنهم أهل رسول الله ﷺ وأزواجه، قاله الضحاك. وحكى الزجاج أنهم نساء رسول الله ﷺ والرجال الذين هم آله، قال: واللغة تدل على أنها النساء والرجال جمعا، لقوله: (عنكم) بالميم، ولو كانت للنساء، لم يجز إلا (عنكن) (و) (يطهركن)

قوله تعالى: (ويطهركم تطهيرا) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: الشرك، قاله مجاهد

والثانى: من السوء قاله قتادة

والثالث: من الإثم، قاله السدى، و مقاتل اه

(٥) وقال الفخر الرازى فى مفاتيح الغيب (١٨١/٢٥): قوله (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم فيه لطيفة وهى أن الرجس قد يزول عينا ولا يطهر المحل فقوله تعالى ليذهب عنكم الرجس اى يزيل عنكم

الذنوب ويطهركم اي يلبسكم خلع الكرامة ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله ليذهب عنكم الرجس ليدخل فيه نساء أهل البيت والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلى منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته ببنت النبى عليه السلام وملازمته للنبي. انتهى.

توسّط الإمام ابن كثير والعلامة الشوكاني

(6)-توسط الإمام ابن كثير فقال فى تفسيره (6/٤١٠-415):

وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادى فى السوق: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، نزلت في نساء النبى ﷺ خاصة، هكذا روى ابن أبي حاتم قال:

حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين بن واقد، عن يزيد النحوى،عن عكرمة (عن)ابن عباس فى قوله: (إنما

يريد الله ليذهب عنكم (الرجس أهل البيت) قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.

وقال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ.

فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نطر، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك اهـ.

ثم ذكر ابن كثير أحاديث منها حديث زيد بن أرقم وفيه: فقلنا له: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده (قال) هكذا وقع فى هذه الرواية،والأولى أولى،والأخذ بها أحرى.وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذى رواه، إنما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، وهذا

الإحتمال أرجح، جمعا بينها وبين الرواية التى قبلها، وجمعا أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت فإن فى بعض أسانيدها نظرا، والله أعلم. ثم الذى لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم داخلات فى قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله الحكمة) أي: اعملن بما ينز الله على رسوله فى بيوتكن من الكتاب والسنة. قاله قتاده وغير واحد، واذكرن هذه النعمة التى اختصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل فى بيوتكن دون سائر الناس. اهـ.

(7)-وبشكل مماثل قال الشوكاني فى فتح القدير (٦/٤١-٤٤): والمراد بالرجس: الإثم والذنب المدنسان للأعراض الحاصلان بسبب ترك ما أمرالله به، وفعل ما نهى عنه، فيدخل تحت ذلك كل ما ليس فيه لله رضا، (ويطهركم تطهيرا) أي يطهركم من الأرجاس والأدران تطهيرا

كاملا.وفى استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتطهير تنفيرعنها بليغ، وزجر لفاعلها شديد اهـ.

ثم ذكر نحو ما قاله القرطبي – حذفناه هنا فراراً من الإطالة – وأضاف قائلا: وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين، فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين، أما الزوجات فلكونهن المرادات في سياق هذه الآيات كما قدمنا، ولكونهن الساكنات في بيوته ﷺ النازلات في منازله، ويعضد ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره.وأما دخو علي وفاطمة والحسن والحسين فلكونهم قرابته وأهل بيته في النسب، ويؤيد ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المصرحة بأنهم سبب النزول، فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله وأهمل ما لايجوز إهماله – وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما.

وقال جماعة: هم بنو هاشم، واستدلوا بما تقدم من حديث ابن عباس وبقول زيد بن أرقم المتقدم حيث قال: ولكن آله من حرم الصدقة بعده:

آل علي وآل عقيل، وآل جعفر: وآل العباس، فهؤلا ذهبوا إلى أن المراد بالبيت: بيت النسب اهـ.

قلت:وفى در الغمام الرقيق برسائل الشيخ السيد أحمد بن الصديق (ص 202-203)قال الحافظ الغمارى:"قوله تعالى(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[الأحزاب:33] عام فى أزواج رسول الله ﷺ وذريته كما يقال:أهل بيت الرجل يعنى أزواجه وذريته.أما حديث الكساء فذاك خاص بأهل البيت الذى هو بمعنى الشرف وذلك لا حظ فيه للأزواج أمهات المؤمنين.

والمقصود هناك ثلاثة أمور:

-أهل بيت النبى بمعنى عام يشارك فيه كل أحد،كما يقال أهل بيتى أى أزواجى وأولادى.

-ومعنى خاص هو آل بيت البيت بمعنى الذرية، هم أولاد علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليهما السلام.

-وآل البيت بمعنى الشرف الذين تحرم عليهم الصدقة وهم بنو العباس،وبنو جعفر،وعقيل،وعلي انتهى.

التفسير الصوفي

فى "لطائف الإشارات" (٣٨/٣) قال القشيرى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (الرجس): الأفعال الخبيثة والأخلاق الذميمة، فالأفعال الخبيثة الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما قل وما جل، والأخلاق الدنيئة الأهواء والبدع والبخل والشح وقطع الرحم،ويريد بهم الأخلاق الكريمة كالجود والإيثار والسخاء وصلة الرحم، ويديم لهم التوفيق والعصمة والتسديد، ويطهرهم من الذنوب والعيوب اهـ.

قلت: فمن تأمل ما أوردناه من الأقوال رأى أن القول الفاصل والحكم العادل لمغزى "أهل البيت" هو توسط من صرح بدخول أزواج النبي ﷺ فيه وأولاده وأقاربه من النسب كما فعل ابن كثير والشوكانى وفيهما

الفخر الرازى كما تقدم. وهذا هو القول الجامع بين القرآن والسنة الصحيحة كما ذكر الشوكاني.

بتعبير آخر، أجود الأقوال هو ما قاله الشوكاني وقبله القشيرى رحمهما الله تعالى. وهو:أن الله سبحانه وتعالى–تكريما وتشريفا لنبيه –أراد تطهيرأهل بيته من الآثام والذنوب المدنسة للأعراض ومن الأخلاق الذميمة والخصال الخبيثة بل ومن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

فالعصمة الكاملة للرسول ﷺ وحده؛والعصمة فى حق ذريته -مع كونها تابعة لعصمته- محدودة ومقيدة.

تنبيه: وقع الإمام ابن كثير رحمه الله فى خطأ جسيم وغلط عظيم حيث ألا وهو إخراج الإمام الفاضل سيدنا علي بن أبي طالب من زمرة أهل بيت النبوة عليهم السلام، وسيأتى الرد عليه فى فصل خاص ومناسب إن شاء الله.

التوسعة فى يوم عاشوراء

معظهم الشيعة والسلفية الوهابية على رد وتكذيب حديث التوسعة يوم عاشورا ففى نظرهم إنه من وضع عمال بني أمية.وفى هذا البحث مناقشة الفريقين وذلك بعد تأصيل مكانة هذا اليوم العظيم عند الخالق الديان.

.

كان النبي يصوم عاشوراء فى مكة

قال الدكتور صبيح فى مقالة له على الموقع :اعلم يا أخى حبيب الله أن يوم عاشوراء هو يوم من أيام الله، وقبل أن نخوض فى أسراره نذكركم بأن النبى ﷺ كان يصومه فى مكة وكانت قريش تعظمة...

فضى صحيح البخارى (٥٧٨/٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت "كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان وكان تستر فيه

الكعبة فلما فرض الله رمضان قال رسول الله على الله عليه وسلم من شاء أن يصومه فليصمه ومن شاء أن يتركه فليتركه".

استمرّ صيام عاشوراء بعد الهجرة

ثم لما هاجر النبى ﷺ وآله إلى المدينة المنورة وجد اليهود يصومون هذا اليوم. (فقد) روى الإمام البخارى (١٢٤٤/٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوم يعنى عاشوراء فقالوا هذا يوم عظيم وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون فصام موسى شكرا لله فقال أنا أولى بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه.

وكون النبى ﷺ سألهم عنه وليس ذلك معناه أنه لا يعرف ... بدليل حديث السيدة عائشة السابق وهو فى صحيح البخارى. كذلك فى حديث جبريل سأله عن الإسلام، والإيمان،والإحسان وليس فى ذلك دلالة على عدم علم الأمين جبريل.إذا علمت ذلك تعلم أيضا أن النبي صلى الله

عليه وآله وسلم كان يريد أن يعلم مدى علم اليهود وليس مدى علمه هو ﷺ، وأن يشهد اليهود على أنفسهم بعظيم فضل الله عليهم...

المهم أن النبي ﷺ كان يصوم هذا اليوم فى مكة ثم فى المدينة،وكان يرغب فيه. فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه (٨١٩/٢) عن أبي قتادة الأنصارى رضي الله عنه قال وسئل عن صوم يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية والباقية قال وسئل عن صوم يوم عاشوراء وقال يكفر السنة الماضية.بل قد ورد عن الربيع بنت معوذ انها قالت "أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قري الأنصار من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما فليصم قالت فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون الإفطار "واه البخارى (٦٩٢/٢) ومسلم (٧٩٨/٢) اهـ.

قلت-البشير-: حديث البخارى السابق يرد على الشيعة وعلى كل من يقول إن حديث وجود اليهود يصومونه فى المدينه فيه قدح لرسالة

النبي ونبوته من حيث الدلالة على اقتداء النبى بمن غضب الله عليهم ولعنهم وهم اليهود.

ففيه أنه صلى الله وسلم كان يصومه قبل وجود اليهود يصومونه، وسؤاله إياهم كان إقامة للحجة عليهم. (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد الله رب العالمين).

السر المكنون فى التوسعة يوم عاشوراء

قال السيد صبيح: السر فى صوم عاشوراء ومغفرة سنة، وبين صوم عاشوراء والتوسعة فيه وبين توسعة الله على العبد (الحديث عندنا حسن على الأقل بمجموع طرقه) كما سنبينه بعد قليل...

هذه اللحظات التى نجى الله فيه (فيها) سيدنا موسى من فرعون كانت بمثابة الخروج من الضيق إلى السعة من ذل فرعون إلى عبودية رب الأرباب، أما فعل الشيطان فكان إعادة سيدنا موسى من السعة إلى الضيق فوسوس لفرعون أن يدرك موسى فانقلب الوضع على إبليس وعلى فرعون فأصبح يوما من أيام الله...

ولما كان يوم عاشوراء يوما من أيام الله كان صيامه منحة من الله تكفير السنة الماضية. فما أعظم النبي صلى الله بتكفير السنة الماضية.فما أعظم النبي ﷺ، وما أعظم أمته ببركته ﷺ. فصيام عرفة عندنا يكفر سنتين الماضية والمقبلة فهل رأيتم مثل ذلك يا أمة أحب خلق الله إليه، والسر معروف وجود الحضرة المحمدية...

قال النبى ﷺ فيما رواه البخارى (١٩١٧/٤) "إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود فقال من يعمل لي من نصف النهار إلى العصرفعملت النصارى ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين قالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من حقكم قالوا لا قال فذلك فضلي أوتيه من شئت".

فنحن يومنا بيومين بفضل الله.ليس ذلك فقط ولكن انظروا إلى "سنة ماضية، وسنة مقبلة " فى صيام يوم عرفة، وليس يومنا "سنتين ما ضيتين".

فالمغفرة ويوم واحد بعام كامل هوالرد على الشيطان الرجيم فى "ويأمركم بالفحشاء لضعف ابن آدم. وصوم النبي ﷺ يوم عاشوراء وأمر أمته بصيامه (استحبابا) وكأنه ﷺ سلب من اليهود هذه الخاصة التى فيها تكفير ذنوب سنة ماضية كاملة.

أما الرد على الشيطان فى "يعدكم الفقر" فهو "من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته "فهذه منحة إلهية لا تتردد فإن فضل الله عظيم ولاتنس قول الله عن وجل "والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم". فلا تضيق الواسع، وفى هذه الجزئية سنشرحها شرحا وافيا فى الكلام على ليلة النصف من شعبان ورزق عاشوراء منها ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد اه.

لذا قلنا إن حديث التوسعة وعمل السلف به موافق للأصول وهو موافق للشريعة وموافق للحقيقة ولمن أراد أن يعرف جزئية مدى صحة حديث "من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته " نقول:

ألف الحافظ العراقى جزءا يصحح فيه هذا الحديث ويرد على ابن تيمية بردود قاسية على ادعائه وضع هذا الحديث، ولذلك ترى أتباع ابن تيمية يشددون فى هذا الحديث بالذات، وهذا دأبهم فى كل من يرد عليهم.

حديث" من وسع على عياله "وفى رواية" أهله" أخرجه البيهقى عن جابر وابن مسعود وأبي سعيد الخدرى وأبي هريرة من قول محمد بن المنتشر وابن أبي الدينا عن أبي سعيد الخدري وله طريق عن جابر أخرجها ابن عبد البر فى الإستذكار وورد أيضا من حديث ابن عمر أخرجه الدارقطنى فى الأفراد موقوفا على عمر.

المهم الحديث صححه الحافظ ابن ناصر شيخ ابن الجوزى والحافظ العراقى، والحافظ السيوطى.وبعد ما ساق البيهقى عدة أسانيد فى شعب الإيمان (٣٦٦/٣) قال هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة فهى إذا ضم بعضها إلى بعض أخذت قوة والله أعلم: "وقد رد ابن حجر على ابن الجوزى ذكر هذا الحديث فى كتاب النور فى فضائل الأيام والشهور، وذكر عن ابن ناصر شيخه أنه قال حديث صحيح وإسناده على شرط الصحيح".

واعترف بذلك ابن تيمية فى منهاجه (149/8- 150) إلا أنه قال: فالصواب ما ذكره فى الموضوعات وهو آخر الأمرين منه فى نظر ابن تيمية والله أعلم.

وساق الحافظ العراقى أقوال من استحب من أئمة الإسلام توسعة النفقة على الأهل يوم عاشوراء بعدما فند كلام ابن تيمية.

وانظر إلى قول الحافظ العراقى – وتهكمه على منهج ابن تيمية– ولقد تعجبت من وقوع هذا الكلام من هذا الامام الذى يقول أصحابه إنه أحاط بالسنة علما وخبرة.

وعلق السيوطى ونقل المناوى فى فيض القدير (236/6) من قول ابن حبيب أحد أئمة المالكية (عبد الملك بن حبيب 238هـ) بعد نقل قول جابر بن عبد الله الصحابي "جربناه فوجدناه صحيحا" وقول ابن عيينة جربناه خمسين أو ستين سنة":

لا تنس لاينسك الرحمن عاشورا واذكره لا زلت فى الأخيار مذكورا قال الرسول صلاة الله تشمله قولا وجدنا عليه الحق والنورا

من بات فى ليل عاشوراء ذا سعة يكن بعيشته فى الحول محبورا

فارغب فديتك فيما فيه رغبنا خير الورى كلهم حيا ومقبورا

قال الإمام السيوطى وهذا من الإمام الجليل دليل على صحة الحديث والله أعلم ا هـ.

قلت:وفى ذكرى عاشوراء لسنة 1435 هـ أفتى أحد المتمسلفة بقول ابن تيمية فراسلته عبر الهاتف وطرحت عليه أسئلة لم يجب عنها منها قولى له:استدل ابن تيمية -كما سننقل من الفتاوى ومن تمام المنة حيث الرد الكامل على صاحبيهما- بعدم عمل الإمام مالك وإسحاق بن راهويه وغيرهما بحديث التوسعة.ونحن نقول لكم جميعا :بفرض أن أولئك لم يعملوا به ألم يعمل به شيخهم وهو الإمام يحي بن سعيد وغيره كسفيان ابن عيينة وشعبة؟بل وأجل منهم الصحابى جابر بن عبد الله وكذا التابعى إبراهيم بن المنتشر كما أورد الحافظ ابن عبد البر فى الإستذكار؟وهل خفي عليه كون الحديث موضوعا حتى جاء ابن تيمية واكتشف ذلك؟

ثم عموما أين سفسطة ابن تيمية وإنكاره على التوسعة من قول ابن عيينة(107-198 هـ)فيها "جربناه فوجدناه كذلك" ؟؟؟

رد العلامة المحدث اللكنوي على ابن تيمية

قال فى الآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة عن أحاديث الإكتحال يوم عاشوراء والتوسعة على العيال (ص 80-81) ما نصه: ومن الأحاديث الواردة فى يوم عاشوراء أحاديث فضل الإكتحال فيه، وهى لا تخلوا من ضعف شديد بل هى موضوعة،وأحاديث التوسعة على العيال، وقد حكم عليها ابن الجوزى وابن تيمية فى منهاج السنة وغيرهما ممن حذا حذوهما بالوضع.

وقد تعقب كثير من المحققين قولهم، وأثبتوا أنها خسنة قابلة للإحتجاج والعمل بها، ومع ذلك فهو مجرب أيضا، ... اهـ. وقال (فى ص 83-85) :وأما حديث التوسعة على العيال فأخرجه الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا: { من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته} تفرد به هيضم الهيضم بن الشدّاخ مجهول، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، وقال تفرد به هيضم عن الأعمش، وأخرجه ابن عدى عن أبي هريرة مرفوعا :{من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته} وفى سنده سليمان {ن} أبي عبد الله الراوى عن أبي هريرة مجهول، كذا ذكره ابن الجوزي فى الموضوعات. وقال المنذرى فى

كتاب الترغيب والترهيب: رواه البيهقي من طرق عن جماعة من الصحابة, وقال البيهقى: هذه الأسانيد وان كانت ضعيفة، فهى إذا ضم بعضها إلى بعض أخذت قوة- انتهى-.وقال زين الدين العراقى فى أماليه: ورد هذا الحديث من طرق صحح بعضها الحافظ ابن ناصر وسليمان الذى قال فيه ابن الجوزى: مجهول، ذكره ابن حبان فى الثقات، والحديث حسن على رأيه.وقد روى من حديث أبى سعيد عند البيهقى فى شعب الإيمان، وابن عمر عند الدارقطنى، فى الإفراد، وجابر رواه البيهقى من رواية ابن المنكدر عنه، وقال: إسناده ضعيف، ورواه ابن عبد البر فى " الإستذكار" من رواية أبي الزبير عنه، وهى على شرط مسلم، قال البيهقي: هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة فهى إذا ضم بعضها إلى بعض آخذت قوة، هذا مع كونه لم تقع له رواية أبى الزبير عن جابر التى هي أصح طرق الحديث، وقد ورد موقوفا على عمر، أخرجه ابن عبد البر بسند رجال {ـه} ثقات، ولكنه من رواية ابن المسيب عنه، وقد اختلف [فى] سماعـ[ـه] منه. ورواه فى الشعب من قول إبراهيم بن مُحَمَّد بن المنتشر، وأما قول الشيخ تقي الدين بن تيمية أن

حديث التوسعة ما رواه أحد من الأئمة، وأن[ـه] على ما بلغه من قول ابن المنتشر، فهو عجب منه، كما نرى، وقد جمعت طرقه فى جزء ،انتهى كلام العراقى.

وفى "جواهر العقد فى فضل الشرفين" لنور الدين السمهودى لايلزم من قول أحمد فى حديث التوسعة أنه لايصح أن يكون باطلا, فقد يكون غير صحيح, وهو صالح للاحتجاج به, إذ الحسن رتبة بين الصحيح والضعيف- انتهى.

وفى تنزيه الشريعة "قول الإمام أحمد: لا يصح لا يلزم من[ـه] أن يكون باطلا, كما فهمه ابن القيم ،فقد يكون الحديث غير صحيح, وهو صالح للإحتجاج به بأن يكون حسنا-انتهى-.

قلت-القائل اللكنوى-: بهذا كله بطل قول الشوكانى فى "الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة" بعد نقل شى من كلام العراقى,ذكره ابن الجوزى فى "الموضوعات" وابن تيمية فى فتوى له,

فحكما بوضع الحديث من تلك الطرق, والحق ما قالاه – انتهى كلامه وجه البطلان أنه كيف يكون ما قال ابن الجوزى وابن تيمية حقا مع كونهما من المتشددين المتعنتين فى الحكم بالوضع على ما بسطته فى رسالة "الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة"،وفى تعليقات تحفة الطلبة فى مسح الرقبة المسماة بـ "تحفة الكملة"،وقد تعقبهما جمع من العلماء المحققين،وأثبتوا كون الحديث حسنا،إما لذاته ببعض أسانيده،وإما لغيره بجمع أسانيده بالبراهين،لا بمجرد الظن والتخمين فانظر ما قال ولا تنظر إلى من قال.

وكذا بطل الحكم الكلى فى قول ابن تيمية فى "منهاج السنة"ما يذكرون من فضائل عاشوراء،وما ورد من التوسعة على العيال،وفضائل المصافحة والحناء والخضاب والإغتسال ونحو ذلك،ويذكرون فيها ذلك كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصح فى عاشوراء إلا فضل صيامه-انتهى-.

وذلك لأن كون أحاديث الحناء والإغتسال ونحو ذلك كذبا صحيحا[صحيح]لكن كذب حديث التوسعة على العيال ليس بصحيح،بل هو حسن يحتج به،فهو-أى ابن تيمية-فى الحكم

الكلى كاذب، كذبه من جاء بعده،فاحفظ هذا كله فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة انتهى بحروفه فى ص 85.

استعراض آخر لكلام ابن تيمية والرد عليه

فى مجموع الفتاوى (25/299-300): وسئل عما يفعله الناس فى يوم عاشوراء..

فأجاب بكلام طويل ثم قال: ورووا فى حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ [فذكر الحديث]... ولكنه معروف من رواية سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه.ا هـ.

وقال فى (25/312-313) بعد كلام: وأما سائر الأمور:مثل اتخاذ طعام خارج عن العادة إما حبوب وإما غير حبوب أو فى تجديد لباس أو توسيع نفقة أو...فهذا من البدع المنكرة التى لم يسنها رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون ولا استحبها أحد من

أئمة المسلمين لا مالك ولا الثورى والليث بن سعد ولا أبو حنيفة ولا الأوزاعى ولا الشافعى ولا أحمد بن حنبل ولا إسحاق بن راهويه ولا أمثال هؤلاء من أئمة المسلمين وعلماء المسلمين وإن كان بعض المتأخرين من أتباع الأئمة قد كانوا يأمرون ببعض ذلك ويروون فى ذلك أحاديث وآثارا ويقولون: إن بعض ذلك صحيح فهم مخطئون غالطون بلا ريب عند أهل المعرفة بحقائق الأمور...

وإبراهيم بن مُحَمَّد كان من أهل الكوفة ولم يذكر ممن سمع هذا ولا عمن بلغه فلعل الذى قال هذا من أهل البدع الذين يبغضون عليا وأصحابه.. وأما قول ابن عيينة فإنه لاحجة فيه فإن الله سبحاله أنعم عليه برزقه وليس فى إنعام الله بذلك ما يدل على أن سبب ذلك كان التوسيع يوم عاشوراء وقد وسع الله على من هم أفضل الخلق من المهاجرين والأنصار ولم يكونوا يقصدون أن يوسعوا على أهليهم يوم عاشوراء بخصوصه انتهى.

وقال فى منهاج السنة (25/7): وكما يذكرون فى فضائل عاشورإ ماورد من التوسعة على العيال وفضائل المصافحة والحناء والخضاب

والإغتسال ونحو ذلك ويذكرون فيها صلاة وكل هذا كذب على رسول الله ﷺ لم يصح فى عاشوراء إلافضل صيامه قال حرب الكرماني قلت لأحمد بن حنبل الحديث الذى يروي من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فقال لا أصل له اهـ.

الرد المفصّل على ابن تيمية

1- أقول عن قوله "كل ذلك كذب على رسول الله ﷺ"- سواءً فى الفتاوى أو فى المنهاج فقد تقدم قول العلامة اللكنوى "فهو فى الحكم الكلى كاذب كذبه من جاء بعده"!

قلت: بل ومن جاء قبله كما سيأتى بحول الله.

2- ونقول على احتجاجه بقول الإمام أحمد-أو غيره من الأئمة- "لا أصل له" :هل أحاط الإمام أحمد أو أحد من الأئمة

رحمهم الله بجميع الأحاديث حتى يشترط علمه فى العمل بكل مروى؟ وأليس من علم حجة على من لم يعلم؟

3- وعلى عدم صحته عند أحمد – فقد تقدم جواب السمهودي وابن عراق عن ذلك.

4- كيف يحكم على الحديث بالوضع بمجرد قول ابن تيمية "فلعل" مع تضافر الشواهد على ثبوته منها أقوال الصحابة والتابعين؟وإن جاز أن يجهل بعض الأئمة شيئا أفيجهل ذلك كلهم؟

5-قد أقر ابن تيمية بوقوف بعض الروايات على إبراهيم بن المنتشر ثم تعقب ذلك بأنه لم يذكر عمن سمعه. **قلت** وهل من شرط الموقوف أن يذكر الموقوف عليه المسموع منه؟ أم أن إبراهيم بن المنتشر الذى قال فيه الذهبى –فى السير (68/13) :كان ذا تأله، ودين، وثقة، وتزهد– متهم عند ابن تيمية؟ اهـ.

6-أقر ابن تيمية بأن الحديث معروف من رواية ابن عيينة حتى قال فى العمل به "جربناه فوجدناه كذلك" ثم قال مقالته الشنيعة وهى "لا حجة فيه فليس فيه دليل على أن التوسيع فى الرزق كان من أجل التوسع".

قلت: انظر إلى رد ابن تيمية على هذا الإمام الجليل بعد قوله السابق "ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين"!

قل لى بالله أليس سفيان ابن عيينة من أئمة المسلمين؟ واعلم أن ذكر أسماء مالك والثوري والليث بن سعد والأوزاعى والشافعى وإسحاق وغيرهم من ابن تيمية إلا التلاعب بعقول البسطاء والتلبيس عليهم.فمن هؤلاء من تتلمذ على يد ابن عيينة وأخذ عنه كالشافعى وأحمد نفسه ومنهم من كان من أقرانه كمالك والأوزاعى والليث والثورى وهو-ابن عيينة —مع ذلك أعلم منهم بنص من عندهم بما يقضى على هراء ابن تيمية؟

وانظر ما قاله بعضهم فى الإمام سفيان ابن عيينة (107-198هـ)رحمه الله:

قال الذهبى فى السير (482/15): قال حرملة : سمعت الشافعى يقول: ما رأيت أحدا فيه آلة العلم ما فى سفيان بن عيينة وما رأيت أكف عن الفتيا منه، قال: وما رأيت أحدا أحسن تفسيرا للحديث منه.

قال عبد الله بن وهب: لا أعلم أحدا أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة...

وقال ابن مهدى عند ابن عيينة من معرفة بالقرآن وتفسير الحديث، مالم يكن عند الثورى وكان سفيان- رحمه الله – صاحب سنة واتباع. روى عنه ابن راهويه، والشافعى، وأحمد. ا هـ.

فها هو الشافعى- وهو مع إسحاق وأحمد ممن روى عنه كما صرّح الذهبي يقول إنه لم ير عالما مثله قط. فهل

تتصوّر أن يتجرأ ويقول هؤلاء فى قوله "لا حجة فيه" كما قال ابن تيمية فى أمر جربه هو بنفسه وأخبر عنه وهو – كما قال الذهبى– صاحب سنة واتباع؟

7–وعلى قوله "وسع الله على المهاجرين والأنصار ولم يكونوا يقصدون أن يوسعوا على أهليهم يوم عاشورا بخصوصه" نقول: أليس سيدنا جابر من الأنصار ﷺ؟ ثم ألم يرو ابن عبد البر فى الإستذكار (298/3–299) قوله فى الحديث "جربنا فوجدنا كذلك"؟

8–الإمام يحي بن سعيد الأنصارى ولد كما فى السير (78/10) قبل السبعين وتوفى (143هـ) وهو شيخ لمالك والأوزاعى والليث بن سعد–ذكر كلا منهم ابن تيمية– وغيرهم قال فى الإستذكار (298/3– 299): "جربناه فوجدناه حقا" .فلماذا لا يكتفى بقوله؟

9-الإمام شعبة –وقد تقدمهم جميعا- عمل به كما جاء فى الإستذكار.أليس من أئمة المسلمين؟

10- تهويل ابن تيمية بكلمة "الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم" فارغ ومنقوض بما نقلنا فى الفوائد نقلا عن "أخطاء ابن تيميه" ما نصه: حديث "ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فسلم عليه إلاعرفه ورد عليه السلام" رواه الحافظ ابن عبد البر فى الإستذكار عن ابن عباس وأخرجه عبد الحق الإشبيلى فى الأحكام.

وقد حرّفه ابن تيمية إلى " ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه فى الدنيا فييسلم عليه إلا رد الله عليه روحه الخ".

وذلك فيما لا يقل عن إحدى عشر مرة: مجموع فتاويه (351/1، و295/4/، 173/24، 364):

واقتضاء الصراط (326/1، 178/2) ومنهاجه (442/2)، وزيارة القبور (16/1)، ومجموع فتاويه

304-303/24) و (71/27) والرد على البكرى (247/1، 454) وابن القيم فى حاشيته على سنن أبى داود (93/11) وبدائع الفوائد (400/2) والروح (11،5، و،12) انتهى بتصرف.

الرد على الذهبى والعلامة الألبانى

الحديث أورده الألبانى فى الضعيفة برقم 6824 وقال ما حاصله "إن مما يؤكد قول الذهبى وغيره ممن قال بنكارته ووضعه أنه مع -شدة ضعف أسانيده- لم يكن العمل به معروفا عند السلف، ولا تعرض لذكره أحمد من الأئمة المجتهدين، أو قال باستحباب التوسعة المذكورة فيه، بل قد جزم بوضعه شيخ الإسلام ابن تيمية فى "فتاويه"، وهو من

هو فى المعرفة بأقوالهم ومذاهبهم، وأن العمل به بدعة اهـ المراد ثم ذكر قول الإمام أحمد الذى سبق مناقشتنا فيه ابن تيمية.

قلت: قدّمنا الرد على كلام ابن تيمية الذى يردّده الذهبى وينقله الألبانى هنا وذكرنا الأدلة على أن العمل به معروف عند السلف حتى فى عبارة ابن تيمية نفسه، فقد عمل بهذا الحديث جماعة منهم كالصحابي جابر بن عبد الله الأنصارى وشعبة والإمام يحي بن سعيد وسفيان بن عيينة وأبطلنا قول الشيخ الحرّانى بلا دليل.فالحمد الله تعالى.

وقول الذهبى "وهو من هو فى المعرفة بأقوالهم ومذاهبهم" لامعنى له مع ضرب ابن تيمية بأقوال هؤلاء السلف عُرض الحائط كما تقدم.

الرد المفصّل على العلامة الألبانى

قال فى تمام المنة فى التعليق على فقه السنة (410/1-412) ما ملخصه:

رواه البيهقى فى "الشعب" وابن عبد البر وللحديث طرق أخرى كلها ضعيفة ولكن إذا ضم بعضها إلى بعض ازدادت قوة كما قال السخاوى.

قلت: هذا رأي السخاوى ولا نراه صوابا لأن شرط تقوي الحديث بكثرة الطرق وهو خلوها من متروك أو متهم لم يتحقق فى هذا الحديث فانظر مثلا حديث جابر فإن له طريقين اهـ.

فذكر الطريق الأول وقال إن مُحَمَّد بن يونس الكديمى متهم بالوضع وشيخه عبد الله بن إبراهيم الغفارى ضعيف...

وقال: وأما الطريق الثانى فأخرجه ابن عبد البر فى الإستدكار من طريق أبى الزبير عنه وهذه الطريق مع أنها أصح طرق الحديث كما قال السيوطى فى الآلئ

"(63/2)" فقد قال فيها الحافظ ابن حجر: "هذا حديث منكر جدا".

كما نقله السيوطى نفسه ولم يتعقبه بشىء وقد حمل فيه الحافظ على الفضل بن الحباب وقال: "لعله حدث به بعد احتراق كتبه".

قلت: وفيه علة أخرى وهى عنعنة أبى الزبير فإنه مدلس وقد أورده فى المدلسين الحافظ وابن العجمى وقالا إنه مشهور بالتدليس.

وهكذا سائر طرق الحديث مدارها على متروكين أومجهولين ومن الممكن أن يكونوا من أعداء الحسين رضى الله عنه الذين وضعوا الأحاديث فى فضل الإطعام والإكتحال وغير ذلك يوم عاشوراء معارضة الشيعة الذين جعلوا هذا اليوم يوم حزن على الحسين رضى الله عنه لأن قتله كان فيه.

ولذلك جزم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأن هذا الحديث كذب فذكر أنه سئل الإمام أحمد عنه فلم يره شيئا وأيد ذلك بأن أحدا من السلف لم يستحب التوسعة يوم عاشوراء وأنه لا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة اهـ.

قلت: من ادعى أن هذا الحديث كذب أو موضوع أو أنه لم يستحب أحد من السلف التوسعة يوم عاشوراء فهو غالط وقد قدمنا الرد عليه فى هذا الكتاب.ونقول للألبانى:

1- الفضل بن الحباب صححت حديثه فى إرواء الغليل(33/7). ففى التناقضات (216/2) للشيخ حسن السقاف: الفضل بن الحباب: صحح الألبانى حديثه فى إرواء غليله (33/7) فقال: وهذا إسناد صحيح الفضل بن الحباب وهو ثقة حافظ.اهـ.

قلت: وذلك فى نفس الحديث الذى أمامنا وتمام كلامه: "فقد ساق له الحافظ بن حجر فى "اللسان"حديثا آخربلفظ "من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته".ورجاله كلهم ثقات،فاستظهر أن الغلط فيه من الفضل،وقال "لعله حدث به بعد احتراق كتبه"راجع (366/4)من الصحيحة.

وقد صحح له حديثا آخر فى(132/3،رقمه: 1058)ولفظه:" من غشنا فليس منا والمكر والخداع فى النار".

فقال: أخرجه ابن حبان (1107) والطبرانى فى المعجم الصغير (ص 153) والمعجم الكبير (1/69/3) وأبو نعيم فى الحلية (188/4) من طرق عن أبي الخليفة الفضل بن الحباب حدثنا عثمان بن الهيثم المؤذن حدثنا أبى عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ [فذكره].

قلت: وهذا إسناد حسن على مابينته فى "الروض النضير" (641) وإرواء الغليل (1307)، والجملة الأولى لها أكثر من شاهد واحد مخرجة فى الإرواء والجملة الأخرى لها شواهد أيضا كما سبق آنفا فالحديث بمجموع ذلك صحيح. والحمد لله على توفيقه. اهـ.

قلت:"الفضل بن الحباب"(206-305 هـ) قال عنه الذهبى فى السير (27/2):الإمام ،العلامة،المحدث،...وكان ثقة،صادقا،مأمونا...انتهى.وفى تذكرة الحفاظ (177/2):أبو الخليفة الإمام الثقة محدث البصرة الفضل بن الحباب الجمحى البصرى ا هـ.

وحديثه حسن عند الألبانى كما سبق ،وقد يكون صحيحا إذا اعتضد بشواهد كحديثنا هذا.ومن ثم جزم الحافظ أحمد الغمارى بصحته فى جزء "هدية الصغرى بتصحيح حديث التوسعة يوم عاشوراء".فالحمد لله على توفيقه أيضا.

والعلة الأخرى التى استدركها الألبانى على الحافظ وهى عنعنة أبي الزبير فلنستدل بنفس الحافظ الذى احتج به ونقول:

الراوي عن أبي الزبير ها هنا هو: شعبة وقد قال الحافظ عنه فى النكت على ابن الصلاح (630/2): فالمعروف عنه أنه لا يحمل عن شيوخه المعروفين بالتدليس إلا ما سمعوه. هذا فى المدلسين خصوصا. و قال فى أحاديثه عن الشيوخ عموما: "وهو- أي شعبة- لا يحمل عن مشايخه إلا صحيح حديثهم اهـ وراجع الفتح (200/1).

أثر موقوف على سيدنا عمر

هذا الأثر ذكره اللكنوى وأخرجه قبله الحافظ ابن عبد البر فى الإستذكار فقال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا أبو وضاح قال حدثنا أبو مُحَمَّد العابد عن بهلول بن راشد عن الليث بن سعد عن يحي بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال قال عمر بن الخطاب "من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة".

أثبت العراقى أن رجاله ثقات إلا أن سماع ابن المسيب من عمر فيه خلاف.

قلت: وقد ذكر ذلك الذهبي فى السير (242/7) ثم قال: "وقيل : إنه سمع من عمر... وروايته عن عمر فى السنن الأربعة" اهـ .

وأذكر هنا قول الدكتور محمود صبيح فى كتابه "حتى لاتحرم"ص 574:

وكل حديث تقرأه انظر من صححه من كبار علماء التابعين والثلاثة قرون الأولى، ثم بقية القرون حتى سنة ألف مثلا وانظر هل اختلف السابقون مع الذين جاءوا من بعدهم فى التصحيح والتضعيف، فإذا وجدت ذلك فخذ بالثلاثة قرون الألى، فللأسف دخلت الأهواء اهـ.

وقال فى كتاب "يس " 162:

قال: وقد أفتى الألبانى بجواز قراءة القرآن ومسه للحائض وقد أشرنا من قبل لخطورة قراءة القرآن ومسه للحائض والجنب... فالأخوات اللاتى يقرأن القرآن وهن جنب مخالفات لله ورسوله ولشريعته، لذا تجد كثيرا منهن فى أذى شديد من الجان دون أن يدرين، وهذا عاقبة من سار وراء

الألبانى الذى صحيح وضعف بهواه ولم يكن يحفظ عشرة أحاديث بأسانيدها من حفظه اهـ.

تتمة النقد لكلام الألبانى

بعد بطلان استدلال الألبانى بكلام الحافظ فى الفضل بن الحباب فى رد حديث التوسعة بفعل من عنده نود أن نشير إلى نقطة لطيفة وهى:

أن الحافظ بن حجر رحمه الله تكلم عن سند واحد فى "اللسان" دون تعرض لسائر الأسانيد التى يتقوى الحديث بها كما نص عليه كل من البيهقى والعراقى والسخاوى وكما هو مقرر فى علم الحديث.

قال الحافظ السيوطى فى ألفيته ص 48-49:

....ثم من ضعفا رأى فى سند ورام أن

يقول فى المتن ضعيف قيّدا بسند خوف مجئ أجودا

ولا تضعّف مطلقا مالم تجد تضعيفه مصرّحا مجتهد

التفضيل بين الصحابة الكرام

تقديم

"التفضيل بين الأنبياء لم يشكل يوما أساسا لتقييم الإنسان، ولا لتوصيفه تحت مذهب معين، ولكن للأسف، المسلمون اعتبروا أن مسألة التفضيل مسألة عقائدية، وليست مسألة فقهية...

وجمعا للأدلة الظاهرة والحكمة قالت الصوفية أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ كقائد، وخليفة للأمة هو أبو بكر الصديق، وأن أشدهم فى دين الله هو الفاروق عمر بن الخطاب، وأن أحياهم هو عثمان بن عفان، وأن على بن أبى طالب هو أمير المؤمنين، وصاحب العلم اللدنى.

فالنبى ﷺ هو مدينة العلم، وعلى بابها.

أفضلية الصحابى مطلقا فى كل جزئية لم يرد به دليل فى القرآن، ولا فى السنة بدليل أن الشيطان كان يفر من الفاروق، وهى منقبة له، وكانت الملائكة نستحي من ذى النورين فلم نستكثر أفضلية سيدنا على فى إحدى الجزئيات؟

كون أبي بكر الصديق أفضل الأمة لايقلل من قدر الفاروق، ولا ذى النورين اولا أمير المؤمنين. اقتضت الحكمة الإلهية أن يحكم أبو بكر، فعمر، فعثمان، فعلى،

رضوان الله عليهم أجمعين. لو حكم الإمام على لحرم أبو بكر، وعمر، وعثمان، لأن أعمارهم ووفاتهم قبل موت الإمام على، ولو حكم عمر لحرم أبو بكر... وهكذا، والحكمة الإلهية بالغة. ما المانع أن يكون الإمام على أفضل فى جزئيات، إذا كان على أفضل فلا يقلل فضله أن يأتى متأخرا عنهم فى أن يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالنبي صلى ﷺ كان آخر الآنبياء، انتهى من كتاب

" حتى لاتضيع الهوية الصوفية" ص297.

التفضيل مسألة اجتهادية وليست من العقائد

وعليه فمن بدّع أحدا من المسلمين لتفضيل أحد من الخلفاء الأربعة أو من غيرهم فهو بهذا التبديع أجدر.

وهاك النقل من كتاب لطيف للعلامة الدكتور محمود سعيد ممدوح عنوانه "غاية التبجيل بترك القطع فى التفضيل".

فقد ذكر فيه(45-46) عن الحافظ ابن عبد البر فى الإستذكار (241/14، و97/5) قوله: "وقد أجمع علماء المسلمين أن الله تعالى لا يسأل عباده يوم الحساب: من أفضل عبادى، ولا هل فلان أفضل من فلان؟ ولا ذلك مما يسأل عنه أحد فى القبر ،ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مدح خصالا وحمد أوصافا من اهتدى إليها حاز الفضائل، وبقدر ما فيه منها كان فضله فى ظاهر أمره على من لم ينلها، ومن قصر عنها لم يبلغ من الفضل منزلة من خالفه.

هذا طريق التفضيل فى الظاهر عند السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.....

قلت: ولم يرد نص فى الوحيين يزجر من لم يقدم فلانا على فلان من الصحابة رضى الله عنهم، أو أن تقديم فلان فيه إزراء بآخرين، أو من قدم أبا بكر فأجره كذا وكذا، ومن قدم عليا فثوابه كذا، بيد أن أهل العلم اتفقوا على أنه يجب احترام الصحابة واعتقاد فضلهم وعدالتهم وتقدمهم...

فالأمر ظنى، والقطع فى الظنيات خطأ وجهل قبيح، ومجانبة لسبيل المؤمنين. اهـ.

وفى ص (47-48) قال الباقلانى فى المناقب (ص 295): وجملة ما يقوى فى هذا الباب أن الكلام فى التفضيل مسألة إجتهاد لا يبلغ الخطأ بصاحبه فيها منزلة الفسق ،وما يوجب البراءة، لأن الفضائل المروية أكثرها

متقابل متعارض فى الفضل، وما يذكر من السبق إلى الإسلام والجهاد وغير ذلك محتمل التأويل.

وقال (ص 513-514): فأما القائلون بأنا نقف فيهم من غير قطع على تفضيل أحد منهم أو قطع تساويهم فى الفضل، فإنهم أقرب إلى الصواب، وأقدر على الإحتجاج.

وفى قول إمام الحرمين فى الإرشاد ص 431: " لم يقم عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الأئمة على بعض، إذ العقل لا يشهد على ذلك، والأخبار الواردة فى فضائلهم متعارضة، ولا يمكن تلقي التفضيل من منع إمامة المفضول".

و عن الجرجانى فى شرح الموافق (372/8): وثبوت الإمامة، وإن كان قطعيا، لا يفيد القطع بالأفضلية، بل غايته الظن، كيف ولا قطع بأن إمامة المفضول لا تصح مع وجود الفاضل، لكنا وجدنا السلف قالوا: بأن الأفضل

أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على، وحسن ظننا بهم يقضى بأنهم لو لم يعرفو ذلك لما أطبقوا عليه فوجب علينا اتباعهم فى ذلك القول وتفويض ما هو الحق فيه إلى الله.

ثم نقل العلامة ممدوح مثله عن الهيتمى فى الصواعق المحرقة والقرطبى فى المفهم وغيرهما بما يحصل بمجموعه الإستنتاج بأن القضية كما قلنا قضية فرعية وظنية محضة

التقدم فى الخلافة لا يستلزم الأفضلية

قال العارف الربانى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى "اليواقيت والجواهر " (76/2): وكان الشيخ محي الدين ﷺ يقول تقديم أبي بكر فى الفضل على عمر قطعى وتقديم عمر على غيره ظنى قال والذى أطلعنا الله تعالى عليه من طريق كشفنا أن تقدم شخص بالإمامة على آخر إنما هو تقديم بالزمان ولا يلزم منه الفضل فإن الله تعالى قد أمرنا

باتباع ملة أبينا إبراهيم وليس ذلك لكونه أحق بها من مُحَمَّد ﷺ وإنما هولتقدمه بالزمان فإن للزمان حكما فى التقدم من حيث هو زمان لا من حيث المرتبة...

وقال الشعرانى فى موضع آخر: اعلم أن الخلفاء الأربعة لم يتقدموا فى الخلافة إلا بحسب أعمارهم فإن الأهلية للخلافة موجودة فيهم من جميع الوجوه فكان سبقهم لا يقتضى التفضيل بمجرده وإنما بوجود نص قاطع قال ولما سبق فى علم الله تعالى أن أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل على والكل لهم حرمة عند الله...

وبالجملة فلا ينبغى الخوض فى مثل ذلك إلا مع وجود نص صريح مع أننا قائلون بترتيب هؤلاء الخلفاء الأربعة كما عليه الجمهور وإنما خالفناهم فى علة التقديم فهم يقولون هى الفضل ونحن نقول هى تقدم الزمان ولو أن

كل من تأخر كان مفضولا لكان من تقدم مُحَمَّدا صلى الله عليه وسلم أفضل ولا قائل بذلك من المحققين انتهى.

فليتأمل ويحرر انتهى بحروف الشعرانى رحم الله الجميع.

وقال الحافظ فى الفتح (69/7) فى قصة الشورى: قال ابن بطال فيه دليل على جواز تولية المفضول على الأفضل منه؛ لأن ذلك لول م يجز لم يجعل الأمر شورى إلى ستة أنفس مع علمه أن بعضهم أفضل من بعض، قال ويدل عليه قول أبي بكر: قد رضيت لكم أحد الرجلين عمر وأبي عبيدة مع علمه بأنه أفضل منهما اهـ.

:

خطأ من ادعى الإجماع فى التفضيل

غلط بعض العلماء – رحمهم الله – حيث نصوا على أن تفضيل سيدنا الصديق فعمر فعثمان كان محل اتفاق أو

إجماع بين سلف الأمة وخلفها.وهو خطأ فإن ذلك رأي جمهور من أهل السنة فقط كما فى التوضيح الآتى.

قال العلامة المحدث محمود ممدوح (ص 77-78):

التوضيح لذلك إنه- أي مدّعي الإتفاق – إذا كان عمدته فى حكاية الإتفاق هو ما يذهبون إليه من تفضيل الشيخين على علي رضي الله عنهما فهو أيضا باطل لعدم اتفاقهم على ذلك، بل هم مختلفون فى التفضيل بين على والشيخين وبين على وعثمان رضى الله عنهم ، وإنما الإتفاق واقع على أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، على هذا الترتيب، وهذا لا يلزم منه الأفضلية، حتى يقع الإتفاق عليها، بل قد يلى الخلافة المفضول، مع وجود الفاضل؛ إذ لم يرد نص من الشارع باشتراط الأفضلية للخلافة، حتى يكون السابق لها هو الأفضل اهـ المراد.

الإختلاف فى التفضيل

ها هنا نذكر الأدلة على أن الخلاف فى التفضيل أمر قديم، حتى الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا بينهم فيمن من هو الأفضل وتبعهم فى ذلك جماعة ممن جاء بعدهم كما فى النصوص القادمة.

الصديق رضى الله عنه لم يفضل نفسه

روى الإمام عبد الرزاق (336/11، رقم 702 20) عن معمر قال وحدثنى بعض أهل المدينة قال خطبنا أبو بكر فقال يا أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن ضعفت فقوموني وإن حسنت فأعينوني الصدق أمانة والكذب خيانة الضعيف فيكم القوي عندي حتى أزيح عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد فى سيل الله إلا ضربهم الله بالفقر ولا ظهرت- أو قال شاعت-

الفاحشة فى قوم إلا عممهم البلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله قال معمر وأخبرنيه بعض أصحابي اهـ.

قلت: ولابن سعد فى الطبقات (182/3): لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه: ثم قال: أما بعد، أيها الناس، قد وليت عليكم، ولست بخيركم..الخ.

فصححه ابن كثير فى البداية (269/5). تعقب بقوله "فقوله رضي الله: لست بخيركم من باب الهضم والتواضع فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم ﷺ".

قلت: للحافظ ابن كثير أخطاء وغلطات سامحه الله تعالى فيها، وسوف نتناول بعضا من ذلك فى الباب الذى يلى بمشيئة الله.

و دعوى الإجماع على تفضيل أبي بكر لا دليل عليها فالصحابة كانوا فى ذلك مختلفين.وعن تأويله نقول قال ابن حزم على سبيل المثال :" فإن قال قائل إنما قال أبو بكر هذا تواضعا قلنا له هذا هو الباطل المتيقن لأن الصديق الذي سماه رسول الله صلى عليه وسلم بهذا الإسم لا يجوز أن يكذب وحاشاه من ذلك ولا يقول إلا الحق والصدق فصح أن الصحابة متفقون فى الأغلب على تصديقه فى ذلك .اهـ.راجع (106/1) من الفصل لابن حزم.

قلت: على أنه لا يلزم من تواضعه- لو كان متواضعا فى قوله هذا- الكذب.وهذا من أبسط الأدلة على وجود الخلاف فى التفضيل بين الصحابة بنص من الصديق نفسه رضوان الله عليهم أجمعين.

نماذج من إختلاف الصحابة فى التفضيل

قال ابن عبد البر فى الإستذكار (95/5): وقد ذهب قوم من جلة العلماء إلى القطع أن من مات فى حياة رسول الله ﷺ من الشهداء، مثل: حمزة، وجعفر، ومصعب بن عمير، وسعد بن معاذ، ومن جرى مجراهم ممن موتهم قبله، وصلى عليهم، وشهد بالجنة لهم، أفضل ممن بقي بعده من أصحابه الذين قال فيهم "ألا لا أدري ما تحدثون بعدي" وخاف عليهم من الفتنة والميل إلى الدينا، ما قد وقع فيه بعضهم، وقالوا: معنى قول من قال: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو فلان وفلان، يعنى من بقي بعده ﷺ. اهـ.

أبو هريرة يفضل الإمام جعفر ابن أبي طالب

روي الترمذى فى السنن (برقم 4131) عن أبي هريرة قال ماحتذى النعال ولا انتعل ولا ركب المطايا ولا ركب الكور بعد رسول الله

ﷺ – أفضل من جعفر بن أبي طالب. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب. والكور الرّحْل. والحديث فى المسند(9342) ومستدرك الحاكم (41/3، برقم 435) وعند النسائى فى الكبرى (8157) وذكره فى الإصابة (184/1) وتكلف الذهبى توجيهه فى السير (184/17)وهو قد قال فى تلخيص المستدرك فيه إنه على شرط البحارى.وأشار إليه الحافظ فى الفتح (17/7) أيضا.

السيدة عائشة تفضل البضعة النبوية

كانت السدة عائشة رضى الله عنها تقدم بنت الرسول فاطمة الزهراء ﵂ وتقول –كما فى المعجم الأوسط للطبرانى.(137/3، رقم 2721)-: ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها قالت وكا بينهما شيء فقالت يا رسول الله سلها فإنها لا تكذب قال فى مجمع الزوائد (325/9): رواه الطبررانى فى الأوسط وأبو يعلى إلا أنها قالت: ما رأيت أحدا قط أصدق من فاطمة ورجالهما رجال الصحيح.

وفى فيض القدير (554/4): (فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى): استدل به السهيلى على أن من سها (سبها) كفر لأنه يغضبه وأنها أفضل من الشيخين قال ابن حجر: وفيه نظر اهـ.

قلت: والنظر ليس فى أفضليتها من الشيخين بل فى كفر من سبها لتساوي غضبها مع غضب أبيها ﷺ كما فى الفتح (105/7).

بعضهم يفضل سيدنا عمر

قال الحافظ فى الفتح (17/7): ومنهم من قال أفضلهم مطلقا عمر متمسكا بالحديث الآتى فى ترجمته فى المنام الذى فيه فى حق أبي بكر وفى نزعه ضعف وهو تمسك واه ا هـ.

منهم من فضل عليا عليه السلام

1- كان ابن مسعود رضي الله عنه يفضل عليا ويقول كما فى الفضائل لأحمد (1097)-نقلا عن غاية التبجيل ص 136-: كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة على ابن أبي طالب. وهو

فى الإذستدكار (98/5) وانظر (604/2، رقم 1033) من فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل

2- ومثله عامر بن واثلة كما جاء فى ا (113/4)

3- وذكر الباقلانى تفضيله عن ابن عباس، وحذيفة، وعمار، وجابر،وأبي الهيثم التيهانى، وغيرهم (انظره فى ص 147)

تفضل غير علي على الشيخين

1- فضل قوم أهل الصفة كما ذكره ورده ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (56/11) و(37/1)(راجع ص 94)

2- ذكر الباقلانى تفضيل العباس فى مناقب الأربعة (ص 513).

3- فضل إبراهيم النخعي وفيه عبد الله بن مسعود كما فى الفصل (182/4)

منهم من توقف فى التفضيل

قال العلامة مُحَّدوح (فى ص 57): وهذا هو مذهب الجماهير من أهل المدينة ن غير آل البيت عليهم السلام وشيعتهم وصرح به الإمام مالك، ونقله عن شيوخه.

قال ابن عبد البر فى الإستذكار (20/14 و97/5) حدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أبو بكر بن أبى حيثمة، قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب، قال: حدثنا عبد السلام بن صالح، قال حدثنا عبد الله بن وهب، قال: سمعت مالكا يقول: لا أفضل أحدا من العشرة، ولا غيرهم، على صاحبه وكان يقول: هذا من علم الله الذى لا يعلمه غيره.

قال: وقال مالك: أدركت شيوخنا بالمدينة وهذا رأيهم.

وروى ايضا (243/14،241، و98/5) عن مالك بن أنس قال: ليس من أمر الناس الذين مضوا التفضيل بين الناس.

وفى (241/14،243، 99/5): حدثنا أحمد بن زهير قال: سمعت مصعب بن عبدالله الوليدي، يقول: لم يكن أحد من مشايخنا الذين أدركت ببلدنا يفضل بين أحد من العشرة، لا مالك، ولا غيره.

وقال (237/14، 238، 96/5): وأما التعيين فيهم، وتفضيل بعضهم على بعض، فهذا لا يصح فى نظر ولا اعتبار، ولا يحيط بذلك إلا الواحد القهار المطلع على النيات الحافظ للأعمال، إلا من جاء فيه أثر صحيح بأنه فى الجنة، جاز له أن يقال فيه ذلك اتباعا للأثر لا أنه أفضل من الذين شاركوه فى مثل فضله ذلك، ومن فضله رسول الله ﷺ بخصلة، وشهد له بها جاز أن يفضل بها فى نفسه، لا على غيره...

ولم يأت عنه ﷺ من وجه صحيح، تجب الحجة بمثله أنه قال: فلان أفضل من فلان إذا كانا جميعا من أهل السوابق والفضائل... فلما لم يفعل علمنا أن قول القائل: فلان أفضل من فلان، باطل، وليس بدين ولا شريعة اهـ ونحوه فى الإستيعاب (18/1)

وقال ابن حزم فى الفصل (182/4): قال داود بن على الفقيه رضى الله عنه: أفضل الناس بعد الأنبياء أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة الأولون من المهاجرين، ثم الأولون من الأنصار، ثم من بعدهم منهم ولا نقطع على إنسان منهم بعينه أنه

أفضل من آخر من طبقته، ولقد رأينا من متقدمى أهل العلم ممن يذهب إلى هذا القول. انتهى النقل من غاية التبجيل بتصرف.

توضيح المشكل من مسألة الخلافة

فى ضوء أحاديث مشعرة بخلافة الإمام على بن أبى طالب والوصية بموالاته استشكل قوم قضية الخلافة عامة وتقديم الخلفاء الثلاثة عليه خاصة.

وقد أتقن توضيح هذا الإشكال الحافظ المغربى الحافظ أحمد بن الصديق الغمارى فقال فى "البرهان الجلى فى تحقيق انتساب الصوفية إلى الإمام علي" ص 63-64 ناقلا عن الألوسى فى التفسير عند قوله: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوآ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ما نصه: الآية عن معظم المحدثين نزلت فى على كرم الله وجهه، وكثير من الصوفية قدس الله أسرارهم يشير إلى القول بخلافته كرم الله وجهه، بعد الرسول عليه الصلاة والسلام بلا فضل، إلا أن تلك الخلافة عندهم هى الخلافة

الباطنية التى هى خلافة الإرشاد والتربية والإمداد الروحانى، لا الخلافة الصورية التى هى عبارة عن إقامة الحدود الظاهرة، وتجهيز الجيوش والذب عن بيضة الإسلام ومحاربة أعدائه بالسيف والسنان، فإن تلك عندهم على الترتيب الذى وقع، كما هو مذهب أهل السنة، والفرق عندهم بين الخلافتين كالفرق بيين القشر واللب، فالخلافة الباطنة لب الخلافة الظاهرة، وبها يذب عن حقيقة الإسلام، وبالظاهرة يذب عن صورته... وبتقسيم الخلافة إلى هذين القسمين، جمع بعض العارفين بين الأحاديث المشعرة أو المصرحة بخلافة الأئمة الثلاثة بعد رسول الله ﷺ على الترتيب المعلوم، وبين الأحاديث المشعرة أو المصرحة بخلافة الإمام على كرم الله وجهه بعده عليه الصلاة والسلام بلا فصل انتهى.

قال الحافظ الغمارى (ص 66- 67): ولما لم يفهم أهل الظاهر مراده ﷺ وآله وسلم من تلك الأحاديث ظنوا أنها متعارضة، فانقسموا لذلك قسمين وافترقوا فرقتين، فرقة تمسكت بأحاديث على عليه السلام إذ رأتها مصرحة بخلافته ووصايته وأعلميته ووجوب موالاته، ورأت أن الحق معها ففسقت مقابلتها وضللتها

لمخالفتها ظاهر النصوص فى نظرها وهم الشيعة، وفرقة تمسكت بأحاديث الخلفاء الثلاثة إذرأتها مؤيدة بإشارات وقرائن، ومطابقة لما جرى به القلم، وبرز للعيان، ففسقت مقابلتها وضللتها إذ رأتها خارجة عن الحق، ناكبة عن الطريق، وهم الجمهور ثم سلك كل فريق فى الأحاديث المخالفة لرأيه مسلك الإعراض بالطعن والتضعيف، والرد والتزييف، مع غلو وإفراط، وتجاوز للحد وإسراف لعجزهم عن الجمع بين الدليلين، والتوفيق بين الطرفين، والحق خلاف المسلكين وبعيد عن الفريقين، ولو فهموا من تلك النصوص ما فهمه الصوفية رضى الله عنهم لرأوها متفقة غير مختلفة، إذ ما كان من عند الله لا يختلف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا انتهى ونقل مثله عن الحافظ الصوفى مُحَمَّد بن قاسم التركمانى فى القول المستحسن.

قلت: وهذا التفصيل فى غاية الحسن وهو الذى ندين الله تعالى به إن شاء الله.

فالترتيب والتقديم فى الخلافة كما قال الشعرانى لا بد منه لسبق ذلك فى حكم الله، وأما من حيث قطعنا بتفضيل بعضهم على

بعض فذلك مصروف إلى الله تعالى فهو العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه وتعالى بما فى نفسه من ذلك.

وبعد قولنا إن الإجماع المذكور إجماع مذهبى أى هو إجماع أهل السنة، نأكد نقطتين هما: أن الترتيب فى الخلافة ترتيب زمنى مقدور بالحكم الإلهى، وأن القطع بالأفضل عند الله أمر ظني إجتهادي مختلف فيه منذ عهد الصحابة فهو موكول علمه إلى الله تعالى.

تكميل: تفضيل علي هو مذهب أهل البيت

قال صاحب الغاية (1/204-214) :وقال الإمام المجتهد يحي بن حمزة الحسينى المتوفى سنة 747 رحمه الله تعالى فى "الرسالة الوازعة عن سب صحابة سيد المرسلين" (ص 37، 38): اعلم أن الذى نعتقده ونراه، ونحب أن نلقى الله عز وجل عليه هو ما عليه السلف الصالح من آبائنا من أكابر أهل البيت المقتصدين منهم والسابقين أن أمير المؤمنين أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما خصه الله به من الفضائل الظاهرة التى لم يحزها أحد بعده ولا كانت لأحد قبله ....

ثم ذكر أقوال أبي منصور البغدادى فى أصول الدين بإجماع أهل السنة على أن أفضل الصحابة أبو بكر فعمر فعثمان فعلى،و حكى نحوه عن التفتازانى فى المقاصد والعراقى فى الألفية والسخاوى فى فتح المغيث والحافظ فى الفتح وغيرهم قائلا:

فأنت ترى أن الإجماع المدعى ليس هو الإجماع الشرعى الذى يضّل به المخالف، بل هو إجماع بمعنى اتفاق جماعة معينين، فهو اتفاق مذهبى، وليس إجماعا شرعيا، إن صح هذا الإتفاق فإن طائفة من أهل السنة يعارضونه ويخالفونه كما تقدم فى الفصول السابقة.

ثانيا: أن طائفة من أهل العلم صرّحوا بالإجماع بعد إثبات الإختلاف، ثم نسبوا هذا الإجماع لأهل السنة والجماعة، فعلم أنه إجماع خاص،

من هؤلاء:

1- الإمام أبو الحسن الأشعرى، فقد أثبت فى كتابه "مقالات الإسلامين" (ص 147) الإختلاف بين أئمة المسلمين فى تعيين أفضل الصحابة، ثم قال فى رسالته إلى أهل الثغر

(ص 299): "وأجمعوا على أن خير العشرة الأئمة الأربعة: أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضوان الله عليهم".

فعلم أنه هذا الإجماع خاص بأهل السنة، لأنه إجماع بعد إثبات الإختلاف، فهو اتفاق جماعة مذهب...

وزيادة على ما تقدم أقول: إن الإجماع المدعى هو اتفاق أهل المذهب أو بعضهم للآتى:

1- أن السلف – طبقة بعد طبقة أعنى الصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم وأتباعهم قد اختلفوا على مذاهب شتى فى تعيين الأفضل كما تقدم بسطه.

2- أن هذا الإجماع فى حقيقة قول الأكثرين من أهل السنة فهو غير ملزم، وقولهم ليس بحجة كما هو مقرر فى علم الأصول.

ولذلك قال العلامة علي القاري فى شرح الفقه الأكبر (ص204): "والحاصل أن ما ذكره بعضهم من الإجماع على أفضلية

الصدّيق محمول على إجماع من يعتد به من أهل السنة إذا لا يصح حمله على إجماع الأمة لمخالفة بعض أهل البدعة".

قلت: مفهوم كلامه أن أهل السنة قسمان: قسم يعتد به، وهم القائلون بأفضلية الصديق ﷺ، وقسم لا يعتد به وهم المخالفون، وهذا تصريح منه بوجود خلاف فى المسألة داخل أهل السنة، وأن الإجماع ما هو إلا قول من يعتد به من أهل السنة فى نظره وهم الأكثرون. فالذى يتأتى على القواعد أن هذا الإجماع إن صح- -فهو غير ملزم ولا بد، وإنما تزيد بجماعة لاغير، ورفع سلاح الإرهاب الفكري للمخالف ووصمه بالابتداع وهذا مرفوض.

ثالث: عرف الأصوليون الإجماع، فقالوا: هو اتفاق المجتهدين من الأمة بعد وفاة مُحَمَّد ﷺ فى عصر على أي أمر كان. راجع: المحصول (20/4)،[وفى المحصول لابن العربى :(121/1)] وجمع الجوامع (210/2)، والتوضيح (41/2،و88/2).

وقولهم "المجتهدين" الألف واللام للاستغراق فيعم كل فرد من مجتهدى الأمة، وهى أمة الإجابة، فيدخل فيهم كافة مجتهدى الطوائف الإسلامية، فلو اتفق على أمر من الأمور مجتهدو الحرمين فقط، أو مجتهدو السنة فقط، أومجتهدو الزيدية والعراق ومصر فقط، أو مجتهدو السنة والمعتزلة فقط لم ينعقد الإجماع.

رابعا: فإن قال متشدد ما سوى أهل السنة هم جماعة من المبتدعة فلا اعتبار بخلافهم فى الإجماع، لأنه لا يعتد بخلاف المبتدع، فالجواب أن الأصوليين بحثوا مسألة دخول المجتهد المبتدع الذى لم يكفر ببدعته فى الإجماع: هل ينعقد الإجماع بدونه أم لا؟

والصواب- والله أعلم – أن الإجماع لا ينعقد إلا به، لأن التعريف يشمله،لقولهم فى التعريف "مجتهدى الأمة"، أو "المجتهدين من الأمة"، ولقوله ﷺ: " لا تجتمع أمتى على ضلالة"، وهذا اختيار إمام الحرمين، وأبي إسحاق الشيرازي، والغزالي وابن الحاجب وغيرهم.

ولأبي مُحَمَّد بن حزم بحث جيد فى وجوب إدخال أهل الأهواء فى الإجماع، انظره فى أصوله (580/1).

هب أننا أخرجنا المبتدعة من الإجماع، فالقائلون بهذا الإخراج بعض أهل السنة، وهم فيما بينهم مختلفون، ويمكن إخراج طائفة منهم من الإجماع للخلاف المحتدم بين الأشاعرة والحنابلة، بل وبين أهل الحديث أنفسهم، بسبب مسائل منها مسألة اللفظ ولشيخنا المحقق العلامة السيد عبد الحي بن الصديق رحمه الله تعالى رسالة مطبوعة فى هذه المسألة اسمها الإقتناع باعتبار خلاف داود فى الإجماع، أجاد فيها وأفاد.

والذي يتحصل مما سبق أنه يجب اعتبار المخالفين ومنهم الشيعة ،لا سيما الزيدية، وهم مقدمون لعلى عليه السلام وآل البيت على الجميع، وهذا التقديم قطعي عند الجماهير منهم.

خامسا: لا يتصور وجود إجماع بدون أئمة آل البيت عليهم السلام فهم الثقل الثانى وهم قرناء الكتاب، أهل الإجتهاد والإستقامة، ومنهم من بعد على: الحسنان، وزين العابدين،

والحسن المثنى، وزيد بن على وأبناؤه، وأخوه الباقر، وابنه الصادق، ثم أولاده، وعبد الله الكامل وأبناؤه الأئمة الخمسة،وزيد بن الحسن، وإبراهيم بن الحسن وأبناؤه الأئمة، ومنهم القاسم والهادي وغيرهم، وغيرهم. انتهى كلام العلامة ممدوح ملخصا.

قلت-البشير-: أوافق العلامة على أن تفضيل غير الصديق ليس محدثا لثبوته عن بعض الصحابة والتابعين وجلة العلماء كما سبق عن ابن عبد البر وهم القدوة الأولى لمن جاء بعدهم، وعلى ضرورة دخول الفرق الخارجة عن أهل السنة فى إجماع الأمة- شريطا على بعض الضوابط ،وكذا أوافقه على وجوب عدم إهمال أئمة آل البيت النبوى عليهم السلام فى انعقاد الإجماع االشرعى لكونهم الثقل الثانى بعد كتاب الله الكريم.أما دعوى أن قول القارى "من أهل السنة" معناه أنهم قسمان: قسم يعتد به وهم القائلون بأفضلية الصديق ﷺ، وقسم لا يعتد به وهم المخالفون بما أفاد أن حرف "من

" فى كلامه **تبعيضية** فلا أراها صوابا. بل أراها **بيانية** والله تعالى أعلم.

تنبيه:

قال الدكتور يوسف المرعشى فى "علوم الحديث الشريف" (ص 168) بعد حكاية قول العراقى المشار إليه سابقا فى إجماع أهل السنة وعدم اختلاف السلف والخلف على تفضيل أبي بكر وعمر: ولا مبالاة بأقوال أهل التشيع ولا أهل البدع، وقد حكى الشافعى وغيره إجماع الصحابة والتابعين على ذلك.

قال البيهقى فى كتاب "الإعتقاد" روينا عن أبي ثور عن الشافعى قال: ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين فى تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة، وإنما اختلف من اختلف منهم فى على وعثمان اهـ.

قلت: إن صح هذا عن الشافعى فهو محمول على أنه لم يبلغه الخلاف وإلا فهو مردود بما سبق عن ابن مسعود وأبي هريرة

والسيدة عائشة ﷺ والإمام مالك – وما ذكره عن شيوخه بالمدينة – وغيرهم ممن قدم غير الصديق أو توقف فى تفضيل أحد منهم على غيره كما تقدم.

من أخطاء ابن كثير رحمه الله

تمهيد:

الإمام العلامة إسماعيل بن عمر بن كثير (700- 774هـ) عليه رحمة الله تعالى مفسر جليل وحافظ محدث كبير على طريقة الفقهاء كما قال الحافظ ابن حجر فى "الدرر الكامنة" وكما قال الحافظ أحمد الغمارى فى بعض رسائله.

وهو على عظيم إنصافه وجسيم ميله لنصرة الحق بما ميزه من كثير من أتباع وتلاميذ ابن تيمية إلا أنه تأثر بالشيخ واقتبس من نار فتنته ما أوقعه فى بعض الزلاّت والأخطاء.قال عنه الحافظ:"ولد سنة سبعمأئة أو بعدها بيسير ومات أبوه سنة 703...واشتغل بالحديث مطالعة فى متونه ورجاله...ولازم المزي وقرأ عليه تهذيب الكمال وصاهره على ابنته وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن لسببه" انتهى المراد. وراجع الدرر الكامنة (125/1).

يستعرض هذا الباب شيئا من غلطاته تنبيها للإخوة الطلاب وليس تطاولا عليه ولا تجريحا لأحد من العلماء فنقول:

1- إغماز علي وإخراجه من أهل البيت النبوى

قال فى "حتى لا تضيع الهوية الصوفية" (282/1-284): يجدر بي أن أقول: أن تخطيط الأمويين نجح فى بعض الأزمان، وبعض البلدان، وبعض العلماء بنسة تزيد أو تقل. سأضرب مثلا واحدا بأحد العلماء تأثر بكلام ابن تيمية فكان من تلاميذه فأوقعه ذلك- سامحه الله فى أخطاء غريبة منها قوله أن على ابن أبى طالب ليس من أهل البيت. هذا العالم هو ابن كثير قال فى البداية والنهاية (232/6): "وعلى بن أبي طالب ليس من أهل البيت".

قلت: إذا فأين حديث الكساء الذى فى مسلم وغيره، وابن كثير يعرفه. أغرب ابن كثير فقال فى تفسيره (517/3-518)و(478/6): وقد غلب هذا فى عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد على ﷺ بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحا لكن ينبغى أن يسوى بين

الصحابة فى ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضى الله عنهم أجمعين".

قلت: ضرب ابن كثير بالبخارى وبمسند أحمد وآلاف عرض الحائط، فمن قرأ البخارى-ومخطوطاته موجودة-يجد أن البخارى نفسه يقول: على عليه السلام والمحدثون يذكرون ذلك ما لايعد ولا يحصى، كلام ابن كثير صعب، وقولهم عن سيدنا على كرم الله وجهه" لأنه لم يسجد لصنم، وهذا لايضايق أحدًا.

كان الإمام الشافعى فى كتابه الأم (201/1و44/2) وغيره يقول"كرم الله وجهه" وكذلك الإمام أحمد، وابن أبى شيبة، والنسائى والطبرانى والحاكم والبيهقى، وأمم من الفقهاء والمحدثين والأصوليين، ودعوى أن ذلك من النساخ دعوى بلا دليل، وإلا تمسك بها المستشرقون والطاعنون فى السنة. فمن أضاف شيئا استطاع أن يحذف شيئا.روى الإمام أحمد فى مسنده (164/3)

قال أنس بن مالك: لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن على وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين.

قال ابن حبان رحمه الله فى كتابه الثقات (456/8 و 457) فى ترجمة على بن موسى الرضا: وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار بجنب قبر الرشيد قد زرته مرار كثيرة، وما حلت بن شدة فى وقت مقامى بطوس فزرت قبر على بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه، ودعوت الله إزالتها عنى إلا استجيب لى، وزالت عنى تلك الشدة، هذا شيء جربته مرارا فوجدته كذلك، أما تنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته ﷺ:انتهى.

قلت: لفظ الشافعى فى المكان الأول هو: وبلغنا أن عليّا كرم الله وجهه كان يقرأ على المنبر {قل يأيها الكافرون} و {قل هو الله أحد} الخ.

وفى الثانى: فقال على كرم الله وجهه أما لأقضين فيها قضاءً بينًا الخ.

فأي سلف لابن كثير فيما قاله؟؟؟... ثم ما هو حكم ابن حبان الذى كان –ولم يزل–يفعل هذه الشركيات عند أتباع ابن تيمية؟

2–زعمه أن ابن تيمية لم يمنع التوسل بالنبى أصلا

جاء فى كتاب أخطاء ابن تيمية (165/1) ما نصه: "فلما قام عليه علماء عصره بدأ ابن تيمية المرحلة الثانية وهى أشد ضرواة– حيث نظر فى أدلتهم ورتب منهجه بالإضافة إلى ما سبق – كالآتى:

1– فتح جبهات جديدة ومسائل مثل التوسل، حيث كان– أولا يثبت التوسل وينفى الإستغاثة، حتى أن ابن كثير كان يظن أن ابن تيمية لاينفى التوسل.

قال ابن كثير فى البداية والنهاية (45/14،و51) قال البرزالى: (وفى شوال منها شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين وكلموه فى ابن عربي وغيره إلى الدولة، فردوا الأمر فى ذلك إلى القاضي الشافعي، فقعد له مجلسا وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء، لكنه قال لا يستغاث إلا بالله، لا

يستغاث بالنبى استغاثة بمعنى العبارة، ولكن يتوسل به ويستشفع به إلى الله. فبعض الحاضرين قال: ليس عليه فى هذا فيه شىء،ورأى القاضى بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب، فحضرت رسالة إلى القاضى أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة: فقال القاضى قد قلت له ما يقال لمثله اهـ. فها هو ذا ابن كثير نفسه –وهو من تلامذته –قد توسل بالنبى ﷺ كما فى البداية والنهاية (13/ 192، و225) بقوله فى النار التى ظهرت فى المدينة: فالله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين بمحمد وآله الطاهرين اهـ.

قلت: ولذا قلنا عند ابن كثير كميّة مُمَّدوحة من الإنصاف حتى إنه يخالف ابن تيمية فى بعض المسائل وإن كان الذهبى أنصف منه.

من أخطائه فى التفسير

3–قوله تعالى: [**ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون**]

قال- سامحه الله وإيانا- معلقا على قوله تعالى: [**ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون،** الأنبياء: 105](5/384-385): ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الطالحون: يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة فى الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض فى الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (الأعراف: 128). وقال: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (غافر: 51) وقال: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم)...

وقال: مجاهد، عن ابن عباس: (أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) قال: أرض الجنة، وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والشعبى، وقتادة، والسدى وأبو صالح، والربيع بن أنس، والثوري (رحمهم الله تعالى)

قلت: تفسير "الأرض" فى الآية بأرض الدنيا وإن كان مسبوقا إليه إلا أنه مرجوح كما يتضح من جمع الأقوال الواردة، وخطأ ابن كثير هو ترجيح هذا القول المرجوح على الراجح.

قال العلامة المحقق السيد عبد الله بن الصدّيق الغمارى فى "بدع التفاسير" (ص 93): قوله تعالى {ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) معنى الآية : أن الله تعالى كتب فى الكتب المنزلة بعد الكتابة فى اللوح المحفوظ: أن أرض الجنة يرثها عباده الطالحون المتقون، وحكى عنهم قولين حين دخولها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض من الجنة حيث نشاء).

ومن **بدع التفاسير**: قول بعض المعاصرين: أن الأرض يعنى أرض الدنيا يرثها عبادى الصالحون لعمارتها والغرض بهذا التأويل تأييد الإستعمار الأوربي، والحض على عدم مقاومته، حيث إن القرآن أخبر بأن لهم وراثة أرض الدنيا. وهذا إلحاد فى القرآن، وكذب على الله، وخروج على دينه، وحض على ترك فريضة الجهاد وإنى أبرأ إلى الله من هذا التأويل ومن صاحبه. اهـ.

قلت: وقد ذكر الطبرى أقوال الأئمة فيها على اختلافها كما فى (549/18-550) من تفسيره وأكد البعوى أنها:أرض الجنة (308/5). وفى أضواء البيان نحو ما عند الطبرى وهو: قولان: أرض الجنة، وأرض العدو (249/4-250).وشذ الشوكانى فى فتح القدير(85/5-86) فقال بعد حكاية الأقوال: والظاهر أن هذا تبشير لأمة مُحَمَّد ﷺ بوراثة أرض الكافرين، وعليه أكثر المفسرين اهـ.

قلت: بل العكس هو الصحيح والأكثر. قال فى زاد المسير (365/4): فى الأرض المذكورة هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أرض الجنة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون.

والثانى: أرض الدنيا ،وهو منقول عن ابن عباس أ1ضذ2يضا.

والثالث: الأرض المقدسة، قاله ابن السائب.

وذكر الرازى فى مفاتيح الغيب (22/ 199)أربعة دليل لمن قال هى أرض الجنة فقال ثالثها: لأن الأرض التى يختص بها الصالحون

هي الجنة فأما أرض الدنيا فهى للصالح وغير الصالح، ولأنها مذكورة عقيب إلاعادة والأرض التى هذا وصفها لا تكون إلا الجنة. اهـ.

وقال القرطبى رحمه الله (11/ 349) : "أن الأرض يرثها عبادى الصالحون" أحسن ما قيل فيه أنه يراد بها أرض الجنة كما قال سعيد بن جبير لأن الأرض فى الدنيا قد ورثها الصالحون وغيرهم. وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرها. وقال مجاهد وأبو العالية: ودليل هذا التأويل قوله تعالى: وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأض "وعن ابن عباس" أنها الأرض المقدسة" وعنه أيضا: أنها أرض الأمم الكافرة ترثها أمة مُحَمَّد ﷺ بالفتوح اهـ.

4-**تفسير قوله تعالى { ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين }** (يوسف :24) قال ابن كثير رحمه الله (381/4) تعليقا على الآية:...

وقال بعضهم: المراد بهمّه بها همّ خطرات حديث النفس. حكاه البغوي عن بعض أهل التحقيق، وقيل: همّ بضربها، وقيل: تمنّاها زوجة. وقيل: {وهم بها لولا أن رأى برهان ربه} أي: فلم يهم بها. وفى هذا القول نظر من حيث العربية، ذكره ابن جرير وغيره الخ.

قلت: الحمل على ابن كثير فى سوق الأقوال التى هى من بدع التفاسير هنا، وكون ذلك بصيغة التمريض مستبعد أن يكون من أمارات التضعيف فى صدد التفسير.والله أعلم.

قال الغمارى فى بدع التفاسير (1/69-72): قوله تعالى {ولقدهمت به} أى همت بمخالطته (وهمّ بها) هم بمخالطتها (لولا أن رأي برهان ربه) لخالطها، والمراد : أن نفسه مالت إليها بحكم الطبيعة البشرية، كما يميل الصائم للماء البارد مثلا، لكنه لم يعزم بل امتنع عن قربانها خوفا من الله تعالى، ورعاية لزوجها الذى تركه معها مؤتمنا له، فلم يكن ليخونه. فقد تبين أن هم يوسف على حقيقته، وأن جواب لولا محذوف، تقديره ماذكرناه.وأن البرهان

الذى رآه خشية الله المطلع على سره ونجواه، وقبح خيانة سيدها الذى أكرم مثواه.

ومن **بدع التفاسير**: جعل "همها" جواب "لولا" مقدما عليها، والتقدير: ولولا أن رآي برهان ربه لهمّ بها. امتنع همه بها لرؤية برهان ربه، فلم يقع هم أصلا وهو مردود بوجهين...

أحدهما: أن جواب لولا لا يتقدم عليها، لأنها فى حكم الشرط، وللشرط صدر الكلام. ولأنها مع ما فى حيزها من الجملتين، مثل كلمة واحدة، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض، أما حذف بعضها إذا دل عليه دليل فجائز.

ثانيهما: أنه لو لم يقع منه هم أصلا، لما كان ممدوحا عند الله تعالى، ولا كان له ثواب، لأن استعظام الصبر على الإبتلاء، على حسب عظم الإبتلاء، وكذلك الثواب على قدر المشقة، ولا مشقة فى عدم الهم. ولو كان همه كهمها عن عزيمة، لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين.

وقيل: وهم بها أي هم بضربها، لولا أن رأي أن ضربها يؤدى إلى اتهامه بأنه أراد بها سوء فامتنعت منه. وهذا من **بدع التفاسير** أيضا، وهو قول سخيف. وكيف يضربها وهو خادم عندها؟ غريب فى بيتها؟ بل قوله لها (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون) يدل على أنه كان يخاطبها بأسلوب مؤدب مهذب، وهذا هو اللأئق بمقامه، والمناسب لموقفه منها...

وقد أحسن الزمخشرى حيث قال: ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة، لنعيت عليه، وذكرت توبته واستغفاره، كما نعيت على آدم زلته، وعلى داود، وعلى نوح، وعلى أيوب، وعلى ذى النون، وذكرت توبتهم واستغفارهم. كيف وقد أثنى عليه وسمى مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت فى ذلك المقام المحض...

قلت: ويعجبنى قول الإمام الرازى فى هذا المقام: إن يوسف عليه السلام برأه الله تعالى بقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) وبرأته

النسوة (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) وبرأه الشيطان (قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) فمن يتهمه بعد ذلك؟ انتهى بحروف الغمارى.

5- **تفسير قوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها)** ؛الحديد: 27)

قال الحافظ الغمارى فى "إتقان الصنعة فى تحقيق معنى البدعة" عند قوله "القرآن يؤيد البدعة الحسنة": روى الطبرانى فى الأوسط عن أبي أمامة ﷺ

قال: إن الله فرض عليكم صوم رمضان، ولم يفرض عليهم قيامه وإنما قيامه شيء أحدثتموه، فدوموا عليه، فإن ناسا من بنى إسرائيل ابتدعوا بدع، فعابهم الله بتركها فقال {ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فى سنده زكريا بن أبى مريم ذكره ابن حبان فى الثقات، وقال النسائى: ليس بالقوي وقال الدارقطنى: يعتبر به وما استنبطه أبو أمامة ﷺ صحيح،

فإن الآية لم تعب أولائك الناس على ابتداع الرهبانية، لأنهم قصدوا بها رضوان الله، بل عابتهم على أنهم لم يرعوها حق رعايتها: وهذا يفيد مشروعية البدعة الحسنة كما هو ظاهر وابن كثير رحمه الله لم يدرك مغزى الآية فحملها على ذم البدعة مطلقا، وهو خطأ اهـ.

قلت: وقد بسط الدكتور محمود صبيح الكلام فى هذا على الموقع الخاص به، ومما قاله هناك: قال الفخر الرازى (245/29، 474) لم يعن الله بابتدعوها طريقة الذم، بل المراد أنهم أحدثوها من عند أنفسهم ونذروها، ولذلك قال تعالى بعده (ماكتبناها عليهم).

وقال العلامة الألوسى (294/15،191/14): ويعلم منه أيضا سبب ابتداع الرهبانية وليس فى الآية ما يدل على ذم البدعة مطلقا والذى تدل عليه ظاهرا ذم عدم رعاية ما التزموه. انتهى فغاية ما تفيده الآية فى ذلك النص على أن الرهبانية إنما هى محض بدعة من عند أنفسهم لم يكتبها الله عليهم، دون تلميع من قريب أو بعيد إلى الله

سبحانه وتعالى قد ذمهم على هذا الابتداع، بل على العكس من ذلك قد يلمع من سياق الآية ما يدل على امتداحهم على هذه البدعة،وذلك من وجهين: الوجه الأول: من قوله تعالى {إلا ابتغاء رضوان الله} حيث نص على صحة قصدهم من هذه البدعة وإخلاصهم فيها.

قال الطاهر ابن عاشور فى تفسيره التحرير والتنوير (423/27): وإنما عطفت هذه الجملة على جملة (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) لاشتراك مضمون الجملتين فى أنه من الفضائل المراد بها رضوان الله، والمعنى: وابتدعوا لأنفسهم رهبانية ماشرعناها لهم، ولكنهم ابتغوا بها رضوان الله، فقبلها الله منهم؛ لأن سياق حكاية ذلك عنهم يقتضي الثناء عليهم انتهى.

والوجه الثانى: من قوله تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) فهذا نص من الله سبحانه وتعالى على أنه قد أثاب الذين رعوها حق رعايتها وأثابهم أجرهم، وهذا دليل قبول منهم ورضا بفعلهم.

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى فى تفسيره (241/27)و(206/23-207) وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال: إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها، بعض الطوائف التى ابتدعتها، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر أنه آتى الذين آمنوا منهم أجرهم. قال:فدل بذلك على أن منهم من قد رعاها حق رعايتها، فلو لم يكن منهم من كان كذلك لم يكن مستحق الأجر الذى قال جل ثناؤه فى (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) إلا أن الذين لم يرعوها حق رعايتها ممكن أن يكونوا كانوا على عهد الذين ابتدعوها، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم، لأن الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رعوها، فجائز فى كلام العرب أن يقال لم يكونوا رعوها، فجائز فى كلام العرب أن يقال: لم يرعها القوم على العموم، والمراد منهم البعض الحاضر، وقد مضى نظير ذلك فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب. اهـ.

وعلى بطلان قوله، ما ذكره من الأحاديث المفسرة للآية بعد قوله السابق، وقواه ابن كثير نفسه، وهو ما أخرجه بن أبى حاتم (عن) عبد الله بن مسعود قال، قال لي رسول الله ﷺ يابن مسعود قلت لبيك يا رسول الله قال هل علمت" بنى إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة، لم ينج منها إلا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم عليه السلام فدعت إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم، فقاتلت الجبابرة،

(1) برقم 5400 قال الألبانى: صحيح الإسناد موقوف.

فقتلت فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال،فقتلت وقطعت بالمناشير،وحرقت بالنيران ،فصبرت ونجت،ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ،ولم تكن تطيق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت، وهم الذين ذكر الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما

كتبناها عليهم). فهذا نص من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الفرقة التى ابتدعت الرهبانية ورعتها حق رعايتها إحدى الثلاثة الناجية من بنى إسرائيل،وإنما نجوا ببدعتهم التى ابتدعوها ورعوها حق رعايتها.

ومثله فى الدلالة على ما أردنا من بطلان قول ابن كثير وصححه قول الجمهور ما رواه النسائى فى سننه (برقم 5400) وقال الألبانى فيه :"صحيح الإسناد موقوف" عن ابن عباس رضي الله عنهما.... ومن هنا يتبين لنا قطعا بطلان قول ابن كثير رحمه الله ومن سلك مسلكه، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يذمهم على ابتداع الرهبانية، وإنما امتدحهم بها ورضيها منهم؛ فتكون هذه الآية نصا قرآنيا عظيما فى إثبات البدعة الحسنة والله تعالى أعلم اهـ

مختصرا بحروف الدكتور صبيح.

6- زعمه أن ابن يتمية لم يمنع الزيارة النبوية

فى أخطاء ابن تيمية (ص 287-288):

قال ابن كثير فى البداية والنهاية (124/14، و 143): وكان ابن الخطيرى الحاجب قد دخل على الشيخ تقى الدين قبل هذا اليوم فاجتمع به وسأله عن أشياء بأمر نائب السلطنة ثم يوم الخميس دخل القاضى جمال الدين بن جملة وناصر الدين مشد الأوقاف وسألاه عن مضمون قوله فى مسألة الزيارة وكتب ذلك فى درج وكتب تحته قاضى الشافعية بدمشق قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية إلى أن قال وإنما المحزن جعله زيارة قبر النبى ﷺ وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالإجماع مقطوعا بها فانظر الآن هذا

التحريف على شيخ الإسلام فإن جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة من قبور الأنبياء والصالحين وإنما فيه ذكر قولين فى شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد الرحل بل يستحبها ويندب إليها وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ولم يتعرض إلى هذه الزيارة فى هذه الوجه فى الفتيا ولا قال إنها معصية ولا حكى الإجماع على المنع منها ولا هو جاهل قول الرسول زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة " والله سبحانه لا يخفى عليه شيء ولا يخفى عليه خافية وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقليون" اهـ كلام ابن كثير بحروفه.

أقرأ وتعجب، وبغض النظر عن الملاحظات التى وردت فى كلام ابن كثير، على الأقل عدم حسن ظنه بقاضى الشافعية الذى وافقه بعد ذلك قاضى الحنفية وقاضى المالكية وحتى قاضى الحنابلة..المهم أن ابن كثير فى نفى التهمة عن ابن تيمية ليس له عندنا إلا أحد معنيين... الأول: أن ابن كثير لم يطلع على خبيئة ابن تيمية.

الثانى: أن ابن تيمية له جهاز إعلامي كبير جدا يحاول تحسين صورته.

قلت: بعد التنبيه على كذب ابن تيمية بقوله (أن من جعل زيارة قبره مشروعة كزيارة قبر غيره فقد خالفا إجماع المسلمين) اهـ.

وأتحدى جميع أتباعه بأن يأتوا بهذا الإجماع ولو قبل ولادة ابن تيمية بيوم، فابن تيمية **كاذب**. وقد نقلنا

إجماع المسلمين على مشروعية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقول بعض العلماء بالوجوب اهـ.

قلت-البشير-: وقول ابن تيمية من جعل زيارة قبره مشروعة كزيارة غيره فقد خالف إجماع المسلمين وقفت عليه بفضل الله تعالى فى مجموع الفتاوى (243/27).

والحق- كما قال صاحب الأخطاء ص 158-159: أن ابن تيمية نفى الزيارة بشد الرحل أولا، ثم زاد الأمر عليه شدة فقال إنه ﷺ لا يزار كغيره وأن زيارته ممتنعة حتى على أهل المدينة وادعى أن الدعاء عند قبر النبي ﷺ بدعة اتفقت عليها الأئمة كلها، وأن من دعا هناك فلا بد أن يكون ظهره للنبى ﷺ ولا يستقبل وجهه الشريف، ثم من صلى عنده فقد ابتدع – بل أشرك.

ثم اشتد الحال عليه حتى قلل من أهمية رد سلام النبى ﷺ على من يسلم عليه! وفجأة ادعى أن الصحابة استغنوا عن السلام عليه عند قبره، ثم انتهى به الأمر بعد كل ماسبق إلى أن قال- هذا قوله الشنيع الذى نستغفر الله على إيراده-وهو:

(فلم يبق فى إتيان القبر فائدة لهم ولا له) !!!

وراجعه فى مجموع الفتاوى (416/27).

7- تفسير قوله تعالى (يهب لمن لمن يشاء إناثا، الشورى:50)

قال ابن كثير (٢١٦/٧)تحت الآية (يهب لمن يشاء إناثا، أي: يرزقه البنات فقط – قال البغوى: ومنهم لوط عليه السلام (ويهب لمن يشاء الذكور) أي: يرزقه البنين فقط. قال البغوى: كإبراهيم الخليل عليه السلام – لم يولد له أنثى.

(أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) أي: ويعطى من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، أي: من هذا وهذا. قال البغوى:

كمحمد، عليه الصلاة والسلام (ويجعل من يشاء عقيما) أي: لا يولد له قال البغوي: كيحي وعيسى عليهما السلام...اهـ

قلت: قال فى بدع التفاسير ص ١٢٣: وهذا تأويل باطل لأنه تخصيص الآية بدون دليل، ثم تخصيصها بهؤلاء الأنبياء دون غيرهم لا دليل عليه، ثم العقيم من تزوج ولم يولد له ويحي وعيسى لم يتزوجا أصلا اهـ.

قلت: قال الطبرى (٢١/٥٥٦-٥٥٧): يقول تعالى ذكره: لله سلطان السماوات السبع والأرضين،يفعل فى سلطانه ما يشاء، ويخلق ما يحب خلقه ،يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى (ويهب لمن يشاء الذكور) يقول: ويهب لمن يشاء منهلم الذكور بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكرا لا أنثى فيهم انتهى فهو جانب التخصيص رحمه الله.

ولابن كثير خطأ تفسيرى آخر يأتى فى "حقائق عن العقيدة" إن شاء الله.

8- حديث "إن الله لم يقبض النبى إلا فى أحب البقاع إليه"

قال فى أخطاء ابن تيمية (ص ٢٦٦ – ٢٦٧): علق ابن كثير فى الفصول فى اختيار سير الرسول ﷺ على كلام القاضى عياض (٢٦٠/١) قائلا: "و نقل الإتفاق على أن قبره الذى ضم جسده بعد موته أفضل بقاع الأرض وقد سبقه الى حكاية هذا الإجماع القاضى أبو الوليج الباجى وابن بطال وغيرهما. وأصل ذلك ما روى أنه لما مات ﷺ اختلفوا فى موضع دفنه فقيل بالبقيع وقيل بمكة وقيل ببيت المقدس فقال أبو بكر رضى الله عنه إن الله لم يقبضه إلا فى أحب البقاع إليه ذكره عبد الصمد بن عساكر فى كتاب تحفة الزائر ولم أره بإسناد "اهـ.

تنبيه: قول ابن كثير إنه لم يره بإسناد قول أبي بكر الصديق: إن الله لم يقبضه إلا فى أحب البقاع إليه" اهـ ، وعزو ذلك إلى عبد الصمد بن

عساكر فى كتاب تحفة الزائر أمر عجيب وقصور. مع أن ابن كثير معروف عنه سعة الحفظ.

1-أخرج البيهقى فى سننه الكبرى عن سالم بن عبيد الأشجعى قال:

"لما مات رسول الله ﷺ كان من أجزع الناس كلهم عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه – فذكر الحديث إلى أن قال فقالوا – يعنى لأبى بكر رضى الله عنه -: يا صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمات رسول الله ﷺ؟ قال نعم مات رسول الله ﷺ ،فقالوا يا صاحب رسول الله ﷺ من يغسله؟ قال رجال أهل بيته الأدنى فالأدنى. قالوا: يا صاحب رسول الله فأين تدفنه؟ قال: ادفنوه فى البقعة التى قبضه الله فيها، لم يقبضه إلى فى أحب البقاع إليه" اهـ.

هذا موقوف صحيح، (أخرجه البيهقى فى السنن الكبوى (٣٩٥/٣)، النسائى فى الكبرى (٢٦٣/٤-265)، الكبير (٥٧/٧)

و(160/6-162)بلفظ "فإن الله لم يقبضه إلا فى بقعة طيبة "قال فى المجمع (٣٣٠/٥) ،و(١٨٢/٥-١٨٣): رجاله ثقات.

2- وأخرج ابن أبي شيبة عن صدقة بن سعيد عن جميع بن عمير قال "دخلت على عائشة رضى الله عنها أنا وأمى وخالتى فسألناها كيف كان على فقالت تسألوتى عن رجل وضع يده من رسول الله ﷺ موضعا لم يضعها أحد وسالت نفسه فى يده ومسح بها وجهه ومات فقيل أ ين يدفنوه؟ فقال على ما فى الأرض بقعة أحب إلى الله من بقعة قبض فيها نبيه، فدفناه" اهـ.

رواه ابن أبي شيبة فى المصنف (٣٧٠/٦)و (٧١/١٢) وقال فى المجمع (١١٢/٩) فيه جماعة مختلف فيهم وأم جميع وخالته لم أعرفها... وصدقة فى الكاشف (٥٠١/١): صدوق وفى التقريب (٢٧٥/١): مقبول، وجميع جاء فى الثقات(115/4) وفى معرفة الثقات للعجلى(271/1)وفى الجرح والتعديل (٥٣٢/٢): من

عتق الشيعة ومحله الصدق صالح الحديث، وفى التقريب (١٤٢/١، ٩٦٨) صدوق يخطئ.

3- وأخرج أبو يعلى عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت: اختلفوا فى دفن النبي ﷺ حين قبض فقال أبوبكر سمعت النبي ﷺ يقول: لا يقبض النبى إلا فى أحب الأمكنة إليه "فقال ادفنوه حيث قبض" اهـ.

انظر مسند أبي يعلى (٤٦/١) و التمهيد (٣٩٨/٢٤-٣٩٩) وفيه ضعف يسير.فأبو موسى ثقة كما فى الجرح والتعديل (٢١٠/٢-٢١١)، وأ بومعاوية الضرير ثقة فى التقريب (٥٨٤١)، وعبد الرحمن بن أبي بكر ضعيف فى التقريب أيضا (٣٨١٣) وعبدالله بن عبيد ثقة كما فى (٣٤٥٤) من نفس المصدر. انتهى بتصرف فى حروف المصنف.

التصوف وبعض متعلقاته

التصوف فى كلمة

قال الحافظ الفقيه الصوفى جلال الدين السيوطى رحمه الله فى كتاب "تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية "(ص ٥٦-٥٧): إن التصوف فى نفسه علم شريف، وإن مداره على اتباع السنة وترك البدع، والتبرّى من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها، والتسليم لله، والرضى به وبقضائه،وطلب محبته، واحتقار ما سواه.وعلمت أيضا أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم، فأدخلوا فيه ما ليس منه، فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع، فوجه أهل العلم للتمييز بين الصنفين ليعلم أهل الحق من أهل الباطل،وقد تأملت الأمور التى أنكرها أئمة الشرع على الصوفية فلم أرصوفيا محقا يقول بشيء منها، وإنما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منهم".

الكشف الصوفى

تعريفه: قال العلامة الجرجانى فى التعريفات (٢٣٧/١): الكشف فى اللفظ رفع الحجاب وفى الإصطلاح هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا اهـ.

قلت: والكشف على هذا نظير الفراسة، وكأنها أصله فهى عند الجرجانى (٢١٢/ا) لغة: التثبت والنظر واصطلاحا عند أهل الحقيقة: مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب اهـ.

ويقول الغزالى فى الإحياء (٢٣/٣):

اعلم أن من انكشف له شئ ولو الشئ اليسير بطريق الإلهام والوقوع فى القلب من حيث لا يدرى فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغى أن يؤمن به فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدا فيشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة

تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام اهـ.

وقال المجتهد الشريف محمود صبيح فى مقالة له على الموقع: والكشف نور يحصل للسالكين فى سيرهم إلى الله تعالى؛ يكشف لهم حجاب الحس، ويزيل دونهم أسباب المادة لما يأخذون به أنفسهم من مجاهدة وخلوة وذكر.

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى [أى عند حكاية قوله تعالى: إن الله الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون](إن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وإنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفرز بلقاء الله تعالى) (راجع إحياء علوم الدين: ١٢/٣).

فتنعكس أبصارهم فى بصائرهم، فينظرون بنور الله وتنمحى أمامهم مقاييس الزمان والمكان، فيطلعون على عوالم من أمر الله اطلاعا لا يستطيعه من لا يزال فى قيد الشهوات والشكوك والبدع العقائدية والوساوس الشيطانية، ولا تتسع له إلا تلك القلوب النيرة السليمة التى زالت عنها ظلمات الدنيا وغواشيها، وانقشعت عنها غيوم الشكوك ووساوسها، وكثافة الماديات وأوضارها.

نعم إن من غض بصره عن المحارم، فكف نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بمراقبة الله تعالى وتعود أكل الحلال لم يخطئ كشفه وفراسته، ومن أطلق نظره إلى المحرمات تنفست نفسه الظلمانية فى مرآة قلبه فطمست نورها.

ويرجع هذا الكشف إلى أن العبد إذا انصرف عن الحس الباطن تقلبت روحه على نفسه الحيوانية الملتبسة ببدنه –والروح لطيفة كشافة-- فيحصل له حينئذ الكشف، ويتلقى واردات الإلهام.

يقول المؤرخ ابن خلدون: (ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحس، والإطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شئ منها؛ والروح من تلك العوالم. وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن، ضعفت أحوال الحس، وقويت أحوال الروح، وغلب سلطانه، وتجدد نشوؤه. وأعان مع ذلك الذكر؛ فإنه كالغذاء لتنمية الروح، ولا يزال فى نمو وتزايد إلى أن يصير شهودا، بعد أن كان علما، ويكشف حجاب النفس، ويتم صفاء النفس الذى لها من ذاتها، وهو عين الإدراك،فيتعرض حينئذ للمواهب الربانيه والعلوم اللدنية والفتح الإلهى"...

إلى قوله: وهذا الكشف كثير ما يعرض لأهل المجاهدة؛ فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم .. وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم على مثل هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ، لكنهم لم يقع لهم بها عناية.وفى فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم كثير منها، وتبعهم فى ذلك أهل

الطريقة ممن اشتملت الرسالة القشيرية على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم (مقدمة ابن خلدون ص ٣٢٩، ٤٦٩-٤٧٠).

أمثال الكشف فى القرآن الكريم

قال الله تعالى فى حق سيدنا إبراهيم (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين (الأنعام:٧٥) و كذلك ما أخبر الله عز وجل عن سيدنا الخضر عليه السلام، حين صحب موسى عليه السلام فى المسائل الثلاثة...

الكشف عند سيدنا محمد ﷺ

...على أن الكشف له عليه الصلاة والسلام معجزة، وللصحابة والأولياء من بعده كرامة، وكل كرامة لولي معجزة لنبيه ﷺ.عن أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه وقال "أقيموا صفوفكم وتراصوا، فإني أراكم من وراء ظهري (رواه البخارى فى صحيحه)... فكان يستوى عنده القرب والبعد انتهى بحروف الشريف محمود.

الكشف للصديق رضى الله عنه

روى ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١٩٥/٣ ؛برقم ٣٤٦٩) عن عائشة أن أبابكر لما حضرته الوفاة دعاها فقال: إنه ليس فى أهلى بعدك أحد أحب إلي غنى منك، ولا أعز على فقرا منك، وإنى كنت نحلتك من أرض بالعالية جدد يعنى صرام عشرين وسقا، فلو كنت جددته تمرا عاما واحدا انحاز لك، وإنما هو مال لوارث، وإنما هما أخواك وأختاك، فقلت: إنما هي أسماء، فقال: وذات بطن ابنة خارجة، قد ألقي فى روعي أنها جارية، فاستوصي بها خيار، فولدت أم كلثوم. اهـ.

الكشف للفاروق رضي الله عنه

روى البخارى (رقم ٢٤٨٦، وسلم، ٢٣٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال، قال رسول الله ﷺ (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر) انتهى لفظ البخارى.

الكشف طريق من طرق التلقي

بما أن الكشف الصوفى كرامة من الكرامات فهو أيضا أحد الطرق لتلقى المعارف والعلوم.ومع تنوعه – حتى سمى ابن القيم بعضه "كشفا شيطانيا " فمنه ما يسمي أهل الله "الكشف الأقدس" وهو لا يخطئ كما سبقت إليه الإشارة إلا أن للعمل به قواعد وضوابط نبّه العلماء عليها.

قال السيوطى فى" تأييد الحقيقة" (٨٣/١-٨٥): وقال القطب القسطلانى فى علوم هذه الطائفة مواجيد ترد عليهم من سوابق أعمال حصلت لديهم وأحوال ورثوها عن أعمال صححوها فلا يرث الأعمال إلا من صحح الأحوال وأول ذلك علوم الشريعة المتعين عليها من علم الفقه وأصول الدين على طريق الكتاب والسنة والسلف الصالح دون التعمق فى البحث عن دقيق الشبه وغوامضها فإذا حصل من ذلك ما فيه كفاية استعمل ما علم وجد فى الخدمة ما استطاع فأول ما يلزمه البحث عن آفات النفس وعللها ومعرفة دخلها وخللها وتهذيب أخلاقها

... فإذا تمرنت النفس على هذه الحالات والوظائف ولانت أخلاقها وطباعها عن القسوة الفظاظة وتطهر ظاهرها وصفا باطنها تمكن السالك حينئذ من مراقبة خواطره وتصفية أسراره وهو المعبرعنه بعلم المعرفة ولسان العبارة يفصح عنه ثم بعده علم الخواطر والمكاشفات والمشاهدات وهو الموصوف بعلم الإشارة وهذا العلم من خصائص الصوفية بعد مشاركتها في العلوم المشهورة المذكورة وإنما قيل له علم الإشارة لأنه يقصرعنه لسان العبارة لأنه علم ذوق ومنازلة ومواجيد متواصلة ولا يخصر ذلك في عبارة لقائل وإنما يجرى على اللسان ما هو نفع وتعليم لقائل" اهـ...

الكشف الموافق للشريعة هو المعمول به

قال السيوطى: "وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه إذا كنت في درجة الخواص من القاصدين وعرض لك في عزلتك الوسواس بما يشبه العلم من طريق الإلهام والكشف من حيث التوهم فلا تقبل وارجع إلى الحق المقطوع من كتاب وسنة. واعلم أن الذى عارضك لو كان

حقا في نفسه وأعرضت عنه إلى الحق بكتابه وسنة رسوله لما كان عليك عتب في ذلك لأنك تقول إن الله قد ضمن لي العصمة في جانب الكتاب والسنة ولم يضمها لي في جانب الكشف والإلهام والمشاهدة فكيف لو قبلت ذلك من طريق الإلهام لم تقبله إلا بالعرض على الكتاب والسنة اهـ. من تأييد الحقيقة (1/84-85).

وقال الشيخ عثمان بن فودى فى أواخر "إحياء السنة وإخماد البدعة (ص ٧٥): ومن ذلك -البدع في التصوف- العمل بالخواطر أو الإلهامات، وما يسمع من الهواتف والكشوفات من غير أن يعرضها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى قواعد السلف رضي الله عنهم، وهو بدعة محرمة إجماعا" اهـ.

كشف اللوح المحفوظ وأسرار أخر لابن تيمية

قدمنا فى الباب الذى تكلم عن العلم بالغيب والحضرة النبوية الشريفة أن شيخ الإسلام أحمد بن تيميه رحمه الله كان له حظ وافر من كرامة الفراسة والكشف كما أخبر بذلك هو وأثبته عنه تلاميذه وذلك قطعا من الغيوب الإلهية.

ومن جملة ما ذكرنا هناك أن الشيخ– كما قص لنا ابن القيم فى مدارج السالكين (٤٨٩/٢-٤٩٠)- أخبر بغلبة المسلمين على أعدائهم ولما تعجب الناس من قوله وألحوا عليه أقسم على قوله أكثر من سبعين مرة **وقال كتب الله فى اللوح المحفوظ** أن الكفار مهزومون وأن النصر لجيوش المسلمين.

وكذا قال ابن تيمية مرة: يدخل على أصحابي وغيرهم فأرى فى وجوههم وأعينهم أمورا لا أذكرها لهم فقلت له أو غيرى لو أخبرتهم فقال أتريدون أن أكون معرفا كمعرف الولاة، بل قال ابن القيم فى آخر

المطاف: وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه ولم ينطق به لساني وأخبرني ببعض حوادث كبار تجرى في المستقبل ولم يعين أوقاتها وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته والله أعلم اهـ بحروف ابن القيم مع تصرف يسير.

التفسير الإشارى الصوفى

تقديم

للسادة الصوفية – شكر الله سعيهم وأفاض علينا من بركاتهم – تفسير لطيف لكتاب الله تعالى لا ينكره إلا جاهل معذور أو صاحب هوى مغرور يقصد النيل من قوم اختارهم الله تعالى لخدمة دينه ويحكم على ما لا يعلمه، بعد قول الله سبحانه وتعالى (ولا تقف ما ليس لك به على إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا).

قال الحافظ المحقق السيد عبدالله بن الصديق الغمارى فى بدع التفاسير (ص ١٥٠-١٥٢): من أنواع التفسير التفسير الإشارى الذى يسلكه الصوفية فى تفاسيرهم وذلك أنهم حين يتكلمون على آية من القرآن، يقرؤن تفسيرها اللفظى كما ذكره المفسرون، ويأخذون منها بعد ذلك معنى إشاريا يتصل بما يفيضون فيه من مقامات وأحوال، ومعارف وأسرار وقد ذكرنا مثالا لذلك فى سورة الضحى (وهو فى قوله تعالى

(ألم يجدك يتيما فآوى) "يجوز أن يكون عديم النظير من باب الإشارة، والمعنى: أن النبى ﷺ كان عديم النظير فى قريس، يبغض الأصنام وهم يعبدونها،ويتجنب قبائح الجاهلية،وهم منغمسون فيها.ويشد معالى الأمور،وهو يحبون سفاسفها، فهو درة يتيمة،وسط معادن غير كريمة،وأشق شئ على الشخص وجوده بين أناس غيرموافقين. فآواه الله إليه، وآنسه بوحي".

وهو بالنسبة للتفسير اللفظى كنسبة المفهوم إلى المنطوق، فكما أن المنطوق هو ما دل عليه اللفظ فى محل النطق مثل وجوب الصلاة المدلول عليه بلفظ (أقيموا الصلاة) كذلك التفسير اللفظى للآية، هو ما أفاده نظمها واقتضاه سياقها،وكما أن المفهوم هو ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق، مثل تحريم الضرب للوالدين المدلول عليه بقوله (فلا تقل لهما أف) لكن لا فى محل النطق،لأنه غير منطوق به كذلك التفسير الإشارى هو ما استفيد من الآية لا بطريق لفظها وعبارتها.

ودلالة الإشارة معتبرة عند علماء الأصول، فإنهم لما تكلموا على ألفاظ الكتاب والسنة، وقسموا دلالتها إلى نوعين: منطوق، ومفهوم.قسموا دلالة المنطوق إلى دلالة اقتضاء،ودلالة الإشارة، ومثلوا للأخير بقوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) وقالوا: دلت الآية بطريق المنطوق على إحلال الجماع طول ليلة الصيام. ويؤخذ منها بطريق الإشارة صحة صوم من أصبح جنبا وأخذ العلماء من قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) بطريق الإشارة – أن الإنسان لو وجد ابنه رقيقا، فاشتراه عتق عليه بمجرد الشراء، لأن الولدية والعبوديه لا تجتمعان.

وكما استخرج علماء الأصول والفقه من ألفاظ القرآن والسنة بطريق الإشارة أحكاما تشريعيه، كذلك استخرج الصوفية بطريقهما علوما ربانية.

وممن استعمل التفسير الإشارى من العلماء غيرالصوفية:النيسابورى فى تفسيره المطبوع بهامش تفسير الطبرى وإسماعيل حقى فى تفسيره

"روح البيان". والآلوسى فى تفسيره **"روح المعانى"**. وهذان التفسيران مطبوعان أيضا. لكن الصوفية فى هذا الباب أمكن، وعلى الإشارات الدقيقة أغوص ولهم تفاسير تختلف باختلاف عباراتهم بين عويصة مستغلقة، مثل **"عرائس البيان"**للورتجى، و **"إعجاز البيان فى تفسير فاتحة القرآن"** للقونوى، ربيب ابن العربى الحاتمى وتلميذه.وبين واضحة محكمة،كتفسير النخجوانى، ولم أرفيها أوضح عبارة، وأقرب فهما، وأحسن سياقا، وأسلس عذوبة من كتاب **"البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد"** لجدنا من قبل الأم، والإمام العلامة الولي الكبير أبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى رضى الله عنه، فإنه يعتبر – بحق – لسان الصوفية والمعبر عنهم فى هذا الفن يذكر الآية، ويذكر ما فيها من وجوه الإعراب، ويتبع ذلك بذكر المعنى – ومصدره تفسير البيضاوى، وتفسير ابن جزى وحاشية العارف أبي زيد عبد الرحمن الفاسى على تفسير الجلالين وما يفتح الله به عليه – ثم

يذكر المعنى الإشارى، بعبارة سلسة، وبيان عذب، حتى يشعر القارئ، أن الآية لم تنزل إلا فى هذا المعنى، ولم يقصد منها سواه...

والمقصود أن الصوفية، لهم فهم القرآن والسنة تلميحات وإشارات، تدل على إلهامات إلهية، وتنزلات قدسية اهـ.

التفسير الإشارى مقبول عند ابن تيمية

ردا على هجوم أحد المتمسلفة على التفسير الإشارى أقول: قال شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى (٢٨/٢) عنه بعد كلام:

وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دل اللفظ عليه ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوما من جهة القياس والإعتبار فحالهم كحال الفقهاء العالمين(العاملين) بالقياس،والاعتبار وهذا حق إذا كان قياسا صحيحا لا فاسداً واعتبارا مستقيما لا منحرفا اهـ.

قلت:وسيأتى قول ابن القيم فى الفصل القادم .

الفرق بين التفسير الإشارى وتفسير الباطنية

قال الدكتور صبيح معلقا على الموضوع: "تفاسير الصوفية بدعا من المحاسبى والتسترى والقشيرى وابن العربي والنووى والسيوطى والآلوسى وغيرهم على نهج أهل السنة والجماعة من محدثين وفقهاء، قد تختلف بعض الشئ فيما يسمى بالتفسير الإشارى، وهو يختلف تماما عن التفسير الباطنى الذى يقول به الشيعة، فهم يظنون أن معظم القرآن نزل فى الأئمة الإثنا عشرية.

قال العلامة الزرقانى: "قال التفتازانى فى شرحه:" سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية. قال وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان".

ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى تفسير الإشارى وبين تفسير الباطنيه الملاحدة، فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولا، إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب، وأما الباطنية فإنهم يقولون إن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن وقصدهم نفى الشريعة.[راجع 79/2 من مناهل العرفان]

ونقل السيوطى فى الإتقان عن ابن عطاء الله فى لطائف المنن ما نصه: اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعانى الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له ودلت عليه فى عرف اللسان ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء فى الحديث: "لكل آية ظهر وبطن " فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله ورسوله ﷺ فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم لا يقولون ذلك بل يقررون

الظواهر على ظاهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما ألهمهم اهـ.[انظر 2/ 488 من الإتقان]

فإن قلت أن العلامة الزرقانى صوفى، نقول للك: قال ابن القيم فى كتابه "التبيان فى أقسام القرآن" (٥٠/١) "وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ وهو الذى ينحو اليه المتأخرون، وتفسير على المعنى وهو الذى يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس وهو لا بأس به بأربعة شرائط أن لايناقض معنى الآية وأن يكون معنى صحيحا فى نفسه، وأن يكون فى اللفظ إشعار به، وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا.

وقد وضح ودافع العلامة الزركشى فى "البرهان فى علوم القرآن" (١٦١/٢-١٦٥، 170/2-171) عن التفسير الإشارى وقال: تنبيه فى كلام الصوفيه فى تفسير القرآن:فأما كلام الصوفية فى تفسير القرآن

فقيل ليس تفسيرا وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم فى (يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) (التوبة: ١٢٣) أن المراد النفس فأمر بقتال من يلينا لأنها أقرب شئ إلينا وأقرب شئ إلى الإنسان نفسه، قال ابن الصلاح فى فتاويه: وقد وجدت عن الإمام أبى الحسن الواحدى أنه صنف أبو عبدالرحمن السلمى حقائق التفسير فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر، قال أنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئا من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكمة المذكورة فى القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وإنما ذلك منهم ذكر لنظير ماورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير، فمن ذلك مثال النفس فى الآية المذكورة فكأنه قال أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار، ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا فى مثل ذلك لما فيه من الإبهام والإلتباس. انتهى...

وقد ذكر العلامة الرزقاني شروط التفسير الإشارى فقال: شروط قبول التفسير الإشارى: مما تقدم يعلم أن التفسير الإشاري لا يكون مقبولا إلا بشروط خمسة وهى:

(١) ألا ينافى وما يظهر من معنى النظم الكريم

(٢) ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

(٣) ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا كتفسير بعضهم قوله تعالى (وإن الله لمع المحسنين) (العنكبوت: ٦٩)، بجعل كلمة لمع ماضيا وكلمة المحسنين مفعوله.

(٤) ألا يكون له معارض شرعى أو عقلى

(٥) أن يكون له شاهد شرعى يؤيده.بيد أن هذه الشروط متداخلة فيمكن الإستغناء بالأول عن الثالث وبالخامس عن الرابع، ويحسن ملاحظة شرطين بدلهما (الخامس والرابع) أحدهما بيان المعنى الموضوع له اللفظ الكريم أولا، ثانيهما ألا يكون من وراء هذا التفسير الإشارى تشويش على المفسر له... ثم إن هذه

شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب وليست شروطا لوجوب اتباعه والأخذ به، ذلك لأنه لا يتنافى وظاهر القرآن، ثم إن له شاهدا يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض وإنما لم يجب الأخذ به لأن النظم الكريم لم يوطضع للدلالة عليه بل هو من قبيل الإلهامات التى تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة ولا مقيدة بقوانين اهـ بحروف الدكتور محمود كما فى كتاب "حتى لا تضيع الهوية الصوفية" ص ١٦٩-١٧٢.

لطيفة:

وعليه فقد يفعل الصوفية أشياء استنبطوها من القرآن الكريم أو السنة النبوية عن هذا الطريق-طريق الإشارة –وينكر عليهم من لا حظ له فى ذلك من علماء الظاهر وربما بدّعهم أو كفّرهم بسببه-عياذا بالله تعالى– وهم على بينة من ربهم(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون، إنما يتذكر أولوا الألباب).

خلاف فى التسمية والتعليق عليه

جاء فى السيوف "الحداد فى أعناق أهل الزندقة والإلحاد" ص 290- 292 ما نصه:

قال شيخنا الشيخ عبد الغنى فى أول رسالته " بسط الذراعين بالوصيد فى بيان الحقيقة والمجاز من التوحيد" : " اعلم أن كلامنا كله على آيات القرآن العظيم وكلام غيرنا من أهل طريقنا أيضا ليس على وجه التفسير،فإن تفسير اتلقرآن لا يجوز إلا بالمعانى الواردة بالقرآن فإنه يفسر بعضه بعضا،أو فى السنة عن السلف المتقدمين، وقد انتهى ذلك ودونه علماء التفسير فى تفاسيرهم المشهورة.

وأما كلامنا وكلام أهل طريقتنا عليه على وجه التأويل، قد ذكر العلماء رضى الله عنهم الفرق بين التفسير والتأويل بما لو ذكرناه لأدّى إلى التطويل. وخاصله أن التأويل هو فهم معنى الآية بما يؤول إليه اللفظ من لغة العرب على حسب ما يرد على قلوب العارفين من معانى المعرفة الإلهية، وشرطه عدم الخطأ فيه **والخطأ فيه أن يقول الوارد عليه فى نفسه إن هذا هو معنى الآية، وينفى المعنى المذكور لها عند المفسرين، فيكون حينئذ المعنى الوارد وساوس**

الشيطان يوصله إلى إنكار التفسير الحق. قال تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) {الأنعام :121}

وأما إذا ورد المعنى فى قلب العارف بالله تعالى، وكان مطابقا للشرع المحمدي، ووردت عليه الآية بذلك المعنى الوارد على قلبه، ولم ينف ما ذكره المفسرون فى معنى تلك كان هذا من قبيل قوله تعالى:{ ويتلوه شاهد منه} {هود:17}

والشاهد تلك الآية التى وردت عليه، فهذا هو المقبول عندنا، ويؤيده مافى صحيح البخارى فى كتاب الجهاد عن أبى جحيفة قال: "قلت لعلي هل عندكم شئ من الوحي إلاما فى كتاب الله؟

قال: لا، والدى فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهم يعطيه الله رجلا فى القرآن".

والسر فى ذلك أن الله تعالى يقول: (ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) لقمان: 27).

وقال تعالى: (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) {الكهف: 109}

فمعانى القرآن العظيم كالبحار الزواخر ليس لها أول من أخر، وسر ذلك أن كلام الله تعالى كاشف عن علمه سبحانه وعلمه متعلق بما لانهاية له من المعانى" اهـ.

قلت:

فالخلاف هنا فى التسمية ولايضر أحدا.من شاء سماه تفسيرا ومن شاء سماه تأويلا، فقد أتى التأويل بمعنى التفسير عند السلف الصالح كما أوضحناه فى "الفوائد" ونقلناه من أقوالهم ومن "التفسير والمفسرون".وباصطلاح المتأخرين وهو صرف اللفظ عن ظاهره أو عن المعنى الراجح إلى المرجوح لدليل يقترن به.

قول الدكتور صبيح فى "لطائف الإشارات"

ذكر العلامة السيد من أشياء تميز هذا الكتاب عن غيره بما ملخصه إنه:

1. ليس مطعونا فيه كـ" حقائق التفسير"لأبى عبد الرحمن للسلمى (312هـ)
2. ليس مقتضبا كـ "تفسير القرآن العظيم" لسهل بن عبد الله التسترى (283هـ) وزاد فيه أنه:

3. يكشف عن مشارب القوم ونهج الصوفية فى استمداد هم من الحق فى كل ما يأتون به.
4. تطبيق لمذهب أهل الإشارات فى أنهم أمناء الله على نص كلام الله ،وكل كلمة فى موقع لها مدلول يختلف عن مدلولها فى مو قف آخر، فهم لا يعترفون بالتكرار دون حكمة جلية.
5. الإشارات فى كتاب القشيرى ليست وليدة دراسة العقول، وإنما هى وليدة الإلهامات بعد فتح عيون القلوب. وهذا لا ينفى ما اتصف به الإمام فيما سبق من شهرة علمية ودينية وأدبية وعقدية فذلك سمة من السمات الداله على أن رجال الله يعدهم قبل أن يختارهم لحضرته، ليعز هم بعزته، ويكونوا خلفاءه فى أرضه ويخاطبون كلا حسب استعداه اهـ.

نماذج للتفسير الإشارى الصوفى

1. قوله تعالى { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم، آل عمران : 31 }

قال القشيرى قدس الله سره عنها{1/142-144} : (تحبون الله) فرق، ويحببكم الله) جمع.

(تحبون الله مشوب بالعلة، و(يحببكم الله بلا علة، بل هو حقيقة الوصلة,ومحبة العبد لله حالة لطيفة يجدها من نفسه،وتحمله تلك الحالة على

موافقة أمره على الرضا دون الكراهية، وتقتضى منه تلك الحالة إيثاره – سبحانه – على كل شى وعلى كل أحد.

وشرط المحبة ألا يكون فيها حظ بحال، فمن لم يفن عن حظوظه بالكلية فليس له من المحبة شظيّة.

ومحبّة الحق للعبد إرادة إحسانه إليه ولطفه به،وهى إرادة فضل مخصوص، وتكون بمعنى ثنائه سبحانه عليه ومدحه له، وتكون بمعنى فضله المخصوص معه،فعلى هذا تكون من صفات فعله ويقال شرط المحبه امتحاء كليتك عنك لاستهلاكك فى محبوبك،قال قائلهم:

وما الحب حتى تنزف العين بالبكا وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وهذا فرق بين الحبيب والخليل،قال الخليل: {فمن تبعنى فإنه منى} وقال الحبيب :(فاتبعونى يحببكم الله).

فإن كان متبع الخليل "منه" إفضالا فإن متابع الحبيب محبوب الحق سبحانه،وكفى بذلك قربة وحالا.

ويقال قطع أطماع الكافة أن يسلم لأحد نفس إلا ومقتداهم وإمامهم سيد الأولين والآخرين مُحَمَّد ﷺ.وفى هذه الآية إشارة إلى أن المحبة غير معلولة وليست باجتلاب طاعة، أو التجرد عن آفة لأنه قال: (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) بين أنه يجوز أن يكون عبدا له فنون كثيرة ثم يحب الله ويحبه الله.

ويقال قال أولا: (يحببكم الله) ثم قال: (ويغفر لكم ذنوبكم) والواو تقتضى الترتيب ليعلم أن المحبة سابقة على الغفران لأن العفو يوجب المحبة.
والمحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حبب الأسنان وهو صفاؤها. والمحبة توجب الإعتكاف بحضرة المحبوب فى السر. ويقال أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب والحب حرفان حاء وباء، والإشارة من الحاء إلى الروح ومن الباء إلى البدن، فالمحب لايدخر عن محبوبه لا قلبه ولا بدنه.اهـ.

قلت:قال البغوى (27/2): قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه. وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما؛ وقف النبى ﷺ على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها (الشنوف) وهم يسجدون لها، فقال: يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل فقالت له قريش إنما نعبدها حبًّا لله ليقربونا إلى الله زلفى، فقال الله تعالى: قل يامُحَمَّد إن كنتم تحبون الله وتعبدون الأصنام، ليقربوكم إليه فاتبعوني يحببكم الله، فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم، وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى (ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم).

وقيل لما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبي لأصحابه إن مُحَمَّدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى ابن مريم فنزل قوله تعالى: (قل أطيعوا الله والرسول)الخ.

و قال أبو عبد الله القرطبى (4/59-61): الحب: المحبة، وكذلك الحب بالكسر والحب أيضا الحبيب ،مثل الخدن والخدين، يقال أحبه فهو محب، وحبه يحبه (بالكسر) فهو محبوب. قال الجوهرى: وهذا شاد(ذ) لأنه لايأتى فى المضاعف يفعل بالكسر...

والآية نزلت فى وفد نجران إذ زعموا أن ما ادعوه فى عيسى حب الله عز وجل، قاله مُحَمَّد بن جعفر بن الزبير. وقال الحسن وابن جريج: نزلت فى قوم من أهل الكتاب قالوا: نحن الذين نحن ربنا. وروي أن المسلمين قالوا: يارسول الله، والله إنا لنحب ربنا فأنزل الله عز وجل: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى. قال ابن عرفة: المحبة عند العرب إرادة الشئ على قصد له. وقال الأزهري:محبة العبد لله ورسوله (له) طاعته لهما واتباعه أمرها، قال الله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى". ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران. قال الله تعالى: "فإن الله لا يحب الكافرين" (آل عمران:32) أي: لا يغفر لهم، وقال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبى ﷺ،وعلامة حب النبى ﷺ حب السنة،وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبى وحب

السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه أن يحب نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلا الزاد والبلغة.

وروى أبوالدرداء عن رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) قال:(على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس" خرجه أبو عبد الله الترمذى وروي عن النبى ﷺ أنه قال: (من أراد أن يحبه الله فعليه بصدق الحديث وأداء الأمانة وألا يؤذى جاره) وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إنى أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول إن الله ليحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء –قال– ثم يوضع له القبول فى الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إنى أبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء أن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال – فيبغضونه ثم توضع له البغضاء فى الأرض اهـ.

وانظر فتح القدير(1 /455) وزاد المسير (1 / 323-324).

ومن جملة ما نقله نقله الدكتور صبيح على موقعه من تفسير ابن عربى ما نصه: لما كان عليه الصلاة والسلام حبيبه فكل من يدعى المحبة لزمه اتباعه لأن محبوب المحبوب محبوب، فتجب محبة النبى ﷺ، ومحبته إنما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولاً وعملاً وخلقًا وحالاً وسيرة وعقيدة، ولا تمشى دعوى المحبة إلا بهذا فإنه قطب المحبة ومظهره وطريقته طلسم المحبة، فمن لم يكن له من طريقته

نصب لميكن له من المحبة نصيب، وإذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبى ﷺ وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة.

فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا المتابع قسط من محبة الله تعالى بقدر نصيبه من المتابعة، فيلقى الله تعالى محبته عليه ويسرى من باطن روح النبى ﷺ نور تلك المحبة إليه، فيكون محبوبا لله، محبا له، ولول لم يتابعه لخالف باطن النبى ﷺ الخ.

ومثله عن الحقي فى "روح البيان"، وعن "الرازى": اعلم أنه تعالى لما دعا القوم إلى الإيمان به، والإيمان يرسله على سبيل التهديد والوعيد، دعاهم إلى ذلك من طريق آخر وهو أن اليهود كانوا يقولون (نحن أنباء الله وأحباؤه) (المائدة :18) فنزلت هذه الآية..... فكأن قائلا يقول: بأى شئ تنال كمال المحبة وموالاة الرب؟ فقيل: بعد قطع موالاة أعدائنا تنال تلك الدرجة بالتوجه إلى متابعة حبيبنا إذ كل طريق سوى طريقه مسدودة وكل عمل سوى ما أذن به مردود اهـ.

وعن ابن عجيبه فى "البحر المديد": الإشارة: اتباع الرسول ﷺ ركن من أركان الطريق، وشرط فى إشراق أنوار الحقيقة،فمن لا اتباع له، لا طريق له لا وصول له، قال الشيخ زروق رضى الله عنه (أصول الطريقة خمسة أشياء تقوى الله فى السر والعلانيه،واتباع النبى ﷺ فى الأقوال والأفعال والإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار، والرجوع إلى الله فى السراء والضراء، والرضا عن الله فى القليل والكثير اهـ باختصار.

2- قوله تعالى { قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين} [المائدة:15]

قال القشيرى عنه (1/ 257): أنوار التوحيد ظاهرة لكنها لا تغنى عند فقد البصيرة، فمن استخلصه بقديم العناية أخرجه من ظلمات الفرقة إلى ساحات الجمع فامتحى عن سره شواهد الأغيار، وذلك نعت كل من وقف على الحجة المثلى ا هـ.

قلت: تقدم قول القرطبى فى فصل "النور المحمدى" (118/6): "قد جاءكم من الله نور" :أي ضياء، قيل: الإ سلام. وقيل: مُحَمَّد عليه السلام ،عن الزجاج.(وكتاب مبين) أي القرآن،فإنه يبين الأحكام ا هـ، وبنحوه قال البغوى (33/3) والشوكانى (285/2-286) وأبو حيان فى البحر المحيط (208/4) بزيادة يسيرة.

3- قوله تعالى { لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون }. الحشر: 21)

قال القشيرى (308/3): أي لو كان للجبل عقل وصلاح وفكر وسرّ، وأنزلنا عليه هذا القرآن لخضع وخشع. ويجوز أن يكون على جهة ضرب المثل كما قال : [تكاد السموات يتفطرن منه] {مريم:90} ويدل عليه أيضا قوله. {وتلك الأمثال نضربها للناس]ليعقلوا ويهتدوا،أي بذلك أمرناهم،والمقصود بيان قسوة قلوبهم عند سماع القرآن. ويقال: ليس هذا الخطاب على وجه العتاب معهم، بل هو على سبيل المدح وبيان تخصيصه إياهم بالقوة؛فقال: { لو أنزلنا

هذا القرآن على جبل} لم يطق ولخشع – وهؤلا خصصتهم بهذه القوة حتى أطاقوا سماع خطابي.انتهى كلام القشيرى.

قلت: وقال القرطبى (18/44-45) قوله تعلى: (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا) حث على تأمل مواعظ القرآن وبين أنه لا عذر فى ترك التدبر؛ فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها

على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشققه من خشية الله. والخاشع الذليل. والمتصدع:المتقشف. وقيل: خاشعا لله بما كلفه من طاعته.

متصدعا من خشية الله أن يعصيه فيعاقبه، وقيل: هو على وجه المثل للكفار. قوله تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس) أي إنه لو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون فى وعده، ولاترهبون من وعيده وقيل: الخطاب للنبى ﷺ، أي لو أنزلنا هذا القرآن يا مُحَمَّد على جبل لما ثبت، وتصدع من نزوله عليه، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له، فيكون ذلك امتنانا عليه أن نثبته لما لا نثبت له الجبال. وقيل: إنه خطاب للأمة، وأن الله تعالى لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله، والإنسان أقل قوه واكثر ثباتا، فهو يقوم بحقه إن أطاع، ويقدر على رده إن عصى، لأنه موعود بالثواب، ومزجور بالعقاب.

ونحوه عند البغوى (87/8)، وابن عاشور فى التحرير والتنوير (103/28-104) والماوردى فى النكت والعيون (512/5)

4- قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها، مُحَمَّد: 24)

قال القشيرى كما فى (204/3-205) من لطائف الإشارات: أي إن تدبروا القرآن أفضى بهم إلى العرفان وأزاحهم من ظلمة التحيّر (أم على قلوب أقفالها: أقفل الحق على قلوب الكفار فلا يداخلها زاجر التنبيه، ولا ينبسط عليها شعاع العلم ،فلا يحصل لهم فهم الخطاب، والباب إذ كان مقفلا فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج منه شيء، كذلك قلوب الكفار مقفلة، فلا الكفر الذى فيها يخرج، ولا الإيمان الذى هم يدعون إليه يدخل فى قلوبهم .

وأهل الشرك والكفر قد سدت بصائرهم وغطيت أسرارهم، ولبّس عليهم وجه التحقيق اهـ.

قلت: وقال أبوعبد الله القرطبى (246/16-247) قوله تعالى "أفلا يتدبرون القرآن" أي يتفهمونه فيعلمون ما أعد الله للذين لم يتولوا عن إلاسلام. "أم على قلوب أقفالها" أي بل على قلوب أقفال أقفلها الله عز وجل عليهم فهم لا يعقلون: وهذا يرد على القدريه والإمامية مذهبهم... فإلاقفال ها هنا إشارة إلى ارتتاج القلب وخلوه عن الإيمان. أي لا يدخل قلوبهم الإيمان ولا يخرج منها الكفر، لأن الله طبع على قلوهم وقال: على قلوب "لأنه لو قال على قلوبهم لم يدخل قلب غيرهم فى هذه الجملة.

والمراد أم على قلوب هؤلاء وقلوب من كانوا بهده الصفة اهـ.

وقال نحوه الشوكانى فى الفتح القدير (482/6)وقبل الجميع الطبرى فى تفسيره (178/22-179)وانظر قول البغوى فى معام التنزيل (287/7).

5- قوله تعالى (اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلوة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم تصنعون) (العنكبوت: 45].

قال القشيرى (458/2-459) تعليقا عليه: أي من شأن المؤمن وسبيله أن ينتهى عن الفحشاء والمنكر، كقوله (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (المائدة: 23) أي ينبغى للمؤمن أن يتوكل على الله، فإن قدر أن واحدا منهم لا يتوكل فلا يخرجه ذلك عن الإيمان. كذلك من لم ينته عن الفحشاء والمنكر فليست تخرج صلاته عن كونها صلاة. ويقال بل الصلاة الحقيقية ما تكون ناهية لصاحبها عن الفحشاء والمنكر، فإن لم يكن من العبد انتهاء فالصلاة ناهية على معنى ورود الزواجر على قلبه بألا يفعل، ولكنه يصرّ ولا يطيع ذلك الخواطر.

ويقال بل الصلاة الحقيقية ما تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر.فإن كان وإلا فصورة الصلاة لا حقيقتها.

ويقال الفحشاء هى الدنيا، والمنكر هى النفس.

ويقال الفحشاء هى المعاصى، والمنكر هو الحظوظ.

ويقال الفحشاء الأعمال، والمنكر حسبان النجاة بها، وقيل ملاحظته الأعواض عليها، والسرور والفلرح بمدح الناس لها.

ويقال الفحشاء رؤيتها، والمنكر طلب العوض عنها.

(ولذكر الله أكبر): ذكر الله أكبر من ذكر المخلوقين) لأن ذكره قديم وذكر الخلق محدث.

ويقال ولذكر الله لك أكبر من ذكرك له بالعبادة.

ويقال ذكر الله أكبر من أن تبقى معه وحشة

ويقال ذكر الله أكبر من أن يبقى للذاكر معه ذكر مخلوق.

ويقال ذكر الله ك من أن يبقى للزّلة معلومًا أو مرسوما.

ويقال ذكر الله أكبر من أن يعيش أحد من المخلوقين بغيره.

ويقال ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه للفحشاء والمنكر سلطانا؛ فلحرمة ذكره زلات الذاكر مغفورة، وعيوبه مستورة.

قلت: وقد اعتبر القرطبى تفسير الصوفية لهذه الآية فقال (فى 347/13-348 من تفسيره الجامع) بعد قوله: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) يريد إن الصلاة الخمس هي التى تكفر ما بينها من الذنوب كما قال عليه السلام "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا: لا يبقى من درنه شيء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا" خرجه الترمذى من حديثأبي هريرة وقال فيه حديث حسن صحيح. وقال ابن عمر: الصلاة هنا القرآن. والمعنى: الذى يتلى فى الصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر، وعن الزنى والمعاصى قلت: ومنه الحديث الصحيح: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين يريد قراءة الفاتحة،

وقال حماد بن أبي سليمان وابن جريج والكلبي: العبد ما دام فى صلاته لا يأتى فحشاء ولا منكرا، أي إن الصلاة تنهى مادمت فيها... وفى الآية تأويل ثالث، وهو الذي ارتضاه المحققون وقال به المشيخة الصوفية وذكره المفسرون، فقيل المراد بـ "أقم الصلاة" إدامتها والقيام بحدودها، ثم أخبر حكما منه بأن الصلاة تنهى صاحبها ومتمثلها عن الفحشاء والمنكر, وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة. والصلاة تشغل كل بدن المصلى، فإذا دخل المصلى فى محرابه وخشع وأخبت لربه وادكر أنه واقف بين يديه، وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذللت، وخامرها ارتقاب الله تعالى، وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة فهذا معنى الإخبار، لأن صلاة المؤمن هكذا ينبعى أن تكون قلت: لا سيما وإن أشعر نفسه أن هذا ربما يكون آخر عمله، وهذا أبلغ فى المقصود وأتم فى المراد، فإن الموت ليس له سن محدود، ولا زمن مخصوص, ولا مرض معلوم، وهذا مما لا خلاف فيه انتهى.

وراجع تفاسير البغوى (7/244-246)والنسفى (3/75) والبحر المحيط (8/359-360).

6- قوله جل ذكره (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين، الزمر: 32).

قال فى اللطائف (3/120): الذى جاء بالصدق فى أفعاله من حيث الإخلاص، وفى أحواله من حيث الصدق، وفى أسراره من حيث الحقيقة!

(ذلك جزاء المحسنين): الإحسان كما جاء فى الخبر أن تعبد الله كأنك تراه فمن كانت-اليوم-مشاهدته على الدوام كانت رؤيته غدا على الدوام، ومن لا فلا ا هـ.

قلت: وقال القرطبى (15/256-257): واختلف فى الذى جاء بالصدق وصدق به، فقال على رضى الله عنه، الذى جاء بالصدق النبى صلى الله عليه وسلم "وصدق به أبوبكر رضى الله عنه. وقال مجاهد: النبى ﷺ وعلى رضى الله عنه.

(وعن) السدى: الذى جاء بالصدق جبريل والذى صدق به مُحَمَّد ﷺ: وقال ابن زيد ومقاتل وقتادة: "الذى جاء بالصدق" النبى ﷺ "وصدق له" المؤمنون واستدلوا على ذلك بقوله "أولئك هم المتقون" "كما قال: هدى للمتقين" (فى البقرة:2).

وقال النخعى ومجاهد: "الذى جاء بالصدق وصدق به" المؤمنون الذى يجيئون بالقرآن يوم القيامة فيقولون: هذا الذى أعطيتمونا قد اتبعنا ما فيه، فيكون "الذى" على هذا بمعنى جمع كما تكون من بمعنى جمع... وقيل إن ذلك عام فى كل من دعا إلى توحيد الله عز وجل ، قاله ابن عباس وغيره، واختاره الطبرى اهـ كلام القرطبى. وانظر ما قاله البغوى (7/120) وابن كثير (7/99) والشوكانى (6/286)رحم الله الجميع.

7- قوله تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم (مُحَمَّد: 17) قال القشيرى (202/3) معلقا عليه: (اهتدوا): بأنواع المجاهدات، (فزادهم هدى): بأنوار المشاهدات.

(اهتدوا): بتأمل البرهان، ((فزادهم هدى)) بروح البيان. (اهتدوا): بعلم اليقين ((فزادهم هدى)) بحق اليقين .

(اهتدوا) بآداب المناجاة، ((فزادهم هدى)) بالنجاة ورفع الدرجات.

{اهتدو إلى ما فيه من الحق ولم يختلفوا فى أنه الحق، ((فزادهم هدى)) بالاستقامة على طرق الحق. انتهى كلام القشيرى.

قلت: وفى قول القرطبى (239/16-240): :"والذين اهتدوا" أي الإيمان زادهم الله هدى. وقيل: زادهم النبي ﷺ هدى. وقيل ما يستمعونه من القرآن هدى. أى يتضاعف يقينهم. وقال الفراء: زادهم إعراض المنافقين واستهزائهم هدى. وقيل: زادهم نزول الناسخ هدى. وفى الهدى الذى زادهم أربعة أقاويل:أحدها-زادهم علما،قاله الربيع بن أنس الثانى- أنهم علموا ماسمعوا وعملوا بما عملوا، قاله الضحاك. الثالث-زادهم بصيرة فى دينهم وتصديقا لنبيهم، قاله الكلبى. الرابع-شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان.

"وآتاهم تقواهم" أى ألهمهم إياها . وقيل: فيه خمسة أوجه: أحدها-أتاهم الخشية، قاله الربيع. الثانى-ثواب تقواهم فى الآخرة، قاله السدى. الثالث-وفقهم للعمل الذى فرض عليهم، قاله مقاتل، الرابع بين لهم ما يتقون، قاله ابن

زياد والسدى أيضا. الخامس-أنه ترك المنسوخ والعمل بالناسخ، قاله عطية. الماوردي: ويحتمل سادسا-أنه ترك الرخص والأخذ بالعزائم. وقرئ "وأعطاهم" بدل "وآتاهم" وقال عكرمة: هذه نزلت فيمن آمن من أهل الكتاب اهـ.

قلت:هذا يشبه قول الطبرى (22/170-171): وأما الذين وفقهم الله لاتباع الحق، وشرح صدورهم للإيمان به وبرسوله من الذين استمعوا إليك يامُحَمَّد، فإن ما تلوته عليهم، وسمعوه منك (زادهم هدى) يقول: زادهم الله بذلك إيمانا إلى إيمايهم، وبيانا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذى كان عندهم... وبما روى عن ابن عباس وهو قوله: لما أنزل الله القرآن آمنوا به، فكان هدى، فلما تبين الناسخ والمنسوخ زادهم هدى.

قال: وقوله (وآتاهم تقواهم) يقول تعالى ذكره: وأعطى الله هؤلاء المهتدين تقواهم، وذلك استعماله إياهم تقواهم إياه اهـ.

وقال البغوى تحتها (7/283): (والذين اهتدوا) يعنى المؤمنين، (زادهم) ما قال الرسول ﷺ، (هدى وآتاهم تقواهم) وفقهم للعمل بما أمرهم به، وهو التقوى، قال سعيدبن جبير وآتاهم ثواب تقواهم اهـ.

8- قوله تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشواة) (الجاثية: 23) قال صاحب اللطائف (3/192): من لم يسلك سبيل الإتباع، ولم يستوف أحكام الرياضة، ولم ينسلخ عن هواه بالكلية، ولم يؤدّبه إمام مقتدى فهو ينحرف فى كل وهدة، ويهيم فى كل ضلالة، ويضل فى كل فج، خسرانه أكثر من

ربحه!! أولئك فى ضلال بعيد؛ يعملون القرب على ما يقع لهم من نشاط نفوسهم، زمامهم بيد هواهم، أولئك أهل المكر، استدرجوا وما يشعرون اهـ.

قلت: وهو متفق جملة مع قول البغوى (245/7): (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال ابن عباس والحسن وقتادة: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهوا5 ،فلا يهوى شيئا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله، وقال آخرون: معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه... قال الشعبى: إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه فى النار.

(وأضله الله على علم) منه بعاقبة أمره، وقيل على ما سبق فى علمه أنه ضال قبل أن يخلقه (وختم) طبع (على سمعه) فلم يسمع الهدى، (وقلبه) فلم يعقل الهدى، وجعل على بصره غشلوة] قرأ حمزة والكسائ "غشوة" بفتح الغين وسكون الشين، والباقون "غشاوة" ظلمة فهو لا يبصر الهدى، (فمن يهديه من بعد الله) (أي فمن يهديه) بعد أن أضله الله اهـ. وراجع الجامع لأحكام القرآن (170-166/16)

9- قوله جل ذكره: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين، العنكبوت: 69)

10- قال القشيرى (473/2): الذين زينوا ظواهرهم بالمجاهدات حسنت سرائرهم بالمشاهدات.الذين شغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا إلى

سرائرهم اللطائف.الذين قاسوا فينا التعب من حيث الصلوات جازينا هم بالطرب من حيث المواصلات.

ويقال الجهاد فيه: أولا بترك المحرمات، ثم بترك الشبهات، ثم بترك الفضلات، ثم بقطع العلاقات، والتنقّى من الشوائل فى جميع الأوقات.ويقال بحفظ الحواس لله وبعدّ الأنفاس مع الله اهـ.

قلت: وفى نظر القرطبى (13/364-365): قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا) أي جاهدوا الكفار فينا. أي فى طلب مرضاتنا.وقال السدي وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال.قال ابن عطية:فهى قبل الجهاد العرفي، وإنما هو جهاد عام فى دين الله وطلب مرضاته.قال الحسن بن أبي الحسن، الآية فى العباد، وقال ابن عباس وإبراهيم بن أدهم: هى فى الذين يعملون بما يعلمون وقد قال ﷺ، "من عمل بما علم علمه الله مالم يعلم"ونزع بعض العلماء إلى قوله" واتقوا الله ويعلمكم الله".

وقال عمر بن عبد العزيز: إنما قصرنا بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا فى العمل بما علمنا، ولو عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علما لا تقوم به أبداننا، قال الله تعالى: "واتقوا الله ويعلمكم الله" وقال أبوسليمان الداراني: ليس الجهاد فى الآية قتل الكفار فقط بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين وقمع الضالين وعظمه (أعظمه) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس فى طاعة الله وهو الجهاد الأكبر وقال سفيان بن عيينة لابن المبارك: إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور فإن الله تعالى يقول: "لنهدينهم" وقال

الضحاك: معنى الآية، والذين جاهدوا فى الهجرة لنهدينهم سبل الثبات على الإيمان...

وقال عبد الله بن عباس: والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وهذا يتناول بعموم الطاعة جميع الأقوال... وقال الحسن بن الفضل: فيه تقديم وتأخير أي الذين هديناهم هم الذين جاهدوا فينا "لنهدينهم سبلنا" أي طريق الجنة، قاله السدى. النقاش:يوفقهم لدين الحق. وقال يوسف بن الأسباط: المعنى:لنخلصن نياتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم الخ. وانظر نحوه عند البغوى (256/6) وابن كثير (296/6) والطبرى (63/20) والعلامة الشوكانى (455/5).

11- قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، الأحزاب: 23)

12- قال القشيرى رحمه الله (36/3):شكر صنيعهم فى المراس، ومدح يقينهم عند شهود البأس، وسماهم رجالا إثباتا لخصوصية رتبتهم وتمييزا لهم من بين أشكالهم بعلو الحالة والمنزلة، فمنهم من خرج من دنياه على صدقه ومنهم من ينتظر حكم الله فى الحياة والممات، ولم يزيغوا عن عهدهم، ولم يراوغوا فى مراعاة حدّهم؟ فحقيقة الصدق حفظ العهد وترك مجاوزة الحد.

ويقال: الصدق استواء الجهر والسر ويقال: هو الثبات عند ما يكون الأمر جدا اهـ.

قلت: ويقول المفسر البغوي فيها (6/236-237): (قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي: قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به، (فمنهم من قضى نحبه) أي: فرغ من نذره، فوفى بعهده، فصبر على الجهاد حتى استشهد، والنحب: النذر، "قضى نحبه،" يعنى: أجله فقتل على الوفاء، {يعنى حمزة وأصحابه، وقيل: "قضى نحبه" أي: بذل جهده فى الوفاء} بالعهد من قول العرب: نحب فلان فى سيره يومه وليلته أجمع، إذا مد فلم ينزل، (ومنهم من ينتظر الشهادة.

وقال مُحَمَّد بن إسحاق: "فمنهم من قضى نحبه" من استشهد يوم بدر وأحد، "ومنهم من ينتظر" يعنى: من بقى بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين، إما الشهادة أو النصر (وما بدلوا تبديلا اهـ.

وانظر تفسير القرطبى أيضا (14/158-160).

وذكر السيوطى فى الدر المنثور (12/9-10) عن عائشة مرفوعا: من سره أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض قد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة.

وعن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنهم قالوا: حدثنا عن طلحة قال: ذاك امرؤ نزل فيه آية من كتاب الله (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) طلحة ممن قضى نحبه لا حساب عليه فيما يستقبل، وقال: أخرج ابن أبى شيبة، وابن

جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما (فمنهم من قضى نحبه) قال: الموت على ما عاهدوا الله عليه (ومنهم من ينتظر) على ذلك.

وعن مجاهد (فمنهم من قضى نحبه) قال: عهده (ومنهم من ينتظر) يوما فيه جهاد فيقض نحبه يعنى بقتال أو صدق فى لقاء انتهى.

11- قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا، الأحزاب: 41)

قال فى اللطائف (41/3):

قوله جل ذكره (ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا): الإشارة فيه أحبوا الله، لأن النبى ﷺ قال: ((من أحب شيئا أكثر من ذكره)) فيجب أن تقول: الله) ثم لاتنس الله بعد ذكر الله.

ويقال: اذكروا الله بقلوبكم؛ فإن الذكر الذى تمكن استدامته ذكر القلب؛ فأما ذكر اللسان فإدامته مسرمدا كالمعتذر.(وسجوه بكرة وأصيلا) التسبيح من قبيل الدكر، ولكنه ذكره بلفظين لئلا تعتريك سآمة.

قلت: قال القرطبى (197/14-198): يأيها الذين آمنوا اذكرو الله ذكرا كثيرا) أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم.

وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد ولعظم الأجر فيه قال ابن عباس: لم يعذر أحد فى ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله. وروى أبو سعيد عن النبى ﷺ: (أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون، وقيل: الذكر الكثير ما جرى على الإخلاص من القلب، والقليل ما يقع على حكم النفاق كالذكر باللسان. (وسبحوه بكرة وأصيلا) أي اشغلوا ألسنتكم فى معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير. قال: مجاهد وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب وقيل: ادعوه.

قال جرير: ولا تنس تسبيح الضحى إن يوسفا دعا ربه فاختاره حين سبحا

وقيل: المراد صلوا الله بكرة وأصيلا، والصلاة تسمى تسبيحا.

وخص الفجر والمغرب والعشاء بالذكر لأنها أحق بالتحريض عليها، لاتصاها بأطراف الليل. وقال قتادة والطبرى:

الإشارة إلى صلاة الغداة وصلاة العصر.

والأصيل: العشي وجمعه أصائل، كرغيف ورغف وقد تقدم. مسألة هذه الآية مدنية، فلا تعلق بها لمن زعم أن الصلاة إنما فرضت أو صلاتين، فى طرفى النهار، والرواية بذلك ضعيفة فلا التفات إليها ولا معول عليها. وقد مضى الكلام فى كيفية فرض الصلاة وما للعلماء فى ذلك فى "سبحان والحمد لله" وانظر معلم التنزيل للبغوى (6/359-360). وقال الماوردى (4/409-410): قوله (اذكروا الله ذكرا كثيرا) قولان: أحدهما: ذاكروه بالقلب ذكرا مستديما بما يؤدي إلى طاعته واجتناب معصيته.

الثانى: اذكروا الله باللسان ذكرا كثيرا) قاله السدى...

قوله (وسبحوه بكرة وأصيلا) قال قتادة صلاة الصبح والعصر، قال الأخفش: والأصيل ما بين العصر والليل وقال الكلبى: الأصيل ثلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وفى التسبيح هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التسبيح الخاص الذى هو التنزيه الثانى: أنه الصلاة الثالث: أنه الدعاء، قاله جرير.

12- قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، الأحزاب: 33).

قال القشيرى (38/3) (الرجس): الأفعال الخبيثة الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما قل وما جل، والأخلاق الدنيئة الأهواء والبدع والبخل والشح وقطع الرحم، ويريد بهم الأخلاق الكريمة كالإيثار والسخاء وصلة الرحم، ويديم لهم التوفيق والعصمة والتسديد، ويطهرهم من الذنوب والعيوب ا هـ.

قلت: وتقدم ما نقلناه عن المفسرين من غير الصوفية فى تفسير هذه الآية عند الكلام عن أهل البيت النبوى وعصمتهم بما يغنى عن الإعادة.

13- قوله تعالى (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا، الإسراء: 80).

قال القشيرى (200/2).

أي: ادخلنى إدخال صدق وأخرجنى إخراج صدق، والصدق أن يكون دخول فى الأشياء بالله لله لا لغيره، وخروجه عن الأشياء بالله لا لغيره.

وقال الماوردي (3/266-267): فيه سبعة أقاويل: أحدها: أن مدخل صدق دخوله إلى المدينة حين هاجر إليها، قاله قتادة وابن زيد الثانى: أدخلنى مدخل صدق إلى الجنة وأخرجنى مخرج صدق من مكة إلى المدينة قاله الحسن.

الثالث: ادخلنى مدخل صدق فيما أرسلتنى به من النبوةا وأخرجنى منه بتبليغ الرساله مخرج صدق، وهذا قول مجاهد.

الرابع: ادخلنى فى الإسلام مدخل صدق، وأخرجنى من الدنيا مخرج صدق، قاله أبو صالح،

الخامس: ادخلنى مكة مدخل صدق وأخرجنى منها مخرج صدق آمنا، قاله الضحاك

السادس: ادخلنى فى قبرى مدخل صدق، وأخرجنى منه مخرج صدق، قاله ابن عباس

السابع: ادخلنى فيما أمرتنى به من طاعتك مدخل صدق،وأخرجنى مما نهيتنى عنه من معاصيك مخرج صدق، قاله بعض المتأخرين.

والصدق هنا عبارة عن الصلاة وحسن العاقبة.واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا (فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: يعنى ملكا عزيزا أقهر به العصاة، قاله قتادة.

الثانى: حجة بينة، قاله مجاهد. الثالث: أن السلطة على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود قاله الحسن.

ويحتمل رابعا: أن يجمع له بين القلوب باللين وبين قهر الأبدان بالسيف ا هـ.

قلت: وزاد فى زاد المسير فى فقال "أدخلنى مدخل صدق" : أدخلنى الغار، وأخرجنى منه، قاله مُحَمَّد بن المنكدر.

وأدخلنى فى الدين، وأخرجنى من الدنيا وأنا على الحق، ذكره الزجاج.

وأدخلنى مكة، وأخرجنى إلى حنين، ذكره أبوسليمان الدمشقى.قال وأما إضافة الصدق إلى المدخل والمخرج، فهو مدح لهما وقد شرحنا هذا المعنى فى سورة يونس انتهى بحروف ابن الجوزى كما فى (4/186-187) من زاد المسير. وراجع البغوى (5/121-122) أيضا.

ومن دقق النظر فى أقوال علماء الظاهر وتفاسيرهم لتلك الآيات رأى ما يقارب الإتفاق أو على الأقل عدم المعارضة والتنافى بينها وبين التفسير الإشارى اللطيف بوجه من الوجوه.

وقس على ذلك سائر التفاسير الصوفية على تنوّعها.فرده بدعوى مخالفة الشريعة إما غلط واضح وإما جهل فادح.وصدق من قال جل شأنه(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا ءاياته وليتذكر أولوا الألباب).

ونكرر هنا قول ابن تيمية نفسه فى مجموع الفتاوى (2/28): "وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون مادل اللفظ عليه ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوما من جهة القياس والإعتبار فحالهم كحال الفقهاء العالمين (العاملين) بالقياس والإعتبار وهذا حق إذا كان قياسا صحيحا لا فاسدا واعتبارا مستقيما لامنحرفا" اهـ.

وقول ابن القيم فى "التبيان فى أقسام القرآن" (50/1): "وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذى ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شرائط أن لا يناقض معنى الآية، وأن يكون معنى صحيحا فى نفسه، وأن يكون فى اللفظ إشعار به، وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا" اهـ.

محاكمة الشيخين: ابن عربى وابن تيمية

تقديم: الشيخ محي الدين ابن عربى عارف رباني كبير وزاهد صوفى جليل وعالم إسلامي فاضل عند من عرفه وأنصفه باختصار. أما عند المتنطعين فهو زائغ حلولي،ضالّ....حتى قال ابن تيمية عنه فى موضع من فتاواه (147/2):"وأما ما يرويه هؤلاء الجهّال:كابن عربيّ فى الفصوص وغيره من جهال العامة[كنت نبيا وآدم بين الماء والطين كنت نبيا وآدم لا ماء ولا طين]فهذا لا أصل له ولم يروه أحد من أهل العلم الصادقين ولا هو فى شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ بل هو باطل" ا هـ فلا حول ولا قوة إلا بالله!(وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

وقد كنا منذ فترة نستعرض الأقوال فى هذا الشيخ المظلوم إيجابياً وسلبياً محاولة التمييز للحق فى شأنه من الباطل وها نحن نذكر للقارئ بعضا مما وقفنا عليه من خلال بحثنا ومما لم يطلع عليه كثير من الخائضين فى أمره تمشّياً مع عنوان كتابنا "الإشارات إلى بعض الحقائق والعبارات". فنبدأ بتقديم رسالة خاصّة بالموضوع أفردها أحد المجتهدين من العلماء المعاصرين وهو العلامة – المنقول عنه كثيراً فى هذا الكتاب –الدكتور الشريف محمود صبيح.الرسالة سماها كاتبها "تنبيه الوهابية الأغبياء بتبرئة محي الدين ابن عربي خاتم الأولياء."وهى على نفاسة مضمونها فقد اختصرناها وتصرّفنا فيها بقدر يسير مما رأينا الحاجة إليه.وبالله تعالى التوفيق.

وإليك نصها:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مما لا شك فيه أن الشيخ محي الدين ابن عربي من أكابر علماء الإسلام وصلحائهم وأنه أحد الأئمة الأعلام والورثة المحمديين الذين جمع الله لهم بين سمو شرف العلم وعلو درجة الولاية وهو من كبار أهل الله تعالى ﷻ وأرضاه.

ولكن فى عصرنا زاد الطعن فى الأولياء من بعض جهلة الزمان من أتباع قرن الشيطان (أتباع) مُحَّد بن عبد الوهاب النجدي وكان لزاما علينا أن ندل بدلونا وأن نقوم بجمع الأقوال المتناثرة هنا وهناك ليقف عليها القارئ فى رسالة صغيرة تظهر الحق وتزهق الباطل... لأن كثير(ا) من الباحثين يقلد بعضهم بعضا باتهام الشيخ الأكبر بعقيدة الحلول والإتحاد ويتهمون الشيخ بأبشع التهم نتجة (نتيجة) جهلهم بأقوال العلماء وتسرعهم فى الحكم على أهل الله بالمدسوس عليهم والذى أدخله أعداء الإسلام عليهم. والشيخ محي الدين ابن عربي من أكابر علماء الإسلام وصلحائهم, وقد جرى عليه مثل ما جرى على علماء غيره من الدس فى كتبهم والتحريف لمنهجهم ،و ما ذلك إلا لأجل التفريق بين المسلمين وإدخال العقائد الفاسدة بينهم.

والحمد لله الذى سخر من أمة مُحَّد ﷺ من يرد عن حياض الدين ويكشف زيغ الزائغين وقد نال الكثير من الشيخ ابن عربي رحمه الله بسبب ما وجدوا فى بعض الكتب من الإفتراء عليه والتزوير والعياذ بالله...

ابن تيمية من أول من كفّر ابن عربي

وكان من أوائل الذين كفروا الشيخ محي الدين ابن العربي وانتقدوه ابن تيمية الذى ألف فى ذلك العديد من الكتب والرسائل وقد استند الوهابية كثيراً لأقوال ابن تيمية وردنا كالآتى:

أما ابن تيمية وكلامه فى ابن عربى فلا يضر البتة فالفرق واضح بين الإثنين...فابن عربي اعتد به جميع أهل عصره ولم ينتقدوه...

وأما ابن تيمية فقد فسقه وكفره أناس،ووثقه آخرون... فهو شخصية مضطربة فى عصرها...فشتان بين الإثنين, فلا يوجد مقارنة بينهما فالشيخ الأكبر ابن عربي رضي لله عنه لم ينتقده أهل عصره من الأئمة والعلماء. فمن معاصرو (معاصري) ابن عربي:

ابن رشد

فخر الدين الرازى

صدر الدين القونوى

العز بن عبد السلام

فريد الدين عطار

شهاب الدين سهروردى

أبي الحسن الشاذلي

جلال الدين الرومي

توما الأكوينى وغيرهم الكثير

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلانى فى (اللسان طبعة موئسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت الطبعة الثالثة،1406-1980بتحقيق دائرة المعرف النظامية- الهند, 2/311-314و 5\311- 314):

(و قد اعتد بالمحي بن عربي أهل عصره) والسؤال المطروح هو: لما ذا الإمام محي الدين ابن عربى اعتد به علماء عصره ولم ينتقدوه, و إنما جاء النقد بعد موته بفترة؟؟

وقول الوهابية أن علماء عصره لم يقرأو كتبه كلها هو قول بلا دليل يكذبه قول الحافظ ابن حجر العسقلاني من اعتداد أهل عصره به والشهادة بعلمه.

أما ابن تيمية فحدث ولا حرج فهل ترى تشابه بين الإثنين.(؟) ابن تيمية نقده أهل عصره وجل العلماء وحبس بفتاوى منهم وهم جمهور الأمة فى هذا الوقت والشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ﷺ لم يأت نقد فى حياته فهذا يدل على المدسوسات بعد موتة وعلى عدم قدرة فهم البعض كلامه وقد أنكر ابن تيمية عدد كبير من علماء المسلمين وكفره بعضهم وشنع عليه علي القادي (القاري) وغيره واليافعي وزين الدين العراقي وصلاح الدين العلائي وغيرهم.

قال تقي الدين الحمصي عن الحافظ ابن رجب الحنبلي: وكان الشيخ زين الدين ابن رجب الحنبلي ممن يعتقد كفر ابن تيمية وله عليه الرد, وكان يقول بأعلى صوته فى بعض المجالس معذور السبكي فى تكفيره, راجع" دفع شبه من شبّه وتمرّد", لتقي الدين الحصني,ص 123.

وقد كفره قضاة المذاهب الأربعة فى مصر حين حرّم زيارة قبر النبي (ﷺ) " راجع تكملة السيف الصقيل" , مُحَمَّد زاهد الكوثري ص..1

وذكر ابن حجر العسقلاني أنه "قد نودي عليه بدمشق أن من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله خصوصا الحنابلة,فنودي بذلك وقرئ المرسوم وقرأها ابن الشهاب محمود فى الجامع ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها وأشهدوا على أنفسهم (أنهم) على معتقد الشافعى" (الدرر الكامنة) ،ابن حجر العسقلانى: ج ا ص 147.

فانظر مثلا إلى ابن تيمية ومن رد عليه من علماء عصره فمنهم:

1- القاضي المفسر بدر الدين مُحَمَّد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي

2-القاضي مُحَمَّد بن الحريري الأنصاري الحنفي

3-القاضي مُحَمَّد بن أبي بكر المالكي

4-القاضي أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي

وقد حبس بفتوي موقعة منهم سنة 726 انظر عيون التواريخ للكتبي ونجم المهتدى لابن المعتم القرشي.

5-القاضي كمال الدين بن الزملكاني المتوفى سنة 727هـ
ناظره وردعليه برسالتين, واحدة فى مسألة الطلاق, والأخرى فى مسألة الزيارة.
ناظره القاضي صفي الدين الهندي المتوفى سنة715 هـ
الفقيه المحدث علي بن مُحَمَّد الباجي الشافعي المتوفى سنة 714هـ ناظره فى أربعة عشر موضعا وأفحمه.
المفسر أبو حيان الأندلسى المتوفى سنة 745هـ. تفسير النهر الماد من البحر المحيط.
الفقيه الرحاّلة ابن بطوطة المتوفى سنة 779هـ. رحلة ابن بطوطة. وغيرهم الكثير من أهل عصره. وكان سجن ابن تيمية كالآتي:
السجنة الأولى فى دمشق عام 693هـ, كانت مدتها قليلة.
السجنة الثانية كانت فى القاهرة, وكانت مدتها سنة ونصف من يوم الجمعة 9\26 رمضان 7.5 هـ إلى يوم الجمعة 3\23 ربيع الأول7.7 هـ؛ كانت بدايتها فى سجن "برج", ثم نقل إلى الجب بقلعة الجبل وسببها كما ذكره الحافظ ابن كثير فى تاريخه "البداية والنهاية" فى حوادث 705 هـ, كان مسألة العرش, ومسألة الكلام, ومسألة النزول.
السجنة الثالثة كانت بمصر أيضا, ولمدة قليلة, أسبوعين من 3\.1\707هـ. وسببها تأليفه كتابا فى الإستغاثة.

السجنة الرابعة بمصر كذلك, فى قاعة "الترسيم" لمدة شهرين أو تزيد,من آخر شهر شوال 7.7 هـ، إلى أول سنة 7.8هـ.

السجنة الخامسة كانت بالإسكندرية من يوم 1\3\9. 7هـ إلى8\.1\7.9هـ, لمدة سبعة شهور.

السجنة السادسة كانت بدمشق لمدة ستة أشهر تقريبا من يوم الخميس12\7\.72 هـ إلى يوم الإثنين .1\1\721هـ, بسبب الحلف بالطلاق.

السجنة السابعة بدمشق لمدة عامين وثلاثة أشهر ونصف تقريبا, من يوم الإثين6\8\726هـ إلى ليلة الإثنين .2\11\728هـ, حيث أخرجت جنازته من سجن القلعة إلى قبره وكانت بسبب مسألة إنكاره شد الرحل لزيارة النبي الصلاة والسلام وإعتباره أن هذا السفر معصية لا تقصر فيه الصلاة وكذلك تلاميذه كان الحافظ شمس الدين الذهبي وهو من معاصري ابن تيمية مدحه فى أول الأمر ثم لما انكشف له حاله من الزيغ والضلال قال فى رسالته بيان زغل العلم والطلب" ما نصه:"

فوالله ما رمقت عينى أوسع ولا أقوى دعاء من رجل يقال له ابن تيمية مع الزهد فى المأكل والملبس والنساء, ومع القيام فى الحق والجهاد بكل ممكن, وقد بحثت فى وزنه وفتشه حتى مللت فى سنين متطاولة،فما وجدت أخّره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه

وكفروه إلا الكبر والعجب وفرط الغرام فى رئاسة المشيخة والإزدراء بالكبار فانظر كيف وبال الدعاوي ومحبة الظهور, نسأل الله المسامحة, فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ولا أعلم منه ولا أزهد منه, بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وءاثام أصدقائهم, وما سلطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه, وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر, وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون, فلا تكن فى ريب من ذلك

ا هـ.

ثم قال فى موضع آخر فيه ما نصه: فإن برعت فى الأصول وتوابعها من النطق والحكمة والفلسفة وءاراء الأوائل ومحارات العقول, واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف, ولفقت بين العقل والنقل, فما أظنك فى ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا ولله تقاربها, وقد رأيت ماءال أمره إليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل, فقد كان قبل أن يدخل فى هذه الصناعة منورا مضيئا على محياه سيما السلف, ثم صار مظلما مكسوفا عليه قتمته عند خلائق من الناس, ودجالا أفاكا كافراً عند أعدائه, ومبتدعا فاضلا محققا بارعا عند طوائف من عقلاء الفضلاء" ا هـ.

قال الصلاح الصفدى تلميذ ابن تيمية فى الوافى بالوفيات (13/7)" ولم يزل العوام بمصر يعظمونه إلى أن أخذ فى القول على السيدة نفيسة فأعرضوا عنه" ا هـ.

وبعد عصره حدث ولاحرج ألوف من الأئمة والعلماء فأي شبه بين ابن تيمية والشيخ الأكبر ﷺ وأرضاه؟؟؟

موقف البقاعي من الشيخ ابن عربي

ويستند الوهابية إلى كلام الشيخ برهان الدين البقاعى صاحب كتاب "تنبيه الغبى بتكفير عمر ابن الفارض وابن عربي" وتقريبا نفس الإنتقادات لابن تيمية أخذها الإمام البقاعي.فنقول انظر إلى موقف الأئمة من هذا الكلام يذكر النجم الغزي فى"الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشره" أنه لما قدم الشيخ العلامة برهان الدين البقاعي دمشق فى سنة .1476/88 تلقاه الشيخ تقي الدين هو وجماعة من أهل العلم إلى القنيطرة, ثم لما ألف كتابه فى الرد على حجة الإسلام الغزالى فى مسألة" ليس فى الإمكان أبدع مما كان" وبالغ فى الإنكار على ابن العربي وأمثاله حتى أكفر بعضهم, كان الشيخ تقي الدين ممن أنكر على البقاعي ذلك وهجره بهذا السبب الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة,

للشيخ نجم الدين الغزي, حققة وضبط نصه جبرائيل سليمان جبور, دار الآفاق الجديدة-بيروت, 1979:ج اص 116-118.

وكذلك لمع وكان يترحم على الإمام ابن الفارض وابن عربي الفقيه الحافظ المؤرخ ابن الصيرفي فى إنباء الهصر بأنباء العصر وهو من معاصري الإمام البقاعي وكان الإمام الصيرفى ممن تلقي العلم على السراج البلقينى والحافظ الزين العراقي وقرأ الأصول على العز بن جماعة وكذلك الإمام السيوطى رد عليه بكتابه تنبئة الغبي بتبرئة ابن عربي وكان سبب مهاجمة الإمام البقاعي عدم الإطلاع الكامل على كتب الشيخ الأكبر والإعتماد على المدسوس ولذلك وقف علماء لنصرة الشيخ الأكبر بالتأليف أو بالردود أو بإعلان إنه جانب الصواب.

ونلاحظ هنا أن البرهان البقاعي, له كلام حسن فى التصوف, والبقاعي يثني بما لا مزيد عليه على الإمام التقي الحصني, والتقى من رؤوس الأئمة الذين حملوا رايات تضليل ابن تيمية وأتباعه فهل يقبل الوهابية بهذا الثناء وأخذ كلام التقي الحصني فى ابن تيمية؟؟

موقف العز بن عبدالسلام من ابن عربى

ويستند الوهابية إلى نقل عن الحافظ الذهبى عن الإمام العز بن عبدالسلام.نقول الحديث عن رأي الإمام العز بن عبدالسلام فى الشيخ الأكبر ابن عربي يحتاج إلى تحقيق وتثبيت فقد حكى الإمام ابن عطاء الله (ت7.9هـ) فى لطائف المنن تراجعه عن الإعتراض على القوم بعد أن التقى بالإمام الشاذلي, وكذلك ذكر نحو ذلك الإمام مُحَمَّد المقري (ت 759هـ) فى رسالته "الحقائق والرقائق" وكذلك الإمام السيوطى والإمام المناوي والإمام اليافعي والإمام ابن عابدين والإمام الفيروزآبادى وغيرهم.

والمعروف أن للإمام العز بن عبدالسلام حالين الأولى:- إنكاره على أهل التصوف وهذا فى بداية حياته الثانية:- التقاءه بالإمام الشاذلي ولبس خرقة التصوف وثناءه على أهل التصوف وحضوره جلسات السماع والذكر بعد أن كان ينكرها.

و كان النقل عن الإمام العز بن عبدالسلام هكذا قال العز بن عبدالسلام: هو شيخ سوء كذاب, يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا" (سير أعلام النبلا 48/23). ونقول ما أورده الذهبى رحمه الله فى سيره فى ترجمة الشيخ محي الدين وإيراده مقالة العز بن عبدالسلام عن ابن دقيق العيد فى تجريح محي الدين فهو كلام مردود عري عن الصواب, وليس هو التحقيق بل التحقيق ثناء ابن عبدالسلام على الشيخ الأكبر كما هي عبارة العقد الثمين, ونفح الطيب, والشذرات عن مقامه الإمام رحمه الله.

فقد كان الإمام المجتهد شيخ الإسلام العز بن عبدالسلام رحمه الله تعالى (ت .66هـ) ينكر على الشيخ ابن العربي فى أول أمره, فلما عرف مقامه شهد له ورجع عن إنكاره, وقرر أن الإمام محي الدين قطب زمانه.

فقد حكى الإمام ابن عطاء الله (ت 7.9هـ) فى "لطائف المنن" أن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام كان فى أول أمره على طريقة الفقهاء من المسارعة إلى الإنكار على الصوفية فلما حج الشيخ أبو الحسن الشاذلى ورجع, جاء إلى الشيخ عز الدين قبل أن يدخل بيته, وأقرأه السلام من النبى ﷺ, فخضع الشيخ عز الدين لذلك, ولزم مجلس الشاذلي من حينئذ وصار يبالغ فى الثناء على الصوفية لما فهم طريقتهم على وجهها. وصار يحضر معهم السماع قال الإمام المناوي: وممن كان يعتقده سلطان العلماء ابن عبدالسلام, فإنه سئل عنه أولا, فقال: شيخ سوء كذاب لا يحرم فرجا, ثم وصفه بعد ذلك بالولايه. بل بالقطبانية, وتكرر ذلك منه.

قال المناوى:وأقوى ما احتج به المنكرون،أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم،ويرده قول النووى فى "بستان العارفين"(ص181) بعد نقله عن أبي الخير التيناني واقعة ظاهرة الإنكار:قد يتوهم من يتشبه بالفقهاء ولا فقه عنده أن ينكر هذا.

وهذا جهالة وغباوة،ومن يتوهم ذلك فهو جسارة منه على إرسال الظنون فى أولياء الرحمن. فليحذر العاقل من التعرض لشئ من ذلك, بل حقه إذا لم يفهم حكمهم المستفادة, ولطائفهم المستجادة, أن يتفهمها ممن يعرفها.

وربما رأيت من هذا النوع مما يتوهم فيه من لا تحقيق عنده أنه مخالف, ليس مخالفا, بل يحب تأويل (أفعال أولياء الله) تعالى-ابن العماد الحنبلي فى شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (5/193-194)

والحافظ مُحَمَّد بن يعقوب من مُحَمَّد الشيرازي الفيروزآبادي وفى الكتاب المسمى بالاغتباط بمعالجة ابن الخّياط حيث قال: وأما احتجاجه بقول شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام شيخ مشايخ الشافعية فغير صحيح بل كذب وزور فقد روينا عن شيخ الإسلام صلاح الدين العلائي عن جماعة من المشايخ كلهم عن خادم الشيخ عز الدين فجاء فى باب الردة ذكر لفظة الزنديق فقال بعضهم هل هي عربية أو عجمية فقال بعض الفضلاء إنما هي فارسية معربة أصلها زن دين أى على دين المرأة وهو الذى يضمر الكفر ويظهر الإيمان فقال بعضهم مثل من فقال آخر إلى جانب الشيخ مثل ابن عربى بدمشق فلم ينطق الشيخ ولم يرد عليه قال الخادم وكنت صائما ذلك اليوم فاتفق أن الشيخ دعاني للإفطار معه فحضرت ووجدت منه إقبالا ولطفا فقلت له يا سيدى هل

تعرف القطب الغوث الفرد فى زماننا فقال مالك ولهذا كل فعرفت أنه يعرفه فتركت الأكل وقلت له لوجه الله تعالى عرفني به من هو فتبسم, رحمه الله تعالى وقال لي الشيخ محي الدين بن عربي فأطرقت ساكتا متحيرا فقال ما لك فقلت يا سيدى قد حرت قال لم قلت أليس اليوم قال لك الرجل إلى جانبك ما قال فى ابن عربي وأنت ساكت فقال اسكت ذلك مجلس الفقهاء هذا الذى روي لنا بالسند الصحيح عن شيخ الإسلام عز الدين (بن) عبدالسلام.

فى حاشية ابن عابدين رد المختار (16/..3) ناقلا ومؤكدا على القول: سمعت أن الفقيه العالم العلامة عز الدين بن عبدالسلام كان يطعن فى ابن عربي ويقول هو زنديق, فقال له يوما بعض أصحابه: أريد أن تريني القطب فأشار إلى ابن عربي, فقال له أنت تطعن فيه فقال: حتى أصون ظاهر الشرع أو كما قال وكذلك الإمام اليافعى اليمنى فى الإرشاد.

ابن تيمية يقول بعقيدة مكفّرة: قدم العالم!

ثانيا: ثم إنا إذا نظرنا فى (العلة) التى لأجلها كفّر العز ابنَ عربي, وهى أنه (شيخ سوء يقول بقدم العالم) ما وجدنا فيها أنه كفّره لأجل تصوفه, بل لسبب آخر, لم يثبت عن ابن عربي, ولم أجد فى خصوم ابن عربي من ادّعاه عليه ولايوجد عليها دليل من كتبه ولا حتى قول يؤيد هذا الكلام!

لذا قلنا الحديث عن رأيه أي الأمام العز بن عبدالسلام فى ابن عربي يحتاج إلى تحقيق وتثبت.ولكنّا سنجد هذه العلة (القول بقدم العالم) ثابتة فى ابن تيمية فى كتبه وما نقل عنه.فإذا صح النقل فهو ينطبق على ابن تيمية.

فقد قال ابن تيمية فى الموافقه (57/2) و (31./1) ما نصه:"وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لا يجعلون النوع حادثا بل قديما, ويفرقون بين حدوث النوع وحدوث الفرد من أفراده كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه" ا هـ..

ويقول فيها أيضا ما نصه- انظر الموافقه (64/1) و (67\1)-"فمن أين فى القرآن ما يدل دلالة ظاهرة على أن كل متحرك محدث أو

ممكن،وأن الحركة لا تقوم إلا بحادث أو ممكن،وأن ما قامت به الحوادث لم يخل منها،وأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث،وأين فى القرآن امتناع حوادث لا أول لها" ا هـ.

فهذا من عجائب ابن تيمية قوله بقدم العالم القدم النوعي مع حدوث كل فرد معين من أفراد العالم قال الكوثرى فى تعليقه على السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل- انظر السيف الصقيل (ص 74) –ما نصه: وأين قدم النوعي مع حدوث أفراده؟ وهذا لا يصدر إلا ممن به مس. بخلاف المستقبل, وقال أبو يعلى الحنبلي فى" المعتمد": والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافا للملحدة"

ا هـ.

وهو من أئمة الناظم يعنى ابن القيم فيكون هو وشيخه من الملاحدة على رأي أبي يعلى هذا فيكونان أسوأ حالا منه فى الزيغ, ونسأل الله السلامة"ا هـ.

وقال ابن تيمية فى منهاج السنة النبوية -انظر المنهاج (224\1)
ما نصه: " فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب، (224\2)
قلنا لكم: **نعم**،...وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل...!
وقال فى موضع آخر من المنهاج (159\1) و (284\1) ما نصه:
وحينئذ فيمتنع كون شئ من العالم أزليا وإن جاز أن يكون نوع الحوادث دائما لم يزل, فإن الأزل ليس هو عبارة عن شيء محدد بل ما من وقت يعد إلا وقبله وقت آخر،فلا يلزم من دوام النوع قدم شيء بعينه ا هـ.
ومضمون هذا أمران: أحدهما أنه يقرّ ويعتقد قدم الأفراد من غير تعيين شيء منها.

ثم هذا يتحصل منه مع ما نقل عنه الجلال الدواني (فى ص 13) بقوله:
"وقد رأيت فى كتاب شرح العضدية بعض تصانيف ابن تيمية القول به- أي القدم الجنسي, فى العرش, أي أنه كان يعتقد أن جنس العرش أزلي أي ما من عرش إلا وقبله عرش إلى غير بداية وأنه يوجد ثم ينعدم وهكذا, أي أن العرش جنسه أزلي لم يزل مع الله ولكن عينه القائم الآن حادث.

رد الألبانى على ابن تيمية

وقد أقرّ الألبانى بأن ابن تيمية يقول بذلك (فى صحيحته 8.2/1،و132/1) عن حديث (إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم بقوله: وفيه رد أيضا على من يقول بحوادث لا أول لها) وأنه ما من مخلوق إلا ومسبوق بمخلوق قبله, وهكذا إلى ما لا بداية له، بحيث لا يمكن أن يقال هذا أول مخلوق، فالحديث يبطل هذا القول ويعين أن القلم هو أول مخلوق, فليس قبله قطعا أي مخلوق, ولقد أطال ابن تيمية الكلام في رده علي الفلاسفة محاولا إثبات حوادث لا أول لها،وجاء فى أثناء ذلك بما تحار فيه العقول, ولا تقبله أكثر القلوب)

ثم قال الألباني بعد ثلاثة أسطر.

(فذلك القول منه غير مقبول, بل هو مرفوض بهذا الحديث, فكم كنا نود أن لا يلج ابن تيمية هذا الموالج لأن الكلام فيه شبيه بالفلسفة وعلم الكلام...)

فهذا ينطبق على ابن تيمية وليس على الشيخ الأكبر ﷺ فالإمام ابن عربي فى مواضع كثيرة قال أن العالم لم يكن ثم كان وأن الله سبحانه أنشاه ابتداءً وقد ذكرنا من قبل كيف أنه رأى الحق فى المنام فأمره أن لا يجالس المطاطين، فقال وما المطاطون؟ قال هم الذين يمدّون العالم إلى غير نهاية فى الإبتداء، وإني ابتدأت العالم بالخلق.

وهذا التقرير ردّ بين على مثل هذه التهم، ومع ذلك يتناقل أتباع ابن تيمية هذه الأقوال من غير بيّنة: يقول ﷺ فى كتابه "القصد الحق" لا يقال العالم صادر عن الحق تعالى إلا بحكم المجاز لا الحقيقة وذلك لأن الشرع لم يرد بهذا اللفظ...

وجل الله تعالى أن يكون مصدر الأشياء لعدم المناسبة بين الممكن والواجب وبين يقبل الأولية وبين من لا يقبلها وبين من يفتقر وبين من لا يقبل الإفتقار وإنما يقال إنه تعالى أوجد الأشياء موافقة لسبق علمه بها بعد أن لم يكن لها وجود فى أعيانها ثم إنها ارتبطت بالموجد لها ارتباط فقير ممكن بغني واجب ولا يعقل لها وجود إلا به سبحانه وتعالى لأن تقدمه عليها وجودى إلى آخر ما ما قال فى ذلك وقد دافع سيدى عبد الوهاب الشعراني فى كتابه "اليواقيت والجواهر" عن الشيخ لرد حجج من نسب إليه القول بقدم العالم فبعد أن أورد النصوص فى ذلك قال فهذه نصوص الشيخ محي الدين ﷺ فى قوله بحدوث العالم فكذب من افترى على الشيخ أنه يقول بقدم العالم وقد كرر الشيخ الكلام على حدوث العالم فى "الفتوحات" فى نحو ثلاثمائة موضوع وكيف يظن بالشيخ مع هذا العلم العظيم أن يقع فى مثل هذا الجهل الذي يؤدي إلى إنكار الصانع جل وعلا بل أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال بقدم العالم أوبقائه أو شك فى ذلك هذا مع أن مبنى كتب الشيخ ومصنفاته كلها فى

الشريعة على معرفة الله تعالى وتوحيده وعلى إثبات أسمائه وصفاته وأنبيائه ورسله وذكر الدارين والعالم الدنيوي والأخروي والنشأتين والبرزخين ومعلوم أن من يقول بقدم العالم من الفلاسفة لا يثبت شيئا من ذلك بل ولا يؤمن بالبعث والنشور ولا غير ذلك مما هو منقول عن الفلاسفة فقد تحقق كل عاقل أن الشيخ بريئ من هذا كله انتهى.

وكذلك العبارة أنه –حاشاه فى الأمرين– لا يحرم فرجا ولا يوجد فى كتب سيدي محي الدين بن عربي على كثرتها حرف واحد يشهد لهذه الزندقة التى تسقط حكم الشريعة، بل يوجد كل ما يثبت عكسه..

موقف علاء الدين البخارى من ابن عربي

قول الوهابية تكفير الإمام علاء الدين البخاري الحنفي للشيخ الأكبر فنقول لهم فالإمام علاء الدين البخاري **كفّر ابن تيمية** حبيبكم بل **كفّر** من يقول عليه **شيخ الإسلام** فهل تأخذون برأيه يا أهل التدليس فى هذا التكفير؟ فقد قال عن شيخكم شيخ زندقة يدعو للضلال و**كفّر من لقّب** ابن تيمية بشيخ الإسلام فما هو رأيكم حياكم الله فهل تقبلون كلامه فى ابن تيمية بل وفى من **لقّبه** بشيخ الإسلام؟

موقف الإمام ابن الجزري من الشيخ ابن عربي

قول الوهابية أن الإمام ابن الجزري **كفّر** الشيخ الأكبر نقول الله حسيبكم يا وهابية على هذا التزوير.الإمام يترجم لابن عربي ويقول قبره ظاهر يزار فى كتابه "غاية النهاية فى طبقات القراء" فيقول مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عربي الطائي أبو عبدالله المنعوت بمحي الدين الصوفى المشهور، ولد سنة... وتوفى سنة ثمان وثلاثين وستمائة بدمشق ودفن بالطالحية بتربة بن الزكي **وقبره ظاهر يزار** اهـ.

فهل هذه عبارة من ينكر عليه ويعتقد **بكفره؟** هل يعقل أن يترجم لمن يكفره فى كتاب وضع لترجمة قوم أخيار قرّاء من مختلف الأمصار! نترك الحكم لكل عاقل.

موقف الحافظ الذهبي من الشيخ ابن عربي

يستند الوهابية إلي قول الذهبي رحمه الله "ومن أردئ تواليفه كتاب "الفصوص " فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر, نسأل الله العفو والنحاة. فواغوثاه بالله" (سير أعلام النبلاء 48/33، و(47/43) نقول الله حسيبكم يا وهابيه علي هذا التزوير والتدليس فالامام الذهبي يتكلم عن المدسوس ويتكلم عن كتاب ولا يتكلم عن ذات الشيخ

الأكبر فبعد أن سرد الإمام الذهبي الأقوال قال الذهبي بتوثيقه وأي شهادة أكبر من هذا...

الذهبي يقول في الميزان بتوثيق الشيخ الأكبر (66./3): فإنه كان عالما بالآثار والسنن, قوي المشاركة في العلوم.وقولي أنا فيه: إنه يجوز أن يكون من أولياء الله الذين اجتذبهم الحق إلى جانبه عند الموت، وختم له بالحسنى!

فهذا رأي الإمام الذهبي أن الشيخ الأكبر كان عالما بالآثار قوي المشاركة فى العلوم وقوله فيه أنه يجوز أن يكون من أولياء الله الصالحين فأي قول بعد هذا وإليك قوله فى مكان آخر قال الإمام الذهبي، رحمه الله، فى كتابه التاريخ الكبير فى حوادث وفاة الشيخ الأكبر رحمه الله سنة: 638: "ولابن العربي توسع فى الكلام وذكاء وقوة حافظة وتدقيق فى التصوف، وتواليف جمة فى العرفان، ولو لاشطحات كلامه وشعره لكان كلمة إجماع، ولعل ذلك وقع منه فى حال سكرة وغيبته فنرجو له الخير "انتهى.

فأين تكفيره الذي تدعونه يا أهل الكذب؟؟

وقد رد الحافظ ابن حجر العسقلانى على هذا القول من الإمام الذهبي فى كتاب الفصوص فقال الحافظ فى اللسان طبعة موسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت الطبعة الثالثة، 1406-1986 و5/312-314، بتحقيق دائرة المعرف النظامية الهند، ترجمة ابن عربي، وترجم له ترجمة منصفة برقم 1038 فقال معلقا على ترجمة الذهبي: وأول كلامه الذهبي- لا يحصل منه شىء، تفرد به، وينظر فى قوله أمعن النظر وأنعم التأمل الفرق بينهما وقد اعتد بالمحي بن

عربي أهل عصره فذاكره بن النجار فى ذيل تاريخ بغداد وابن نقطة فى تكمل الأكمال وابن العدم فى تاريخ حلب والذكي المنذرى فى الوفيات وما رأيت فى كلامهم تعديا على الطعن كلهم ما عرفوها أو ما اشتهر كتابه الفصوص انتهى.

ثم إن كتاب الفصوص مختلف فى نسبة ما فيه كله للشيخ ابن عربي، فمن أثبته من الشراح له وجد للنصوص التى يراها الوهابية أنها كفر، وجد لها تفسيرا وشرحا ليس فيه الفهم القبيح الذى فهمه الوهابية، ولذلك قيل لا يجوز الإنكار على الصوفية إلا لمن سلك طريقهم وعرف اصطلاحاتهم وإلا فاصطلاحاتهم قد يفهمها المنكرون على غير مرماها فينكرون مالم يقصده الشيخ ابن عربي.

ذكر الفقيه الحنفي صاحب الدر المختار أن من قال عن فصوص الحكم للشيخ محي الدين بن عربي، إنه خارج عن الشريعة، وقد صنفه للضلال، ومن طالعه ملحد، ما ذا يلزمه؟ أجاب: نعم، فيه كلمات تباين الشريعة، وتكلف بعض المتصلفين لإرجائها إلى الشرع، لكن الذي تيقنته أن بعض اليهود افتراها على الشيخ قدس الله سره، فيجب الإحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات. وقال العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى فى حاشيته على الدر المختار عند قوله {لكن الذى تيقنته}: وذلك بدليل ثبت عنده، أو لسبب عدم اطلاعه على مراد الشيخ فيها، وأنه لا يمكن تأويلها، فتعين عنده أنها مفتراة عليه، كما وقع للشعرانى أنه افترى عليه بعض الحساد فى بعض كتبه أشياء مكفّرة، وأشاعها عنه، حتى اجتمع بعلماء عصره، فأخرج لهم مسودة كتابه التى عليها خطوط العلماء فإذا هي خالية عما افتري عليه... قال شيخ الإسلام شرف الدين

المناوي (ت871هـ): والمتصدي لتكفير ابن عربي لم يخف من سوء الحساب وأن يقال له: هل ثبت عندك أنه كافر؟ فإن قال كتبه تدل على كفره أفأمن أن يقال له: هل، ثبت عندك بالطريق المقبول فى نقل الأخبار أنه قال هذه الكلمة بعينها، والأول لا سبيل إليه؟ لعدم سند يعتمد عليه فى مثل ذلك، ولا عبرة بالإستفاضة؛ لأنه على تقدير ثبوت أصل الكتاب عنه فلا بد من ثبوت كل كلمة كلمة؟ لاحتمال أن يدس فى الكتاب ما ليس من كلامه من عدو أو ملحد"اهـ.

وقال الإمام الشعرانى كذب من دس فى كتاب الفصوص والفتوحات، أن الشيخ محي الدين بن عربى قال بأن أهل النار يتلذذون بالنار، وأنهم لو أخرجوا منها لاستغاثوا، وطلبوا الرجوع إليها، كما رأيت ذلك فى هذين الكتابين. وقد حذفت ذلك من الفتوحات حال اختصاري لها. حتى ورد عن الشيخ شمس الدين الشريف، بأنهم دسوا على الشيخ فى كتبه كثيرا من العقائد الزائغة التى نقلت عن غير الشيخ ،فإن الشيخ من كمّل العارفين بإجماع أهل الطريق، وكان جليس رسول الله ﷺ على الدوام، فكيف يتكلم بما يهدم شيئا من أركان شريعته، ويساوى بين دينه وبين جميع الأديان الباطلة، ويجعل أهل الدارين سواء؟ هذا لايعتقد فى الشيخ إلامن عزل عنه عقله. فإياك يا أخى أن تصدق شيئا من العقائد الزائغة إلى الشيخ، واحم سمعك وبصرك وقلبك، وقد نصحتك والسلام. وقد رأيت فى عقائد الشيخ محي الدين الواسطي ما نصه:

ونعتقد أن أهل الجنة والنار مخلدون فى داريهما، لا يخرج أحد منهم من داره أبدا الآبدين ودهر الداهرين..

قال:ومرادنا بأهل النار الذين **هم أهلها من الكفار والمشركين والمنافقين والمعطلين، لا عصاة الموحدين** فإنهم يخرجون من النار بالنصوص، (اليواقت والجواهر الشعرانى ج2ص205)

موقف ابن حجر العسقلانى من الشيخ ابن عربي

يستند الوهابية إلى قول الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان: سألت شيخنا الإمام سراج الدين البلقينى عن ابن عربي فبادر بالجواب بأنه **كافر**. فسألته عن ابن الفارض فقال: لا أحب أن أتكلم فيه. قلت: فما الفرق بينهما والموضع واحد؟ وأنشدته من التائية فقطع علي بعد إنشاء عدة أبيات بقوله: هذا **كفر** هذا **كفر** (لسان الميزان 364/4) و (317/4-318) نقول أولا: نقول لماذا تتعبون أنفسكم وتذهبون إلى ترجمة ابن الفارض لتنقلون (لتنقلوا) كلام سراج الدين البلقيني؟ ماذا تذهبون(لِم لَم تذهبوا) مباشرة إلى ترجمة ابن عربي فى اللسان!! لأن هناك ما تريدون إخفاءه عن الناس ولكى نظهر تدليسكم سننقل لكم ترجمة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربى الطائي الأندلسي رضي الله عنه من كتاب اللسان للحافظ أمير المؤمنين فى الحديث بلا منازع ابن حجر العسقلانى ﷺ لنكحل بها أعين الوهابية...

(فساقها بطولها –انظرها فى المصدر المشار إليه–ثم قال): والسؤال المطروح هو: لماذا الإمام محي الدين اعتد به علماء عصره ولم ينتقدوه؟ وإنما جاء النقد بعد

موته بفترة؟ قال الحافظ فى اللسان: وقد اعتد بالمحي الدين ابن عربي أهل عصره.. وهل كان علماء عصره **جهلة** إلى هذا الحد؟

وثانيا: هذا النقل من قول السراج البلقينى الشأن فيه أن يكون قد رجع عن ذلك لأن الإمام ابن حجر العسقلاني لم يذكره فى ترجمة الإمام ابن عربي نفسه وهل يغفل عن ذلك حافظ العصر؟..

قلت: رجوعه عن ذلك ثابت كما سيأتي، ومن رجع عن تكفير ابن عربي إلى تأويل كلامه واعتبار صلاحه رجع حتما عن تكفير ابن الفارض لتساويهما كما صرح به الحافظ ابن حجر.

تحقيق قول البلقينى فى الشيخ ابن عربي ورجوعه

ذكر الإمام الشعراني رحمه الله تعالى عن الشيخ سراج الدين المخزومي فى كتابه "اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر" (ص10) ما نصه: وقال الشيخ سراج الدين المخزومي رحمه الله تعالى: كان شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني وكذلك الشيخ تقي الدين السبكى ينكران على الشيخ فى بداية أمرهما ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده وندما على تفريطهما فى حقه فى البداية وسلما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية، فبمن جملة ما ترجمه به الإمام السبكي: كان الشيخ محي الدين آية من آيات الله تعالى وإن الفضل فى زمانه رمي بمقاليده إليه. ومن جملة ما قاله الشيخ سراج الدين البلقيني رحمه الله تعالى حين سئل عنه: إياكم وإلانكار على شيء من كلام

الشيخ محي الدين إلى أن قال ولقد كذب والله وافترى من نسبه إلى القول بالحلول والإتحاد ولم أزل أتتبع كلامه فى العقائد وغيرها وأكثر وأكثر من النظر أسرار كلامه ورابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو عليه من الحق، ووافقت الجم الغفير المعتقدين له من الخلق وحمدت الله عز وجل إذال م أكتب فى ديوان الغافلين عن مقامه الجاحدين لكراماته وأحواله" اهـ.

وقال-أي العارف الشعرانى- (فى ص 11) ما نصه: قال المخزومي رحمه الله: والله لقد بلغنا أن الشيخ تقي الدين السبكي تكلم فى شرحه للمنهاج فى حق الشيخ محي الدين بكلمة ثم استغفر بعد ذلك وضرب عليها فمن وجدها فى بعض النسخ فليضرب عليها كما هو فى نسخة المؤلف مع أن السكي قد صنف كتاب فى الردّ على: المجسمة والرافضة وكتب الأجوية العلمية فى الرد على ابن يتمية ولم يصنف قط شيئا فى الرد على الشيخ محي الدين مع شهرة كلامه بالشام وقراءة كتبه في الجامع الأموي وغيره بل كان يقول :ليس الرد على الصوفية مذهبى لعلو مراتبهم، وكذلك كان يقول الشيخ تاج الدين الفركاح ثم قال: فمن نقل عن الشيخ تقى الدين السبكى أوعن الشيخ سراج الدين البلقينى أنهما بقيا على إنكارهما على الشيخ محي الدين إلى أن ماتا فهو **مخطىء** اهـ...

جعل الوهابية الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله من الذين **كفّروا** ابن العربي وذلك راجع لذكره رحمه الله أن الإمام سراج الدين البلقينى قال عنه أنه **كافر** فى ترجمة (ابن) الفارض وليس ابن عربي حيث ترجم له ترجمة منصفة كما ذكرنا

وكذلك بنقلهم تلك الحكاية التى باهل فيها ابن حجر أحد الملاحدة والتى ذكرها هو بنفسه فى الفتح الباري بدون ذكر مع من وعلى من كانت فعي مبهمة فهل الوهابية تعلم الغيب؟؟

وهى ما تتخذها السلفية المعاصرة سلاحا قطعيا على صحة مباهلة ابن حجر فى معتقد ابن عربي والتى ذكرها بعض العلماء مثل الإمام السخاوى رحمه الله وغيره مع أحد المحبين لابن العربي رحمه الله وكانت النتيجة إصابة تلك (ذلك) الشخص بالعمى ووفاته فى ذلك اليوم. فنقول لا يوجد أي نص يدل على تكفير الحافظ ابن حجر العسقلاني لابن العربي رحمه الله وهذا أكبر دليل على ذلك. كما توجد نصوص تدل على إنصافه رحمه الله ولم يذكر ذلك بل كما ذكرنا فى ردنا السابق فقال الحافظ فى اللسان (2/ 311-314، النسخة المتقدمّة) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني فى نفس الترجمة: وبالجملة وكان كبير القدر من سادات القوم وكانت له معرفة تامّة بعلم الأسماء والحروف وله فى ذلك أشياء غريبة واستنباطات عجيبة انتهى.

كما أن الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله والإمام أبو زكريا الأنصاري وغيرهم من الحفاظ والعلماء قد رووا كتب الشيخ ابن عربي تلقوها سماعا وأقرأوها إجازة، حتى وصلت إلى الشيخ أبو(أبى) المواهب الحنبلى من كتاب مشيخة أبي المواهب لابن عبد الباقى الحنبلي (صفحة 27) قال صاحب المشيخة (أبي المواهب الحنبلى) بمؤلفات ابن عربي ... فساق السند الأول ثم قال: ورواية الثاني عن شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن الوارثي الصديقي،

عن خاله عالم الإسلام وقطب الأولياء الكرام مُحَمَّد بن أبي الحسن الصديقى عن والده أبي الحسن، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى، عن الحافظ ابن حجر العقسلاني برواية لذلك من طريقين أحدهما: عن السيد عبد الرحمن بن عمر القبابي؟ عن العز مُحَمَّد: بن إسماعيل بن عمر بن المسلم الحموي، عن العفيف سليمان بن علي التلمساني، عن شيخة صدر الدين مُحَمَّد بن إسحاق القونوي، عن الإمام محي الدين مُحَمَّد بن العربي قدس سره.

ونسأل فهل الحافظ ابن حجر العسقلاني وأبو زكريا الأنصاري يقرؤوا كفرا وينقلوه إلى غيرهم بالإجازة؟ فلا يوجد دليل واحد يؤيد هذه المباهلة مما يؤكد أنها مدسوسة وتناقلها الآخرون من هذا الدس فكيف يتفق هذا مع صاحب المباهلة وهو يروي كتب الإمام ابن عربي ويمدحه!!(؟)

فالقصة التى رواها البعض عن الحافظ ابن حجر العسقلاني تتناقض مع ما هو معلوم من موقفه من الشيخ ابن عربي.ولم نر فى كل ما كتب ابن حجر إلا نقيض هذا الكلام فهل يعقل هذا؟ ونضيف على ذلك على الرغم من أنه ظهر للقاصي والداني تهافت هذه القصة من كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني نفسه.

استعراض القصة وبعض التساؤلات عليها

أن أقطع أن هذه القصة مكذوبة مختلقة وهي مدسوسة على كتاب الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى وبيان ذلك: أنه لا يتصور من رجل مثل الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى القدوم فى أمر ظني غير قطعي ولا يصح قياس مسألة ظنية

على دعوة رسول الله ﷺ أهل الكتاب إلى المباهلة لأن ذلك أمر خاص به كما قال علماء التفسير.

2- لايصح لمسلم أن يقدم على المباهلة فى أمر قطعى كوجود الله بعد قيام الأدلة القطعية المتواترة على وجوده وكرسالة النبي ﷺ بعد قيام الأدلة القطعية المتواترة على ثبوت رسالته.ولو أن مسلما أقدم على المباهلة فى مثل ذلك فأصيب ببلاء مقدر عليه من الله تعالى بقضاء مبرم كعمى أو موت عند انتهاء الأجل هل يعنى ذلك عدم وجود الله أوعدم ثبوت رسالة النبى ﷺ؟ وإقدامه على المباهلة فى ذلك جهل منه وربما يأثم به إثم الحرام أو يؤدي به إلى الكفر لأنه قائم مقام التشكيك فإذا كان هذا فى أمر قطعي وفى حق العامة من المسلمين فكيف بأمر ظني غيبي ويقدم عليه إمام من أئمة المسلمين؟

3- مرر -(قرر) علماء العقيدة أن الميت لا يقطع له بجنة أو نار ولا يحكم عليه بكفر أو إيمان على جهة القطع وإنما نحكم بالظاهر الذي كان عليه فى حياته ونفوض أمره إلى الله تعالى. فكيف يصدر من مثل الإمام ابن حجر الحكم **بكفر وضلال** الشيخ ابن عربي ويقطع بذلك ويباهل عليه؟ إلا إذا أطلعه الله على غيبه وهذا ليس مصدر من مصادر العلم ولا يبنى عليه حكم...

4- من أين للشيبخ ابن حجر رحمه الله قوله: من كان مبطلا فى المباهلة لا تمضي عليه سنة؟ هل هناك دليل من الكتاب والسنة عليه؟ أو هل هناك دليل الإستقراء لوقائع مباهلة سابقة وقعت لعلماء الإسلام مع غيرهم مع أن علماء المسلمين قائلون بالمنع من المباهلة فى القطعي وما ورد فى القرآن خاص بالنبى

ﷺ كما علمت؟ أو أنه مبنى منه على التجربة والظن. فهل جرب ذلك أكثر من مرة فباهل على مسائل أخرى مرات أو على هذه المسألة بعينها مرات مع رجال آخرين. أين النقل لذلك؟...

5- تبين من خلال ما ذكرته أن متن هذه القصة معارض بأدلة قطعية على خلافه وبالتالى يكون الحكم عليه كالشاذ المخالف لرواية الثقات فيكون مردودا أو يكون كخبر الآحاد المخالف للقطعي فتكون مخالفته له علة قادحة فيه مانعة من قبوله ومن القول بمقتضاه فهذه القصة باطلة وهى مكذوبة مدسوسة...

موقف العلامة الشوكانى من الشيخ ابن عربي ورجوعه

يورد الوهابية أبياتا للإمام الشوكانى قال فيها ما نصه:

فهم الذين تلاعبوا بين الورى بالدين وانتدبو القصد خرابه

وقدنهج الحلاج طرق ضلالهم وكذك محيي الدين لا حيا به

وكذالك فارضهم بتائياته فرض الضلال عليهم ودعا به

وهذا تزوير واضح للعيان ولا غريب على الوهابية هذا التدليس والكذب والتزوير فهم أهل ذلك وأكثر .قد كان الإمام الشوكانى من المنتقدين للشيخ الأكبر بل والمكفرين له فرجع عن قوله فى آخر حياته وأثنى على من يرى ولاية ابن عربي ؟

يقول الإمام الشوكانى فى "البدر الطالع": وقد استمر الإتصال بينى- أي الشوكاني -وبينه زياده على خمس عشرة سنة قل أن يمضي يوم من الأيام لا

نجتمع فيه ويجري بيننا مطارحات أدبية فى كثير من الأوقات ومراجعات علمية فى عدة مسائل منها ما هو منظوم ومنها ما هو منثور فمن ذلك هذا السؤال الذى اشتمل على نظم ونثر يأخذ بمجامع القلوب كتبه إلى فى أيام سابقة ولفظه: حرس الله سماء المفاخر بحماية بدرها الزاهى الزاهر وأتحف روضها الناضر بكلاية غيثها الهامي الهامر وأهدى إليه تحية عطرة وبركة حضرة نضرة، ما مسحت أقلام الكتبة مفارق المحابر ورتعت أنظار الطلبة فى حدائق الدفاتر، وصدرت هذه الأبيات فى غاية القصور أقيلوا عثارها إن كان لكم عليها عثور، تستمنح منكم الفرائد وتستمد منكم الفوائد أوجب تحريرها أنه (ذكر عند بعض الأماثل جماعة المتصوفة، فأثنى عليهم وأطنب وأطرى وأطرب، واستشهدنى فقلت بموجب قوله (مستثنيا منهم الحلاج وابن عربى ومن يساويهما) فأصر واستكبر وأبدا قولا يستنكر فجرى بيننا خلاف مفرط فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط...

قال الشوكاني: فأجبت فى هذا السؤال برسالة فى كراريس {سميتها الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الإتحاد} وكان تحرير هذ الجواب فى عنفوات الشباب وأنا (الآن أتوقف فى حال هؤلاء) وأتبرأ من كل ما كان من أقوالهم وأفعالهم مخالفا لهذه الشريعة البيضاء الواضحة التى ليلها كنهارها ولم يتعبدني الله بتكفير من صار فى ظاهر أمره من أهل الإسلام!!! انتهى

المطلوب- البدر الطالع فى ترجمة السيد بن

أحمد بن عبد الله بن القاسم ج40/32/2

موقف صديق حسن خان من الشيخ ابن عربى

وقال تلميذه صديق حسن خان ما نصه: **قلت** (صديق خان): (والمذهب الراجح فيه على ما ذهب إليه العلماء المحققون الجامعون بين العلم والعمل والشرع، السكوت فى شأنه وصرف كلامه المخالف لظاهر الشرع إلى محامل حسنة، وكف اللسان عن تكفيره وتكفير غيره من المشايخ الذين ثبت تقواهم فى الدين، وظهر علمهم فى الدنيا بين المسلمين، وكانوا ذروة عليا من العمل الصالح، ومن ثم رأيت شيخنا الإمام العلامة الشوكاني فى الفتح الرباني مال إلى ذلك وقال لكلامه محامل،ورجع عما كتبه فى أول عمره بعد أربعين سنة،ثم قال بعده بخمسة أسطر وأقول فى هذا الكتاب:إن الصواب ما ذهب إليه الشيخ أحمد السهرندى-مجدد الألف الثانى-،والشيخ الأجل مسند الوقت أحمد ولي الله-المحدث الدهلوى —والإمام المجتهد الكبير مُحَمَّد الشوكانى من قبول لكلامه الموافق لظاهر الكتاب والسنة ،وتأويل كلامه الذي يخالف ظاهرهما،تأويله بما يستحسن من المحامل الحسنة، وعدم التفوه، فيه بما لا يليق بأهل العلم والهدى، والله أعلم بسرائر الخلق وضمائرهم انتهى المطلوب التاج المكلل(ص 179)طبعة الهندية العربية (328،هـ - 1963) بتحقيق الدكتور عبد الحكيم شرف الدين، لاحظوا أحبتنا أن الشوكاني **تراجع بصريح العبارة** فى الصوارم الحداد بينما نري الوهابية لايزالون ينشرون وينقلون منه! !فهل رأيتم كذب مثل ذلك وهل رأيتم تزوير أقبح من هذا ولما ذا لامتلاك حجه تكفير المسلمين وإيذاء أولياء الله فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

موقف التقي السبكي من ابن عربى

نقول على قوله:"ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربى وغيره فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الإسلام فضلا عن العلماء ":

الإمام السبكي معروف موقفه من ابن تيمية وفي فتاواه (575/2) تجد ثناءه على ابن عطاء الله السكندرى الشاذلى وينقل عنه نبذ من التأويل الإشاري على وجه الإقرار، هذا فضلا عن كلام الإمام فى أصناف علوم الصوفية من فناء ورجاء وحب، ولا أدري لماذا لم يكمل الوهابية كتابة ما وجدوه فى المغنى (ص61) فبعد الكلام المنقول والذي آخره أن الشك فى كفر طائفة ابن عربى كفر قال شيخنا والكلام للشربيني وهم الذين ظاهر كلامهم عند غيرهم الإتحاد قال والحق أنهم مسلمون أخيار وكلامهم جار على اصطلاحهم كسائر الصوفية وهو حقيقة فى مرادهم وإن افتقر عند غيرهم ممن لو اعتقد ظاهره عنده كفر إلى تأويل إذ اللفظ المصطلح حقيقة غى معناه الإصطلاحي مجاز فى غيره فالمعتقد منهم لمعناه معتقد لمعنى صحيح وقد نص على ولاية ابن عربي جماعة عارفون بالله تعالى منهم تاج الدين ابن عطاء الله والشيخ عبد الله اليافعي ولا يقدح في ولا يقدح فيه وفى طائفته ظاهر كلامهم المذكور عند غير الصوفية لما قلناه. فإلى متى سيبقى الإخوة الوهابية يلوون أعناق النصوص ويبترونها ويأخذون ما يعجبهم من الجمل ويتركون ما يرد على عقائدهم سبحانك ربي هذا بهتان عظيم ا هـ.

قلت: فإذا كان العارف بالله ابن عطاء الله نص على ولاية ابن عربي كما قال صاحب المحتاج والسبكى قد أثنى على ابن عطاء الله فقد كفانا ذلك وأغنانا عن الكلام فى قول السبكي رحم الله الجميع.

الشيخ ابن عربى وعقيدة وحدة الوجود

وقولهم أن الشيخ الأكبر يقول بالحلول ووحدة الوجود الكفرية نقول فما وجد من كلامه يحتمل ظاهره هذا المعتقد فإنه مؤول على غير ظاهره، ومنه ما هو مدسوس ويكفينا ما ورد عنه رحمه الله ورضي عنه فى الفتوحات المكية فى باب وصل فى أسرار أمر القرآن. "ذات الحق ليست ذات العبد" إذ لا طاقة لمحدث على حمل القديم....." وقال فى باب الأمراء أيضا: الحادث لا يخلو من الحواث، ولو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم، فالقديم لايحل ولايكون محلا" { الفتوحات المكيه للشيخ الأكبر، محي الدين ابن عربي، كما فى اليواقيت والجواهر" ج ا/80-8.

ويقول الشيخ الأكبر صراحة فى الباب الخامس والثمانين ومائة إذ يستحيل تبدل الحقائق، **فالعبد عبد، والرب رب**، والحق حق، والخلق خلق" الفتوحات المكية ج371/2 ويقول أيضا:

فلا يجتمع الخلق والحق أبدا فى وجه من الوجوه، **فالعبد عبد لنفسه والرب رب** لنفسه، فالعبودية لا تصح إلا لمن يعرفها فيعلم أنه ليس فيها من الربوبية شئ، والربوبية لاتصح إلا لمن يعرفها فيعرف أنه ليس فيها من العبوديه شئ، الفتوحات ج 378/3.....

قلت:ولنا التفاصيل فى الفصول القادمة.

الشيخ ابن عربى وسقوط التكليف

قول الوهابية أن الشيخ الأكبر يقول بسقوط التكليف **كذب** صريح فقد قال العلامة الشعرانى رحمه الله تعالى وقد ذكر الشيخ محي الدين أنه لا يجوز لولي قط المبادرة إلى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه، كما لا يجوز لمن كشف له أن يمرض فى اليوم الفلاني من رمضان، أن يبادر للفطر فى ذلك اليوم، بل يجب عليه الصبر حتى يلتبس بالمرض، لأن الله تعالى ما شرع الفطر إلا مع التلبس بالمرض أو غيره من الأعذار، قال: وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من أهل الله عز وجل مجلة العشيرة المحمدية عدد محرم 1381 ص 21 " اهـ.

الدس فى كتب الصوفية

[جاء] فى" حقائق عن التصوف" للشيخ عبد القادر عيسى(تحت عنوان) الباب الخامس: تصحيح الأفكار عن التصوف، الدس على العلوم الإسلامية ص 508-513هـ

ما نصه: فاعلم حياك الله أن للقوم مصطلاحات لا يعرفها إلا أهلها وهناك من المدسوسات الكثير من الحساد وهو ما سنوضحه كما أن هذه الأقوال متداوله وقد نص الأئمة على ذلك إلى هنا تنتهي الرساله الطويلة للدكتور محمود المصري شكر الله سعيه، وهي من أنفس الدفاع عن جانب الشيخ قدس الله سره.

نسبة القول بإيمان فرعون للشيخ الأكبر

قدمنا آنفا أن الأعداء والحساد قبحهم الله تعالى قاموا بالدس والتحريف فى كتب السادة الصوفية عموما، ولكتب للشيخ ابن عربي حظ وافر من هذا التزوير والتشويه على ممر السنين.

ومن جملة ذلك هذه الدعوى الشنيعة عليه وهى أنه قال بصحة إيمان فرعون العالى الملعون وحاشاه وحاشاه. قال: العارف الربانى عبد الوهاب الشعراني فى اليواقيت والجواهر (13/1): ومن دعوى المنكر أن الشيخ يقول بقبول إيمان فرعون **وذلك كذب وافتراء على الشيخ فقد صرح الشيخ** فى الباب الثانى والستين من الفتوحات **بأن فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد**

الأبدين والفتوحات من أواخر مؤلفاته فإنه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين. قال شيخ الإسلام الخالدي رحمه الله والشيخ محي الدين بتقدير صدور ذلك منه لم **ينفرد به بل ذهب جمع كثير من السلف إلى قبول إيمانه** لما حكى الله عنه أنه قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين وكان ذلك آخر عهده بالدنيا وقال **أبو بكر الباقلانى** قبول إيمانه هو **الأقوى** من حيث الإستدلال ولم يرد لنا نص صريح أنه مات على كفره انتهى. ودليل جمهور السلف والخلف على كفره أنه آمن عند اليأس وإيمان أهل اليأس لا يقبل والله أعلم اهـ.

ليس كذلك يا ابن تيمية

أثبت الشعرانى رحمه الله كذب وبطلان نسبة القول بإيمان فرعون للشيخ ابن عربي بطريق جيّد ودليل واضح بإثبات أن الشيخ لم يقل ذلك فى كتاب من كتبه بما فيها الفتوحات المكية التى هى من أواخر كتبه،بل الموجود فيها خلوده والكفار جميعا فى النار أعاذنا الله من ذلك.

أما ابن تيمية فقال فى مجموع الفتاوى (279/2:): " وزعمت طائفة من هؤلاء الإتّحاديةالذين ألحدوا فى أسماء الله وآياته – أن فرعون كان مؤمنا وأنه لا يدخل النار وزعموا أنه ليس فى القرآن ما يدل على عذابه بل فيه ما ينفيه كقوله : { أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، قالو: فإنما أدخل آله دونه.

وقوله: { يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار } قالو إنما أوردهم ولم يدخلها قالوا ولأنه قد آمن أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ووضع جبريل

الطين فى فمه لا يرد إيمان قلبه، وهذا القول كفر معلوم فساده باضطرار من دين الإسلام **لم يسبق ابن عربي إليه – فيما أعلم –أحد من أهل القبلة**؛ بل ولا من اليهود والنصارى؟ بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون اهـ كلام ابن تيمية.

قلت: تقدم قول الشعرانى فيما نسب للشيخ كذبا وزورا بأوضح الأدلة وسيأتى مزيد التحقيق بما يفنّد تهويل ابن تيمية.أما دعوى أنه لم يسبق ابن عربي إلى ذلك فأين الدليل عليها؟ فقد سمعنا قول الشيخ الخالدي أن جمعا كثيراً من السلف قالوا به منهم الباقلاّني –المتوفى سنة 403 هجريا– وقل لى كم كان بينه وبين الشيخ ابن عربي (ت648هـ) من السنين؟؟؟

التوجيه الثانى للقول بإيمان فرعون

قال الشيخ أحمد فريد المزيدى فى التعليق على " فتح الرحمن الرحيم بمقالة القطب الجيلى عبد الكريم والختم ابن عربي محي الدين" ص 361:" قال الشيخ العطار: ليعلم أنه شاع فيما بين أهل العلم بأن حضرة سيدى محي الدين ﷺ قال بإيمان فرعون ونجاته.والحال إنه ليس كذلك كما ستطلّع عليه من النقل عنه ﷺ، نعم بحث فى صحة القول بإيمان فرعون ونجاته، وعدمها من حيث الأخذ من الآيات القرآنية ،فكان ذلك منه مجرد (بحيث) بحث فى

الدليل لا غير، وما كان هذا قولا بإيمانه قطعيًا، وبناءً على هذه الإشاعة تصدّى ملا علي القارى للرد عليه هذا الهمام فى ذلك بما لا مزيد عليه كعادته السابقه، ثم إنه تصدّى لرد هذه الرسالة وإبطالها العلامة الجلال الدواني – رحمه الله – بأدلة فى غاية الدقة، خيث إني ادعيت ما ذكرته قبل، فلا بدّ من البيان، لاجل تتميم الفائدة.

فأقول ومن الله أستمد: كمان حضرة الشيخ الأكبر ﷺ بنى مسألة نجاة فرعون وإيمانه على أصلين من أصوله، وقد وافقه عليهما جمع غفير من العلماء الأعلام:الأصل الأول: فى بيان حقيقة إيمان اليأس، ليعلم أن إيمان اليأس عند هذا العارف، وجمع غفير من العلماء هو ما كان عند مشاهدة العذاب البرزخى، كحال المتحضر لا غير، ففى هذه الحالة لا ينفع الإيمان ،وهذا باتفاق من جميع أهل العلم.

وذهب قوم إلى أن إيمان اليأس ما كان عند رؤية العذاب دنيويا أو أخرويا، فالإيمان فى أى حالة من الحالين لا ينفع وعند حضرة هذا العارف وجماعة: أن رؤية العذاب الدنيوى لا تمنع صحة الإيمان، وإن أوجبت الهلاك فى الدنيا، فإن سنة الله قاضية بأن ينحتم وقوع الهلاك الدنيوى لمن رأى هذا العذاب، وإن آمن ونجا من عذاب الآخرة إلا قوم يونس، فإنه تعالى نجّاهم منه كما ذكر تعالى لنا، انتهى.

الأصل الثاني من أصوله ﷺ: هو إن من حقت عليه الكلمة، لا يتلفظ بمادة الإيمان بقصد الإيمان، وإن تلفظ بها لا يقصده، فلا بدّ من تكذيب الله تعالى

له، ولو بالحكاية عنه، كما قال تعالى { وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم (البقرة:14)، وكما قال تعالى{ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا} [الحجرات:14] فكذبهم تعالى فى دعواهم، وهذا الأصل مأخوذ من قوله تعالى { إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتى يرووا العذاب الأليم، يونس:96،97] وكلمة" حتى للغايه فنفى تعالى إيمانهم إلى حين رؤية العذاب الأليم، ونفى تعالى عنهم وقوع الإيمان قبل ذلك، فوقوعه منهم قبله قصدًا محال بنصّ هذه الآية ،وهذا وقع بعينه لأبي جهل – قبّحه الله – كما صحّ فى حديث نقله المولى الجامي، انتهى.

التوجيه الثالث للقول بإيمان فرعون

جأء فى " السيوف الحداد فى أعناق أهل الزندقة والإلحاد " ص 243 – 244 ما نصه: قال الله تعالى { قاتلوا الذين يلونكم من الكفار} [التوبة: 123].

قال سيدى محي الدين قدس الله سرّه بعد ما ذكر الآية: (وأقرب عدو لك وأعداه عليلك نفسك التى بين جنبيك فيها شغل شاغل للعقل).

وقد يعبرون عنها **بفرعون**، ووجه الشبه بينه وبينها ادعاء الربوبية ومنازعة الصفات الحقيقيّه، فكفر وكفرت.

وقد أنشد سيدى محي الدين قدس الله سره المتين:

قلبي قطبي وقالبي لبناني سرّي خطريا وعينه عرفاني

هارون عقلي وكليمي روحي فرعون نفسي والهوى هاماني

وهي يصح منها الإيمان بعد ذلك الكفران بغير نكران، ولولا أنه يمكن ويقبل ما أمرنا بالمجاهدة فيها.

ومن هنا قال الشيخ ﷺ: **بإيمان فرعون**: أى: **الفرعون الباطنى**.

"أخبرنى بعض الأصدقاء: إنه سمع شيخنا الملا عبد الرحيم الكابلي المقسم ذي الوجه الوسيم نفع الله به النفع العميم يقول: وقد جرى ذكر قول الشيخ بإيمان فرعون الباطن وهو النفس فربما يكون أراد الشيخ بإيمانه إيمانها وأيضا فإن الرحمة التي وسعتها حتى قبل إيمانها لا ما نع أن تسعه، فإن الفضل واسع أو ما معناه".

والله تعالى قبل منها الإيمان بعد طول العناد والكفران، ومحط [الـ]كلام الشيخ فى "الفصوص" على قوله وأمره إلى الله تعالى: أى إن شاء قبل إيمانه وإن شاء لم يقبل والإعراض عن هذه المسألة لا يضر بالإيمان والإعتقاد، والخوض فيها ربما أدّى إلا الإنتقاد والله يهدينا وأحبابنا إلى سبيل الرشاد، فكل من لم يجاهد لم يشاهد اهـ.

الجمع بين الأقوال الثلاثة

التوجيه الثالث لطيف كالثاني وإن كان أوهى. والتفويض المذكور فيه هو الذى فى نسختي من الفصوص طبعة مكتبة الثقافة الدينية، حيث صرّح الشيخ بأن " الأمر فيه إلى الله".

والثانى أقوى من الثالث وأقرب للتفويض، إذ فيه ذكر الخلاف فى قبول الإيمان وعدمه **حالة البأس**.

والأول وهو قول الشعرانى أقواها فهو الموافق لإجماع الأمة.وقد يكون الأمر – على الثانى–أنه ﷺ كان يفوض فى شأن فرعون أولا –بناء على ما ذكر فى إيمان اليأس – ثم حصل له اليقين بعد ذلك فرجع إليه كما تشهد بذلك الفتوحات.

فرية تفضيل الولاية على النبوة

نسبوا إلى الشيخ أيضا –كذبا وزورا– أنه كان يفضل الولاية على النبوة وبالتالى الولي على النبي وقد قال الشيخ فى الفتوحات مقلا عن كتاب "حتى لا تضيع الهوية الصوفية "(ص2.2): أعلم أن الله تعالى قد **سد باب الرسالة** على كل مخلوق بعد مُحَمَّد ﷺ إلى يوم القيامة، وأنه لا مناسبة بيننا وبينه ﷺ **لكونه فى مرتبة لا ينبغى أن تكون لنا** " اهـ،

فقد تم – برسالة الدكتور السابقة وبما نقلناه عن غيرها– بطالان اتهام الشيخ ابن عربى بعقيدة الحلول والإتحاد وبتحليل الحرام وسقوط التكليف والقول بقدم

العالم–الثابت عن ابن تيمية– وغير ذلك من فاسد المعتقدات وبراءة ساحته ﷺ من جميع ذلك.

الإتحاد والحلول ووحدة الوجود

سبق قول البلقيني فى نقل السبكي عنه عن الشيخ الأكبر "ولقد كذب والله وافترى من نسبه، اي ابن عربى – إلى القول بالحلول والإتحاد".

توضيح: للإتحاد معنى صحيح يعبر عنه الصوفية كما سيأتي، أما الحلول فحض الضلال. ولم يقل بالحلول والإتحاد بالمعنى الفاسد أحد إلا الجهلة وأتباع الفرق الزائغة. قال الحافظ السيوطى فى "تنزيه الإعتقاد عن الحلول والإتحاد" ضمن" الحاوى (2/109-160) نقلا عن القاضي عياض ما نصه: أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول البارى سبحانه فى أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة، والباطنية، والنصارى،والقرامطة وقال فى موضع آخر:ما عرف الله من شبهه وجسمه من اليهود أو أجاز عليه الحلول والإنتقال والإمتزاج من النصارى، ونقله عنه النووي فى شرح مسلم اهـ.

قلت: لاحظ قوله "بعض المتصوفة" الدال على شرذمة شاذة!

ونقل السيوطى عن الغزالي (ص 157-158) فى أحوال السماع قوله: وإنما الكمال أن يفنى بالكليه عن نفسه وأحواله أعني أنه ينساها فلا يبقى له إلتفات إليها، كما لم يكن للنسوة إلتفات إلى الأيدى والسكاكين فيسمع بالله ولله وفى الله ومن الله. وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال

واتحد لصفات التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص فلم يبق فيه منه شيء وفني إلتفاته إلى صفات البشرية رأسا إلى أن قال: ومن هنا نشاء خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال أنا الحق، وحوله يدندن كلام النصارى فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض هذا كله لفظ الغزالي..... إلى قوله:وكذا العالم صنع الله تعلى فمن نظر إليه من حيث أنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث أنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا فى الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا لله، وكان الموحد الحق الذى لا يرى إلا الله، بل من حيث أنه عبد الله،.... فهذه أمور معلومة عند ذوى الأبصار أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحهاوبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام، أو لاشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم، ثم قال: و قد تحزب الناس إلى قاصرين، مالوا إلى التشبيه الظاهر، وإلى غالين مسرفين تجاوزوا إلى الإتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم: أنا الحق، وضل النصارى فى عيسى عليه السلام فقالو: هو الإله، وقال آخرون: اتحد به:وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الإتحاد والحلول واتضح لهم وجه الصواب فهم الأقلون، انتهى كلام الغزالى وبدأنا بالنقل عنه لأنه فقيه أصولي متكلم صوفي وهو أجل من اعتمد عليه فى هذا المقام لاجتماع هذه الفنون فيه اهـ بحروف السيوطى.

الإتحاد الذى تعنيه الصوفية

أما الإتحاد فى عبارة المحققين فمعناه صحيح موافق للشريعة، قال العارف الربانى لله سهل بن عبد الله التستري:واعلم أنه وقع فى عبارة بعض المحققين لفظ الإتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد فإن الإتحاد عندهم هو المبالغة فى التوحيد والتوحيد معرفة الواحد والأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشاراتهم فحملوه على غير محمله والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الإ تحاد بين مربوبين محال، فإن رجلين مثلا لا يصير أحدهما عين الآخر لتباينهما فى ذاتيهما كما هو معلوم، **فالتباين بين العبد والرب سبحانه وتعالى أعظم،** فإن أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعا وعقلا وعرفا بإجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ الصوفية وسائر علماء المسلمين، وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى،....

وأما من حفظه الله تعالى بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحادا ولا حلولا، وإن وقع منهم لفظ فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه، قال: ويذكر الإتحاد بمعنى فناء المخالفات وبقاء الموافقات، وفناء حظوظ النفس من الدنيا وبقاء الرغبة فى الآخرة ،وفناء الأوصاف الذميمة وبقاء الأوصاف الحميدة، وفناء الشك وبقاء اليقين، وفناء الغفلة وبقاء الذكر ولا يظن بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدات وحفظ حدود الشرع(من) الغلط بالحلول والإتحاد كما غلط النصارى فى ظنهم ذلك فى حق عيسى عليه السلام وإنما حدث ذلك فى الإسلام من واقعات جهلة المتصوفة، وأما العلماء العارفون المحققون فحاشاهم من ذلك هذا كله كلام معيار المريدين

بلفظه والحاصل أن لفظ الإتحاد مشترك، فيطلق على المعنى المذموم الذى هو أخو الحلول وهو كفر، ويطلق على مقام الفناء اصطلاحا اصطلح عليه الصوفية ولا مشاحة فى الإصطلاح إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ فى معنى صحيح لا محذور فيه شرعا، ولكان ذلك ممنوعا لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الإتحاد وأنت تقول بيني وبين صاحبي زيد اتحاد، وكم استعمل المحدثون، والفقهاء، والنحاة، وغيرهم لفظ الإتحاد فى معان حديثية، وفقهية، ونحوية، كقول المحدثين، اتحاد مخرج الحديث.وقول الفقهاء: اتحد نوع الماشية وقول النحاة: اتحد العامل لفظا أو معنا، وحيث وقع لفظ الإتحاد من محققي الصوفية فإنما يريدون به معنى الفناء الذى هو محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه لا ذلك المعنى المذموم الذى يقشعر له الجلد انتهى المراد من كلام السيوطى أيظا ما بين ص 161 و 162 من نفس المصدر.

توضيح "وحدة الوجود" وتحقيقها

تمهيد: "وحدة الوجود" ليست وحدة "الموجود"

قال الأستاذ أحمد القطعانى فى كتابه "الحجة المؤتاه فى الرد على صاحب إلى التصوف يا عباد الله "(ص 262- 263) ما ملخصه:

لا أظن أنه يوجد فى اللغة العربية عبارة فهمت على غير معناها أكثر من عبارة وحدة الوجود.

الأمر ببساطة واختصار شديدين، أنه حيث لم يلتفت الناس إلى هيمنة الله تعالى وقيوميته السارية فى كل موجود، وإحاطته تعالى بكل شىء، وأنه لا يحدث أمر صغير أو كبير جليل أم حقير إلا بعلمه وقدرته وإرادته وتوفيقه، أعطى ذوو اليقظة والإنتباه هذه الأمور ما تستحق من فهم وإدراك وقرأوا كتاب الله فوجدوا فيه (له ملك السموات والأرض يحي ويميت وهو على عل شىء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم (الحديد:3،2) وجالوا ببصيرتهم فى معانى قوله تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى.وأنه هو أمات وأحيا. وأنه خلق الزوحين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى.وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى،(النجبم:48،43) وتمعنوا بثقاب فهم الشفاعة فى قوله تعالى:(وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا، الفرقان: 54) وتدبروا بأنوار مشاهداتهم فى قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون، القصص: 68). ولم يروا غير الله تعالى مصرفا الأمور مدبرا لها، وأنه الفاعل لما أراد، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، فامتلأت قلوبهم وقوالبهم بالله تعالى فصار سمعهم الذي يسمعون به وأبصارهم التى يبصرون بها، وأيديهم التى يبطشون بها، ورأو كل شىء يبدأ منه وينتهى إليه (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (الأنفال: 17)

فإن أطاعه الطائع فبإرادته وإن وافق أمره، وإن عصاه العاصي فبإرادته وإن عصى أمره، فقالوا بوحدة الوجود وما قالوا بوحدة الموجود من سماء وأرض وإنسان وحيوان واللون والطعم والكثافة واللطافة والجماد والنور والظلمة والطاعة والمعصية والرائحة والمروح، فهذا لا يقول به مؤمن فضلا عن أهل مقام الإحسان.

ومن الذى لايعتقد **وحدة الوجود**؟ نعم قد يكون هذا غريبا على أسماع المتشبثين بالمادة الغارقين فيها حتى آذانهم، فرأو الأثر دون المؤثر والمفعول به دون الفاعل، وأماعند أهل اليقظة العامرة قلبهم بالحق، الفانية به حتى عن الفناء، فالرؤية تتعدى الفعل لترى الفاعل (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، (الأنفال:17)، وكل ميسر لما خلق له، فمن وقف عند الصور معذور وإن اتهم بالقصور، ومن رأى الصور مجبور لغلبة الظهور (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم (يونس:107). اهـ.

توضيح ثان لمسألة "وحدة الوجود"

قال صاحب "عين الحياة فى معرفة الذات والأفعال والصفات "(ص 126 – 127) عند الكلام عن الفناء فى التوحيد ما نصه ":وقد أشار الإمام حجة الإسلام ﷺ فى الإحياء إلى هذا المقام، فقال فى "كتاب التوكل فى الإحياء" بعد ما بين بعض مراتب التوحيد: المرتبة الرابعة أنه لا يرى فى الوجود إلا واحدا وهو مشاهدة الصديقين، وتسميه الصوفية الفناء فى التوحيد، لأنه من حيث لا

يرى واحدا فلا يرى نفسه أيضا فإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد، كان فانيا عن نفسه فى توحيده؛ بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه، فهو موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحدا،فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد.

وأمثال هذا الكلام فى كتب الامام لا تحصى قال فى رسالته التى تسمى "بمشارق الأنوار" وهى التى تكلم فيها على قول الله تعالى: (الله نور السموات والأرض، النور: 35)، ومن هنا ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى يفاع الحقيقة واستكملوا معارجهم، فرأوا بالمشاهدة العيانية ليس فى الوجود إلا الله سبحانه وتعالى.وقال فيها أيضا إشارة: العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا فى الوجود إلا الواحد الحق، لكن منهم من كان له هذه الحالة عرفا علميا، ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقيا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، الخ.

وفى ص 132 منه نقل عن الشيخ الأكبر بعد كلام فى "الوجود" فإن الممكنات فى أعيانها الثابتة مشهودة للحق، وأن الحق مشهود للأعيان الممكنات بعينها وبصرها الثابت لا الموجود، فهو يشهدها ثبوتا وهى يشهده (تشهده) وجودا، وعلى القول الآخر الذى يرى وجود أعيان الممكنات وآثار الأسماء الإلهية فيها، وإمداد الحق لها بتلك الآثار لبقائها فتفنى تلك الآثار والأعيان القابلة لها عن صاحب هذا الشهود حالا، والأمر فى نفسه موجود

على ما هو عليه لم يفن فى نفسه كما فنى فى حق هذا القائل به، فلا يبقى له شهود إلا الله اهـ.

وفى "السيوف الحداد **" ص ٣٠٠ ما نصه:**

"وأما قول أهل الحق القائلين بوحدة الوجود على الوجه الأحق، فإذا قالوا: ما فى الوجود إلا الله مثلا فمرادهم من حيث القيومية فإن به تعالى قيام كل شئ وهو القائم على كل نفس بما كسبت ومن حيث تجلّيه وإمداده وتوليه، لا أن هذه الصور الحادثة الفانية المحدودة وجوده، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

وتختلف أذواق أهل هذه المشاهدة, فمنهم من يكون ذوقه صديقيا, فيقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله.

فأولا رأى قيومية الحق وتجليه على الشئ, ثم رأى الشئ ولم ينفه ولو نفاه, لكان سكرا, فكان مشهده كاملا حيث جمع بين شهود الحق والخلق فى آن, لكنه غلب عليه شهود الحق, فرأى (الحق) أولا ثم رأى الخلق.

ومنهم من يكون مشهده فاروقيا, فيقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه: أي متجلّيا بقيوميته عليه, وهذا المشهد دون الأول من حيث الذوق.

ومنهم من يكون مشهده مشهدا عثمانيا, فيقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه.

ومنهم: من يكون مشهده مشهدا علويا, فيقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله بعده وثم فوق هذه الأذواق أذواق كثيرة لا حد لها ولا نهاية، قد ذاقها الأصحاب والأحباب, ساروا على منهج الكتاب والسنة اهـ.

كلام نفيس من ابن القبم

قال العلامة بعد كلام فى مدارج السالكين (٣/٢١٢ - ٢١٤): ومن هنا دخل الملاحدة القائلون بوحدة الوجود وجعلوا شهود نفس الوجود المجرد عن التقييدات وعن سائر الأسماء والصفات هو شهود الحقيقة تعالى الله عن كفرهم وإلحادهم علوا كبيرا,وشيخ الاسلام براء من هؤلاء ومن شهودهم.

ومراد أهل الإستقامة بذلك أن يشهد الذات الجامعة لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى فيغيبه شهوده لهذه الذات المقدسة عن شهود صفة واسم فالشواهد هى الأفعال الدالة على الصفات المستلزمة للذات وشواهد المعرفة هى الأدلة التى حصت عنها المحرفة فإذا طواها الشاهد من وجوده وشهد أنه ما عرف الله إلا به ولا دل عليه إلا هو غابت عنه شواهده فى مشهوده كما تغيب معارفه فى معروفه وبكل حال فما عرف الله إلا بالله ولادل على الله إلا الله ولا أوصل إلى الله إلا الله فهو الدال على نفسه بما نصبه من الأدلة

وهو الذاكر لنفسه على لسان عبده كما قال على لسان نبيه سمع الله لمن حمده...

وللملحد ها هنا مجال حيث يظن أن الذاكر والمذكور والذكر والعارف والمعروف والمعرفة والمحب والمحبوب والمحبة من عين واحدة لا بل ذلك هو العين الواحدة وأن الذي عرف الله وأحبه هو الله نفسه وإن تعددت مظاهره فالظاهر فيها واحد ظهر بوجوده العيني فيها فوجودها عين وجوده ووجوده فاض عليها وهذا أكفر من كل كفر وأعظم من كل إلحاد.

والموحدون يقولون إنما فاض عليها إيجاده لا وجوده فظهر فيها فعله بل أثر فعله لا ذاته ولا صفاته فقامت به فقرا إليه واحتياجا لا وجودا وذاتا وأقامها بمشيئته وربوبيته لا بظهوره فيها انتهى المراد منه.وله كلام مثله فى (٣٧٨/٣) و(٦٥/٢-٦٦) منه أيضا.

قلت: كلام حسن لو اقتصر عليه العلامة ابن القيم.

تلبيس من ابن تيمية وابن القيم

قال فى مجموع الفتاوى (٢٢١/١٨-٢٢٢): ثم إن منهم- المتكلمون عن حديث "كان الله ولم يكن شئ قبله" أو" معه" – من يتأولها على أنه ليس معه الآن موجود بل وجوده عين وجود المخلوقات كما يقوله أهل وحدة الوجود الذين يقولون: عين وجود الخالق هو عين وجود المخلوق. كما يقوله ابن عربي؛و ابن سبعين؛ والقونوي؛ والتلمساني؛ وابن الفارض؛ ونحوهم؛

وهذا القول مما يعلم باضطرار شرعا وعقلا أنه باطل اهـ. هذا كلام ابن تيمية.

وأما ابن القيم فقال فى (٢٦٤/١-٢٦٥) من نفس المدارج: وتولى شرح كتابه-أى الشيخ أبي إسماعيل الهروي صاحب منازل السائرين- أشدهم فى الإتحاد طريقة وأعظمهم فيه مبالغة وعنادا لأهل الفرق: العفيف التلمساني (وأنزل) الجمع الذي يشير إليه صاحب المنازل على جمع الوجود وهو لم يرد به حيث ذكره إلا جمع الشهود اهـ.

وقال ابن تيمية فى (٢/٤٥٠-٤٥١)من الفتاوى أيضا: وهؤلاء عندهم ما ثم غير ولا سواه ولم يخلق شيئا ولا هو رب شىء ولا مالك شئ ولا له عبد ولا عابد – ولاداع يدعوه...وهذا قول الحذاق منهم كالتلمساني وابن الفارض؛ والتلمساني أعرف بحقائق قولهم، وأما ابن عربى فيقول: هذا كله فى الذوات الثابتة فى العدم لا فى شئ موجود فأما الوجود ولا يتصور أن يكون فيه رب وعبد وخالق ومخلوق وداع ومجيب وإنما الوجود لما فاض على الأعيان فظهر فيها حصل التفرق من جهة الأعيان: كتفرق النور فى الزجاج،لاختلاف ألوانه.فهؤلاء، يرد عليهم القرآن فى مواضع لا تحصى وقصص الله التى قصها عن فرعون الذى هو رئيسهم: يتضمن الرد عليهم، فإن فرعون أنكر رب العالمين وأن يكون لموسى إله يطلع إليه ولم ينكر هذا الوجود الذى هو العالم، وكذلك هؤلاء إنما يقرون بهذا الوجود الذي هو هذا العلم فما ثم غيره عند هم ويقولون: هو الله وهو الإنسان الكبير انتهى كلام ابن القيم.

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله **!**

الرد على ابن تيمية وابن القيم

اعلم أن الأئمة المذكورين برآء من هذا الكفرالذى نسبه إليهم الشيخان وأن موقفهم من وحدة الوجود هو الصحيح المستقيم الذى ذكره ابن القيم فى القول الأول كما مر.

قال العارف عبد الغني النابلسى فى "إ يضاح المقصود من معنى وحدة الوجود" (ص ٥٩-٦١):

"اعلم أن هذه المسألة، وهى مسألة وحدة الوجود، قد أكثر العلماء فيها الكلام قديما وحديثا، وردها قوم قاصرون غافلون محجوبون.وقبلها قوم أخرون عارفون محققون.

فمن ردها لعدم فهم معناها عند القائلين بها وتوهمه منها المعنى الفاسد، فلا التفات لرده، كائنا من كان، لصدّه عن الحق.

وإنما رده فى حقيقة الأمر واقع على ما فهمه من المعنى الفاسد، لا على هه المسألة. فهو الذى صور الضلال وردّه.

وأما الفائلون بها،فلأنهم العلماء العارفون، والفضلاء المحققون أهل الكشف والبصيرة، الموصوفون بحسن السيرة، وصفاء السيرة؟ كالشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي والشيخ شرف الدين ابن الفارض، والعفيف التلمساني، والشيخ عبد الحق بن سبعين والشيخ عبد الكريم الجيلي وأمثالهم، قدس الله تعالى أسرارهم، وضاعف أنوارهم فإنهم قائلون بوحدة الوجود، وأتباعهم إلى يوم القيامة، إن شاء الله تعالى، وليس قولهم لذلك مخالفا لما عليه أئمة أهل السنة والجماعة، وحاشاهم من المخالفة...

(وإنما المنكر عليهم، وعلى أمثالهم. أسخر من قصور فهمه، وقلة معرفته با صطلاحهم وعدم علمه، فإن علومهم مبنية على الكشف والعيان، وعلومهم غير مستفادة من الخواطر الفكرية والأذهان. وبداية طريقتهم التقوى والعمل الصالح، وبداية غيرهم مطالعة الكتب والإستمداد من المخلوقين فى حصول المصالح، ونهاية علومهم الوصول إلى شهود حضرة الحى القيوم. ونهاية علوم غيرهم تحصيل

الوظائف والمناصب وجمع الحطام الذى لا يدوم. فلا طريق إلا طريق السادة، الأئمة الهداة القادة. والإعتقاد بوحدة الوجود،على المعنى الصحيح الموافق المشهود.الواجب على كل مكلف أن يبحث عنه، ويتحقق به على الوجه الثاني، ويتحفظ ويترك ما عداه من أقوال علماء الكلام، لأنه القول الحق والإعتقاد الصدق.

والواجب أيضا حمايته من طعن الطاعنين وذم الجاهلين له، المتكلمين فيه من غير معرفة به، الضالين المضلّين).

واعلم:

أنه ليس المراد بوحدة الوجود خلاف ما عليه أئمة الإسلام، بل المراد بذلك ما اتفق عليه جميع الخاص والعام وما هو معلوم من الدين بالضرورة، من غير إنكار أصلا من المؤمنين.

ولاتيصور فيه إنكار عند العقلاء من الأنام. إن جميع العوالم كلها على اختلاف أجناسها، وأنواعها، وأشخاصها، موجودة من العدم بوجود

الله تعالى، لا بنفسها، محفوظ عليها، الوجود في كل لمحة، بوجود الله تعالى لا بنفسها.

وإذا كانت كذلك فوجودها، الذي هي موجودة به في كل لمحة هو وجود الله تعالى،لا وجود آخر غير وجود الله تعالى. فالعوالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الأصلي.وأما من جهة وجود الله تعالى فهي موجودة بوجوده تعالى، فوجود الله تعالى ووجودها الذى هي موجودة به وجود واحد. وهو وجود الله تعالى فقط، وهي لا وجود لها من جهة نفسها أصلا.

وليس المراد بوجودها، الذى هو وجود الله تعالى عين ذاواتها وما ذلك إلا وجود الله تعالى،باجماع العقلاء، وأما ذواتها وصورها من حيث هي في نفسها، مع قطع النظر عن إيجاد الله تعالى لها بوجوده سجانه، فلا وجود لأعينها أصلا.

وأما القائلون من علماء الرسوم، وعلماء الكلام بأن الوجود اثنان وجود قديم، ووجود حادث. فمرادهم بالوجود الحادث نفس أعيان الذوات والصور فقط.

ولهذا كان مذهب الأشعري (رحمه الله) بأن وجود كل شئ عين ذات ذلك الشئ لا زائد عليه كما تقرر فى موضعه.

وأما الوجود الذى به تلك الذوات والصور موجودة فلا شك بأنه وجود الله تعالى عند جميع العقلاء بلا خلاف وكلام المحققين من أهل الله تعالى عن هذا الوجود،لا عين الوجود الذى [هو]عين ذات الموجود.

فالخلاف فى رد القول فى وحدة الوجود، وقوله مبني على تعيين المعنى المراد بالوجود:

فمن قسمه يعين ذات الوجود، يرد القول بوحدة الوجود لإثباته وجودا هو عين ذات الوجود الحادث، ومع ذلك رده للقول بوحدة الوجود محض خطأ. لأن هذا الوجود الحادث الذى يزعم أنه وجود ثان عين وجود الله تعالى عنده أيضا.

ومن فسر بما صار به الموجود الحادث موجودا، فإنه يقبل القول بوحدة الوجود، ويعتقده حقا، وهو الصواب، الذي يرجع إليه الأقوال جميعها.

لأن وجود الله تعالى هو الذى به كل موجود، باجماع العقلاء. فالخلاف فى ذلك لفظي، راجع إلى تفسير المراد من لفظ الوجود، وكلام المحققين من أهل الله تعالى فى مسألة الوجود من أعلى عليين، وكلام غيرهم فيها من أسفل السافلين اه المراد بحروف الشيخ النابلسي رحمه الله تعالى -وما أنفسه!

حول الرؤيا

الرؤيا من حيث النظر إلى صاحبها ومضمونها أمر ذو أهمية كبيرة عند ذوي البصيرة المتفطنين لحكمة الله تعالى فيما يجريه على عباده، فتأتى الرؤية لتوضيح المشكل من أمور الرائي أو ترشده إلى مخرج من ضيق كان فيه، وقد تنطلق منها سعادة المرء بفضل الله المنان وغير ذلك من الفوائد.

أما من طمس الله على قلوبهم وحرمهم من نور المعرفة والفهم المستقيم فالرؤية عندهم مقتصرة على ما رآه الرائى فى نومه فحسب.

وقد خلط بعض الناس بين موضوعين متباينين: هما: "العمل بالرؤيا" و"ثبوت الأحكام الشرعية بها" فشنوا الغارة على المهتمّين بالرؤيا من أهل الله ومن يعطونها منزلة هامّة.وفى هذا الفصل محاولة التوضيح لذلك إن شاء الله.

أهمية الرؤيا فى السنة النبوية

(١) روى الإمام أبو عبد الله البخارى فى صحيحه (٦٦١٤-٦٤٩٩) عن أبى هريرة ومسلم بلفظ متقارب (٢٢٦٣) قال قال رسول الله ﷺ: إذا قرب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزاء من النبوة وما كان النبوة فإنه لا يكذب اهـ.

(٢) روى البخارى (٦/٢٥٦٤، ٦٥٨٩) عن أبي هريرة قوله صلى الله عليه وسلم: لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة.

(٣) روى البخارى (٦٥٨٣) ومسلم (٢٢٦١) عن أبي قتادة رفعه: الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان" اهـ.

قلت: وروية النبى الله عليه وسلم خاصة منقبة عالية وفضلية غالية لصاجها جعلنا الله من أهل رؤيته عليه الصلاة والسلام.

قال العلامة المجتهد محمود صبيح فى كتابه "حتى لا تحرم من رؤية النبى ﷺ فى المنام" (١/٢٠٤-٢٠٥) ... تكلم الفقهاء كثيرا على مشروعية العمل بالرؤيا،معظم كلامهم على موضوع محدد وهو "هل يثبت أمر شرعى – لم يكن موجودا أو مشرعا من قبل – برؤيا بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى؟ مع ضعف الإيمال وغربة الدين وقول النبى ﷺ "إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون،وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن" (رواه البخارى: ٢٥٠٨، ومسلم: ٢٥٣٥) خاف العلماء على دين الله من غلو الغالين، ومن خطورة المنحرفين بعد ما ثبت أن كل طائفة من الطوائف كانت تضع أحاديث موضوعة وتنسبها إلى النبى ﷺ تقوية لأمر وشأن هذه الطوائف.

فالكذب على رسول الله قد حدث، والأحاديث الموصوعة الباطلة خير شاهد على ذلك، وقد حذر النبي ﷺ من الكذب عليه.

قرر الفقهاء "أن الأحكام الشرعيه لا تثبت بالمنامات"، وهذا هو قول جمهور العلماء، منعا لحدوت فوضى – كأن يقول إنسان لقاض: أكلت مال اليتيم بسبب رؤية رأيتها، ويأتى آخر ويقول: رأيت رؤيا أن يؤذن المسلمون كذا مرة عند صلاة الفجر وكذا مرة عند صلاة الظهر،أو يؤذنوا بكيفية معينة، وهنا نقول له أن الأحكام الشرعية قد ثبتت، وأن رؤياك لا بد لها من تأويل.

وكذلك منعا للكذب على النبى ﷺ، وخوفا من أن يؤصل بعض الناس الرؤيا كنوع من أنواع التشريع وقد قال الله عز وجل: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) (المائدة:٣)

– بالرغم من الأحاديث التى ذكرناها من قبل فى أهمية الرؤيا-.

بعض الناس فهم المقالة السابقة – الأحكام الشرعية لا تثبت بالمنامات – ونقلها بمعنى آخر وهو عدم العمل بالمنام، وشتان بين ثبوت أمر شرعي وبين العمل بالمنام.

فالأمر الشرعى يستدل عليه بالكتاب والسنة والإجماع والقياس، وغير ذلك من مصادر التشريع التى ينبنى عليها ثبوت الأحكام.

العلماء الأفاضل كلامهم واضح فى أن الرؤيا فى حد ذاتها لا تثبت حكما شرعيا لم يكن موجودا أو معروفا من قبل إلا للأنبياء، إذ أن رؤيا الأنبياء وحى، ويذ كرون الرؤى، استئناسا للحكم الشرعى لا أنها حكم شرعى. أما العمل بالمنام فهو أحد مقاصد أن يرى العبد الرؤيا، وإلا لم يكن لذلك معنى إلا قصر فوائد الرؤيا فى مجرد الإخبار، وقد عمل بالرؤيا الصحابة والتابعون والسلف الصالح، ولم ينقل إلينا فى كتب أهل السنة والجماعة حتى سنة ألف من الهجرة (١٠٠٠ هجريا) أن أحدا من الأكابر من العلماء أو الصالحين أو الأو لياء حكى منامه ولم يعمل بمنامه،وهذا حتى عامنا هذا (١٤٢٦هـ) ومن وجد ذلك فليبعثه لنا مشكورا،ولن يجد ذلك بإذن الله اهـ.

ممن عمل بالرؤيا المنامية

سيدنا أبوبكر الصديق رضى الله عنه

فى كل من المعجم الكبير للطبرانى (٢/٧٠،و ٧٧) والمستدرك للحاكم (٣/٢٦٠-٢٦١،و ٤١١) والآحاد والمثانى (٣/٤٦١-٤٦٢،و ٤١١) أن سيدنا أبوبكر أجاز وصية لثابت بن قيس بن شماس وذلك بعد رؤية رآه فيها رجل من الصحابة وجاء بخبر ما أوصاه فيها، وفى آخر القصة قول الراوى: فلا نعلم أحدا أجازت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس بن شماس.

قال الهيثمى فى المجمع (٩ /321-٣٢٣،و ٢٩٣/٩) رجاله رجال الصحيح. اهـ.

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فعن مالك الدار -وكان خازنا لعمر على الطعام – قال: أصاب الناس قحط فى زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتى

النبى ﷺ الرجل فى المنام فقيل له: "ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقون،وقل له عليك الكيس عليك الكيس فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال يا رب لا آلوا إلا ما عجزت عنه. أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٣٥٦/٦، و ٣٢/١٢) و البيهقى فى الدلائل (٣٤٥/٤٤،٤٧/7)، وذكره الحافظ فى الفتح (٤٩٥/٢-٤٩٦) وصححه ابن كثير فى البداية (٩١/٧-٩٢، و ١٠٥/٧).

سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه

جاء فى المسند لأحمد بن حنبل (٧٢/١) وفى مجمع الزوائد (٢٣٢/٧، ٤٠٨/٧) أن عثمان أعتق عشرين مملوكا، ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها فى جاهلية ولا إسلام، وقال: إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة، ورأيت أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وأنهم، قالوا لى اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه اهـ

الإمام الوليد بن مسلم رحمه الله

ذكرالذهبي فى السير (١١٨/٧، و ١١٣/١٣) قول الوليد بن مسلم: ما كنت أحرص على السماع من الأوزاعي حتى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام والأوزاعى إلى جنبه فقلت: يا رسول الله عمن أحمل العلم؟ قال عن هذا وأشار إلى الأوزاعى. قلت: كان الأوزاعى كبير الشأن. ا هـ.

أبو على النيسابورى رحمه الله

قال الحاكم فى تهذيب التهذيب(261/11،260) سمعت أبا على النيسابوري يقول: كنت فى غم شديد فرأيت النبى ﷺ فى المنام كأنه يقول لى" صر إلى قبر يحي، واسغفر وسل، تقض حاجتك" فأصبحت ففعلت ذلك فقضيت حاجتى".

الإمام أبوبكر الباغندي

سأل النبى ﷺ أبو بكر الباغندى فى المنام وقال أيما أثبت فى الحديث منصور أم الأعمش؟ (قال) فقال لي: منصور راجع تاريخ بغداد (٢١١/٣) و السير للذهبى (٤٠٨/٥، و ٤٣٩/٢٧) و معجم الشيوخ (١٧٨/١) .

الإمام سفيان بن عيينة

قال الحلميى فى مسنده (١٦٢/١) قال سفيان: ورأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقلت: يا رسول الله أرأيت هذا الذى يحدث به عنك أن الملائكة تتأذى بما يتأذى منه بنو آدم فقال ﷺ "حق". راجع التمهيد (417/6- 418و ٤١٤) والإصابة (١٧٤١٨).

رؤية النبي ﷺ فى اليقظة

و هى من أكثر المسائل إثارة للغبار، ولا سيما فى ضوء الخوف من الفوضى الحديثة من تحريف المبطلين لدين الله القويم.

فبما أن قوما تعنتوا فى رد ونفي أمور الرؤيا مما هو ثابت عن الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح سدّا لباب الكذب فى الدين نقدم نبذة عن من يقول بجواز رؤية النبي صلى الله عليه و سلم يقظة على وجه الكرامة لأولياء الله الصالحين.

(١) الإمام ابن أبي جمرة – ذكره السيوطى فى الحاوى فى (٣٠٨/٢) أثبتها فى مختص صحيح البخارى.

(٢) الإمام القرطبى فى التذكرة ، ذكره فى الحاوي (٣١٧/٢)

(٣) الإمام الغزالي فى المنقذ من الضلال، ذكره فى الحاوي (٣١٠/٢)

(٤) القاضي ابن العربي فى قانون التأويل، ذكره فى الحاوى (٣١٠/٢-٣١١).

(٥) الإمام العز بن عبد السلام فى القواعد الكبرى، ذكره فى الحاوى (٣١٠/٢).

(٦) الإمام ابن الحاج المالكى فى المدخل، ذكره فى الحاوى (٣١٠/٢).

(٧) الشيخ عبد القادر الجيلانى فى طبقات الأولياء وعوارف المعارف وجمع الوسا ئل (٢٩٩/٢)، نقلا عن كتاب "حتى لا تحرم من رؤية النبى ﷺ".

(٨) الإمام البقاعى – فى معجم الشيوخ، ذكره فى الحاوى (٢٦٠/٢) نقلا عنه أيضا، ومثلهما:

(9) القاضى عياض فى الحاوى (٢٦٥/٢)

(10) الإمام السيوطى فى الحاوى والديباج شرح صحيح مسلم

(١١) الإمام ابن كثير فى البداية والنهاية (١١/٣٢٣،و ٣٧٠).

قول ابن تيمية فى الرؤيا يقظة

قال فى مجموع الفتاوى (٥/٥٢٦): وقد يرى خارجا من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه ويمشى ويخرج من قبره.وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين فى قبورهم، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب. ومن يقعد بدنه أيضا إذا قوى الأمر لكن هذا ليس لازما فى حق كل ميت كما، أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازما لكل نائم. بل هو بحسب قوة الأمر اهـ.

و فى "حتى لاتحرم" (ص ٣٩٤-٤٢٨):

قال ابن تيمية فى الجواب الصحيح (٣/٣٤٨) "وقد يرى أحدهم فى اليقظة من يقول أنا الخليل أو أنا موسى أو أنا المسيح أو أنا محمد أو أنا فلان لبعض الصحابة أو الحواريين ويراه طائرا فى الهواء، وإنما

يكون ذلك من الشياطين ولا تكون تلك الصورة مثل صورة ذلك الشخص وقد قال النبى ﷺ: "من رآنى فى المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل فى صورتى" فرؤيته فى المنام حق وأما فى اليقظة فلا يرى بالعين هو ولا أحد من الموتى مع أن كثيرا من الناس قد يرى فى اليقظة من يظنه نبيا من الأنبياء إما عند قبره وإما عند غيرقبره، وقد يرى القبر الشريف انشق وخرج منه صورة إنسان فيظن أن الميت نفسه خرج من قبره أو أن روحه تجسدت وخرجت من القبر وإنما ذلك جن تصور فى صورته ليضل ذلك الرائى "اهـ.

نقد الدكتور صبيح لابن تيمية

وكان رد الدكتور عليه ما ملخصه: نتبرأ من كلام ابن تيمية فى أن الشيطان هو الذى يرد إذا سلم أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قبره وسمع الزائر رد السلام ونتبرأ من قوله (وأما فى اليقظة فلا يرى بالعين لا هو ولا أحد من الموتى) ونتبرأ من ألفاظه

وأفكاره وما يلمع إليه. ونقول ما سبب نفى ابن تيمية لجواز رؤية النبى ﷺ يقظة؟

هل هناك نص يمنع من ذلك؟

هل هناك قول الصحابة أو الأئمة الأربعة يمنع من ذلك؟ ولماذا تجاهل حديث "من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة وهو حديث صحيح رواه البخارى (٢٥٦٧) ومسلم (١٧٧٥/٤، رقم ٢٢٦٦) وهو نص فى هذا الموضوع ، وقد أفتى بذلك مجموعة من الأئمة سيأتى ذكر أسمائهم إن شاء الله تعالى.

ثم لماذا تجا هل ما رواه الإمام أحمد وغيره فى الزهد عن كثير من الصالحين أنهم كانوا يقرأون القرآن ويصلون فى قبورهم بعد موتهم، منهم ثابت البنانى – كما ذكره المزى فى تهذيب الكمال عند ترجمته وكان من زارهم يسمعهم...

فهل الإمام أحمد دجال أو مشعوذ فى حكايته مناقب من قرأ قرآنا وهو فى قبره بعد موته، وسمع ذلك من زاره.(؟) اهـ.

قلت: والتصور بالصورة الشريفة هى التى نفى المصطفى عليه صلوات الله وسلامه قدرة الشيطان عليها فى الحديث السابق. وليس هذا بأول رد من ابن تيمية للنص الصريح بقياس من عنده فقد ذكرنا فى "الفوائد" –عن كتاب "الأخطاء" – تلاعبه بحديث المؤاخاة ورد الحافظ ابن حجر عليه فى الفتح الباري.

وقبل ذلك فى نفس المصدر (ص ٤٠٧):

قال الشيخ عبد العزيز بن باز فى حكم الإحتفال بالمولد النبوى: (بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد، ولهذا يقومون له محيين ومرحبين، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل، فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعاتهم، بل هو مقيم فى قبره إلى يوم القيامة وروحه فى أعلى عليين عند ربه فى دار الكرامة كما قال الله تعالى فى سورة المؤمنون (ثم إنكم بعد ذلك ليتون (١٥) هم إنكم يوم القيامة تبعثون المؤمنون ١٦).

قال النبى ﷺ: "أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر"، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف وما جاء فى معناهما

من الآيات والاحاديث، كلها تدل على أن النبي ﷺ وغيره من الأموات إنما يخرجون من قبوهم يوم القيامة... الخ اهـ كلام ابن باز.

قال الدكتور :

...أما قوله (لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة الخ فنقول: نعم روحه الشريفة في أعلى عليين عند ربه في الرفيق الأعلى إن كان يقصد ذلك فقط ، فهو خير؛

وإن كان يقصد أن الروح الشريفة لا تكون عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الروضه الشريفة، وقصده مخالف تماما لعلوم أهل السنة والجماعة كما وضحنا ذلك فى فصل بسيط بعنوان (حياة الأنبياء)...

ويكفيك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود وصححه مجموعة من العلماء لم يطعن أحد منهم فى دينه ولم يحبس فى فتاوى لتنقيصهم مقام النبي

ﷺ، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال "ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عزوجل إلى روحى حتى أرد عليه السلام.

أخرجه أحمد (٢/٢١٨،٥٢٧) وفى السنن الكبرى (٥/٢٤٥).

أما كلامه (لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس) فماذا يقصد به؟ ألروح أم الجسد أم أى شئ يريد به أن يحكم على النبى ﷺ؟ من أخبره بذلك؟ وهل يظن أن الأنبياء فى حادثة الإسراء والمعراج كانوا مطلقين من قبورهم، وفى السماوات السبع وصلى بهم، أما هو ﷺ فلا يخرج من قبره بعد موته؟ .....

إلى قوله:

(١) من استدل بكلام ابن العربي على نفى الرؤية فى اليقظة فهو غالط لأن كلامه فى الرؤية المنامية (و)نقول له:

(2) ابن العربي يقول بثبوت الرؤية في اليقظة – انظر الحاوى (٢٥٨/٢) وروح المعانى (٤٠/٢٢).

قال فى الفتح(384/12) قال القاضى أبو بكر ابن العربي: رؤية النبى ﷺ بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة, ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال, فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة وإدراك الصفات إدراك المثل – قال – وشذ بعض القدرية فقال الرؤيا لا حقيقة لها أصلا, وشذ بعض الصالحين وزعم أنها تقع بعينى الرأس حقيقة ،والكلام واضح فى الرؤيا المنامية.

(3) كلام صاحب المفهم أيضا فى الرؤيا فى المنام فى حالة ما لو رآه أكثر من راء فى نفس الوقت هل رأوا روحه أم جسمه وروحه الشريفة، وهذا واضح، ونقول:

القرطبى صاحب التذكرة – أي المفسر – أثبتها بقوله: ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله تعالى بكرامته.

(4) الإستدلال بقول الحافظ فى الفتح (٣٨٥/١٢)

حيث اعترض على ما نقله ابن أبي جمرة عن بعض الصوفية أنهم رأوه مناما ثم يقظة وقال – وهذا مشكل جدا، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحابة إلى يوم القيامة، ويعكر عليه أن جمعا رأوه فى المنام، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه قى اليقظة، وخبر الصادق لا يختلف اهـ **مردود** بقولنا: ابن حجر يتوسل بالنبى ﷺ، ويستحب زيارته، ويحتفل بالمولد النبوى الشريف، وقال عن ابن أبى جمرة الذى يقول برؤية النبى ﷺ يقظة: نفع الله به عشرة مرات فى فتح البارى (٢/٥٠٧، 3

/8، ٩/٣٠٨، ٤١٣/480، ٣٤٠، ١٢٠، ٤١٤، ١٠/333

، 11/٤٨٨، ١٣/365) وقال نفع الله ببركته (٢/٨٧)

وقال-أى الحافظ ابن حجر- (٤/٧):أما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح أنه ليس بصحابي وإلا لعد من اتفق أن يرى جسده المكرم وهو فى قبره المعظم ولو فى هذه الأعصار،وكذلك من كشف له عنه من الأولياء فرآه كذلك على طريق الكرامة إذ حجة من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة،وهذه الحياة ليست دنيوية وإنما هى أخروية لا تتعلق بها أحكام الدنيا...اهـ ومعنى ذلك واضح أنه يجيز الرؤيا كشفا على طريق الكرامة، و**الكشف** من **اليقظة** اهـ.

قلت: والعجيب أننى تتبعت المواضع المشار إليها فوجدت فيها ما قاله كما قاله والحمد لله.

(5) احتجوا بقول السخاوى فى الرؤية اليقظة بعد موته: لم يصل إلينا – ذلك – آي ادعاء وقوع الرؤيا يقظة – عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم،... الحافظ السخاوى يؤمن بأولية النور المحمدى، فقد قال فى كتابه القول البديع (ص ١٣٠): اللهم

صلى على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ... و أثبت سماع السلام من الحضرة النبوية الشريفة فى ص ٣٢٤، و ٣٢٠ – ٣٢١... ونقول لهم:

كلام السخاوى عن عدم ما يفيد ورود وقوع الرؤيا يقظة عن أحد من الصحابة،وهذا ليس معناه أنه نفى الرؤيا يقظة، وشتان بين المعنيين، فقد تحدث لإنسان كرامة لم تكن معروفة عند أصحاب رسول الله ﷺ، حيث أن أكبر كرامة لهم هى وجودهم مع النبى ﷺ.

(و) هل كل من رأى النبى ﷺ فى المنام من الصحابة ملزم بأن يقول رأيت النبى ﷺ؟ كذلك لورآه أحد يقظة فلا يفرض عليه أحد أن يلزمه بالإخبار. وما أدراك أنهم لم يروا؟ وقد كانوا من باب الإخلاص والصدق – يحافظون على عدم معرفة الناس بكراماتهم وما لهم عند الله إلا ما أظهره الله أمام أعين الناس.

(6) قالوا مفترين على ملا علي القارى فى جمع الوسائل شرح الشمائل للترمذى(2 /٢٣٨): إنه – أى ما دعاه المتصوفة من رؤية النبى ﷺ فى اليقظة بعد موته – لو كان له حقيقة لكان يجب العمل بما سمعوه منه ﷺ من أمر ونهى وإثبات ونفى، ومن المعلوم أنه لا يجوز ذلك إجماعا الخ...

الرد: هؤلاء القوم لا يعون ما يقولون،وقد ملأوا الدنيا تزويرا وتحريفا،فملا علي القارى نفسه يؤمن بالرؤيا يقظة،ولو أنهم قرأو مقدمة كتاب جمع الوسائل شرح الشمائل للترمذى فقد قال فى خطبة الكتاب نفسه: رزقنا الله طلوع حضرته وحضور طلعته الشريفة عند روضته المنيفة وحصول صورته الكريمة مناما وكشفا في الدنيا، ووصول رؤيته الحقيقية في العقبى، منضمة إلى رؤية المولى، على الوجه الأعلى، والطريق الأغلى الخ...

ومن الغريب استشهادهم بملا علي القاري وهو أحد الذين **بدّعوا ابن تيمية** بسبب موضوع ابتداع ابن تيمية فى مسألة التوسل بالنبى ﷺ و زيارة قبره الشريف:

قال النبهانى فى شواهد الحق (ص:١٨٥): ومنهم ملا علي القارى الحنفى، قال فى شرحه: وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبى ﷺ، كما أفرط غيره حيث قال:كون الزيارة قربة معلومة من الدين بالضرورة، وجاحده محكوم عليه بالكفر،ولعل الثانى أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه فى هذا الباب انتهت عبارته.

(7) قالوا على حديث البخارى: إنه شاذ بلفظ "فسيرانى فى اليقظة"، والعجب أنهم يحتجون به فى العقيدة بعد اتفاقهم على عدم العمل بخبر الآحاد فيها، ونقول لهم:

ما أدخل أمر الرؤية فى العقيدة؟ ومن من العلماء والحفاظ قال الحديث بهذا اللفظ شاذ، سواء من المائة الثالثة التى كان فيها البخارى ،وحتى المائة التى انقضت، قولو لنا ما عددهم؟

وما هى أسمائهم أم تفترون على الله الكذب؟ انتهى تعقيب بتصرفات يسيرة.

مسألة الغلو فى الدين

روى البخار عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تطروني كما أطرت النطرى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله). انظر الصحيح: (٣٢٦١).

تعليقا على هذا الحديث قال السيد محمد بن علوى فى "الإنسان الكامل" ص ١٤٠: فقوله (لا تطروني) أي لا تبالغوا فى مدحى بالكذب كما بالغت النصارى فى مدح سيدنا عيسى فجعلوه إلها وابن إله، فإن هؤلاء إنما عميت أبصارهم عن دلائل الحدوث وشواهده.وقوله: (إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وفى نسخة: (إنما أنا عبد الله) :معناه: إنما أنا عبد ورسول بدليل قوله "فقولوا عبدالله ورسوله) وفى هذا القول إشارة إلى قوله تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى (الكهف: ١١٠) ثم لا يلزم من كونه عبد الله ورسوله مساوات غيره له ﷺ فى العبودية لله تعالى التى هى شهود الربوبية وعدم الغفلة

عنها، لأنه ﷺ أكمل الخلق فى هذا الوصف الذي هو عين الكمال الإنساني اهـ.

قلت: الغلو منهي عنه قولا واحدا كما سيأتى. إلا أنه أنواع قد يفر المرء من نوع ويقع فى آخر كما هو حال بعض المسلمين اليوم. فهناك غلو فى العقيدة، وغلو فى العبادة، وغلو فى الفتوى، وغلو فى التعظيم وهو ما يرمي التيميون به بعض الناس غالبا،وإن وقع منهم من ذلك ما يبهر العقول كما سنذكر فى موضعه.

وفى جزء" حتى لا تحرم" ص ٤٧٥–٤٧٦ قال المؤلف معلقا على الحديث السابق: الحمد لله أنهم يستخدمون كلمة "الغلو" لأنها بفضل الله تفضحهم، فهل تعلم كم حديثا نبويا شريفا وردت فيه كلمة "الغلو"؟

عشرة، خمسة، ثلاثة !!!

<u>حديث واحد هو ما نعلمه.</u>

إذا علمت أكثر من حديث واحد فابعثه إليّ. هذا الحديث هام جدا.. وهو ما رواه النسائي وغيره عن أبي العالية قال: قال ابن عباس قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته "هات القط لى" فلقطت له حصيات هى حصى الخذف فلما فوضعتهن فى يده قال "بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين" (النسائى ٢٦٨/٥) وابن ماجه (١٠٠٨/٢), وأبو يعلى (٣١٦/٤, ٥٦/٣)والطبرانى(١٥٦/١٢, ٢٢١/١٣)،وابن خزيمة(276،274/4) وابن حبان (١٨٣/٩).

فانظر إلى الحديث، وفيما ورد، تعلم من الذى عنده **غلو.**

فالحديث ورد فى الجمرات، ورحم الله الذين استشهدوا فى رمى الجمرات هذا العام بسب الغلو والتشدد فى الفتاوى التى لا تعترف بالرمى إلا عند الزوال، فبالغلو والتشدد قتلوا مئات الحجاج سنوات عديدة، فالحديث الوحيد الذى نعرفه هو عليهم لا لهم. فتأمل. الغلو هو التشدد والتنطع كما تفعل الأخوات المنتقبات فى الحج والعمرة، وأنهن

يقـولن (يقلـن) للنبـى ﷺ: أنـت قلـت: لا تنتقـب المحرمـة ولا تلـبس القفازين" ونحن نقول: سنلبس النقاب ولنكن كاليهود :حرم الله عليم الشحوم فأذابوها وباعوها.

ولنضع رفرفا على الرأس فوقه طرحة تغطى الوجه, قل ما شئت، وسنفعل ما نشاء، فلن نكشف وجوهنا إلا لعدم كشف الوجه، ولكن للتشدد والتنطع ومخالفتك، ونشهد الكعبة على ذلك، فهى ليست ملكك أنت.

هذا هو ما ورد فيه الغلو، وهذا هو الرد على النقطة الثانية.

أما دليلهم الأول فواضح جدا. فقوله ﷺ "لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله"، لا يختلف فيه أصحاب العقول السليمة. ماذا قالت النصارى؟ قالت النصارى: المسيح هو الله. وقالوا:هو ابن الله، وقالوا بالأقانيم الثلاثة، هذا هو ما

قالته النصارى، فهل – يا موحد – أنت أو سمعت أحدا من الأمة المحمدية قال بهذا؟

قال ﷺ: "كما أطرت"، ألا يفهمون معنى **"كما"؟**

ماذا تفعلون مع قول النبى ﷺ "من أشد أمتى لى حبا ناس يكونون بعدى، يود أحدهم لو رآنى بأهله وماله (أخرجه أحمد ٤١٧/٢، مسلم ٢١٧٨/٤، وابن حبان ٢١٤/١٦، وفى الأوسط ٨٩/٧، وفى المستدرك ٩٥/٤).

و قوله ﷺ "إن أحدكم سيوشك أن يحب أن ينظر إلى نظرة بما له من أهل ومال "(رواه الطبرانى ٢٦٨/٧، ٤٢١/٦، رقم ٦٩/٥٢، وفى المجمع ٣٩/٩، ٣٣٤/٨: رجاله ثقات. ماذا تفعلون مع قوله صلى الله عليه وسلم:

"ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان :من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود

فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذق فى النار (أخرجه البخارى ١٤/١، ومسلم ٦٦/١، واللفظ له عن أنس).

...هل **غلا** النبى ﷺ و العياذ بالله -؟، إذا كان هذا معنى **الغلو**عندكم، فنحن مطالبون **بالغلو**، فهل هذا **غلو** من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ اهـ.

...أقرأ ما قاله الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١٤٩/١٢): قال ابن الجوزى لا يلزم من النهى عن الشئ وقوعه، لأنا لا نعلم أحدا ادعى فى نبينا ما اعته النصارى فى عيسى، وإنما سبب النهى فيما يظهر ما وقع فى حديث معاذ لما استأذن فى السجود له فامتنع ونهاه فكأنه خشي أن يبالغ بما هو فوق ذلك فبادر إلى النهي تأكيدا للأمر.وقال ابن التين: معنى قوله لا تطرونى لا تمدحونى كمدح النصارى حتى غلا بعضهم فى عيسى فجعله الها مع الله، وبعضهم ادعى أنه هو الله، وبعضهم هو ابن الله، ثم أردف النهى بقوله أنا عبدالله. اهـ بحروفه.

تعليقنا على كلام الدكتور

قلت: لفظ "الغلو" جاء فى موضعين من القرآن الكريم: الأول عند قوله تعالى[قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق...، النساء: ١٧١،والثانى حيث قال تعالى (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق...، المائدة: ٧٧.

قال العلامة القرطبى (٢١/٦): قوله تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم، نهى عن الغلو. و**الغلو** التجاوز فى الحد، ومنه غلا السعر يغلو غلاء، وغلا الرجل فى الأمر **غلوا**، وغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا أسرعت الشباب فجاوزت لداتها، ويعنى بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود فى عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربا، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر، ولذلك قال مطرف بن عبدالله: الحسنة بين سيئتين، وقال الشاعر:

وأوف ولا تستوف حقك كله – وصافح فلم يستوف قط كريم

ولا تغل فى شئ من الأمر واقتصد كلا طرفي قصدالأمورذميم

وقال آخر:

عليك بأوساط الأمورفإنها نجاة ولا تركب ذلولا ولاصعبا

و فى صحيح البخارى عنه عليه السلام: ددلا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى وقولوا عبدالله ورسوله" اهـ.

وقال البغوى (٣١٤/٢-٣١٣)بعد تمهيد فى سبب نزولها: وأصل **الغلو** مجاوزة الحد، وهو فى الدين **حرام**. قال الله تعالى: (لا تغلوا فى دينكم، لا تشدّدوا فى دينكم فتفتروا على الله اهـ.

و فى زاد المسير (١٥٧/٢) قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) قال مقاتل: نزلت فى نصارى نجران، السيد والعاقب، ومن معهما والجمهور على أن المراد بهذه الآية: النصارى، وقال الحسن: نزلت فى اليهود والنصارى.

و**الغلو**: الإفراط ومجاوزة الحد، منه غلا السعر، وقال الزجاج: **الغلو** مجاوزة القدر فى الظلم، وغلو النصارى فى عيسى قول بعضهم: هو

الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة. وعلى قول الحسن غلو اليهود فيه: قولهم: إنه لغير رشدة. وقال بعض العلماء: لا تغلوا في دينكم بالز يادة في التشدّد فيه اهـ.

ومثله فى (٢٥٠/٢) من نفس المصدر.

و قال البغوى فى الآية الثانية (٨٣/٣) قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، أى: لا تتجاوزوا الحد، والغلو والتقصير كل واحد منهما مموم فى الدين اهـ. وبمثله قال القرطبى رحم الله الجميع.وانظر (٢٥٢/٦) من الجامع.

وقد وقفت على لفظ الغلو فى الحديث المرفوع الذى رواه أحمد فى المسند (٤٢٨/٣ ــ ١٥٥٢٩) عن عبد الرجمن بن شبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" اقرآوا القرآن ولا **تغلوا** فيه، ولاتجفوا عنه، ولا تأكلوابه، ولا تستكثروا به اهـ.

وفى موقوف عنده أيضا (٤٠/١، ٢٨٥) عن عمر قال: ألا لا **تغلو** فى صدق النساء ألا (لا) تغلوا صدق النساء فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا وتقوى عندالله كان أولاكم بها النبي ﷺ اهـ.

نماذج للغلو فى شيخ الإسلام ابن تيمية

قبل كل شى،نعترف بصدور الغلو ألفاظ واعتقادى بعض العشاق من شعراء الصوفية ومداح الرسول ﷺ والأولياء الصالحين ونأسف على تساهل كثير من المشايخ فى الزجر والتحذير من حتى ظن أولئك أن ما يفعلونه صحيح مشروع وليس كذلك قطعا(أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون).ونرجو من الله تعالى فى المسألة كتابا مفردا.

وهنا نستعرض غلو العلماء العاشقين من أتباع وتلاميذ ابن تيمية ممن يبدّع الأمة ناقلين من كتاب ألفه الحافظ ابن عبد الهادى فى مناقبه وهو"العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية"،ليكون ردًّا كافيا عليهم من عندهم.

ابن تيمية يمدّ وينصر الإسلام والمسلمين

جاء فى الكتاب (ص ٣١٦) قول محمود بن علي الدقوقي ابن تيمية:

ياكالئ الإسلام من أعدائه وسمام كل أخى نفاق ملحد

يا واحد الدنيا الذى بعلومه يمتاز فى الإسلام كل موحد

ياحامل الأعباء عن مستنصر يا كاشف الغماء عن مستنجد

ياطارد الشبهات عن متردد يا دافع الفاقات عن مسترفد

قرت عيون مجاوريك وقدغنوا بجوار قبرك عن وثير المرقد اهـ.

قلت: فمن جاور قبر ابن تيمية من الموتى – المسلمين- أغناه وكفاه فلا يعذب ولا... ولا...!!

رؤية الله تعالى كرامة لابن تيمية

قال عبدالله الرومي الدمشقى الحريرى (فى ص ٣٦٩):

ولاحت لك الأنوار بالمشهد الذى تطوف به الأنوار فى روض جنة

وعاينت موجودا تعالت صفاته وشاهدت محبوبا بعين البصيرة

قلت: فأين الإنكار لرؤية النبى ﷺ الله سبحانه ليلة الإسراء المباركة؟ وهبأن قائلا تأول بأن المقصود ها هنا رؤية البصيرة دون البصر فنقول له: هذا الذى يعنيه من يدعى الرؤية فى الدنيا من الصوفية.وهو أيضا عندكم "نوع غلو"!

ليسرله نظير فى خلق الله تعالى

قالوا فى(ص ٣٧٦) على لسان على بن حمائل ابن غانم المقدسي:

حاز علما ما له من مساو فيه من عالم ولا من مسام

ولم يكن له فى الدنيا من نظير فى البرايا، فى الفضل والأحكام

قلت: "لم يكن له نظير فى البرايا" كذا قال – ونقله أحد الكبار من تلاميذ ابن تيمية مقرًّا بل فى كتاب مناقبه!

وأين الصحابة والتابعون وبقية السلف الصالح

ابن تيمية معصوم من الخطأ

قالوا على لسان شهاب الدين أحمد بن فضل الله (فى ص ٤٠٠-٤٠٣):

لفقد مثلك يا من ما له مثل تأسى المحاريب والآيات والسور

ياوا رثا من علوم الأنبياء أورثت قلبي نارا وقدها الفكر

يا واحدا لست أستثنى به أحدا من الأنام، ولا أبقى ولا أذر

يا علما بنقول الفقه أجمعها أعنك تحفظ زلات كما ذكروا

قلت: ما الدليل على العصمة المدعى هنا فى ابن تيمية من الكتاب والسنة وأقوال العلماء؟ وهل هذا إلا **غلو** بل من أشد الغلو وأعظمه؟؟؟

ابن تيمية يحاذي الأنبياء فى فضلهم

قالوا (ص ٣٧٤) على لسان قول محمود بن الأمير الحلبي:

قل لمن رام للفخار ويبغي رتبة قد علت لجد الحسام

هو في رتبة النبيين، فاعلم هكذا أخبر النبي التهامي

قلت: وإن كنت استعظمت هذا الفضل المنسوب لابن تيمبة وتعجبت منه، فاستعظلم وتعجب "أكثر" من عزو الكلام للنبى القائل: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ﷺ.

فى أي حديث ورد هذا الخبرعن؟ وعن طريق أي صحابي؟ وأي راو من الرواة رواه عنه، وفى أي كتاب جاء ذكره من كتب السنة المشرفة؟

وانظر إلى ابن عبد الهادى صاحب هذا الكتاب كيف نقله مع علمه ببطلانه وهو الذى ألف "الصارم المنكى"-أو" المبكى "كما يسميه العلامة النبهانى- يرد فيه على السبكى أحاديث زيارة النبى صلى الله عليه وسلم التى حكم عليها ابن تيمية والذهبى بالوضع والبطلان!!

نسأل الله السلامة من اتباع الهوى والعافية.

حميع الوجود مخلوق من ابن تيمية

ونختم هذا الباب بما هو أدهى وأمر، وهو قول سعد الله بن نجيح كما فى (ص ٣٤٦)من كتاب ابن عبد الهادى:

أنت روح الوجود في عصرك الآن وقلب الورى وعين الزمان

والبرايا إذا عتبرت جميعا منك أضحوا بمنزل الجثمان

قلت: إنا الله وإنا إليه راجعون!

فإضافة إلى كون شيخ الإسلام ابن تيمية "روح الوجود" الذى منه مدده – سواء الروحى أم المادى أم كليهما – فهو الذى منه خلق وأبرز كل الأنام !بما فيهم الملائكة والأنبياء، و...، و ...، كل شئ مما سوى الله الخالق الديان!

وأين الإنكار لأولية النور المحمدى السابق من هذا؟ وأين هذا القول من قوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، وقوله: ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، وغيرهما من الآيات؟؟

نعم، تكلم الحامد الفقي وقال "هذا من البدع والجهالات، والأمور النى حاربها شيخ الإسلام وأنكرها طيلة حياته "فى التعليق على كتاب العقود.ونحن نقول: هب أنها "من البدع والجهالات" عند التيميين المعاصرين كما قال الفقى، فما حكم هؤلاء الرجال وهم من كبار تلاميذ ابن تيمية حتى قرن ابن عبد الهادى ذكرهم مع التجبيل والتوقير فى الكتاب المذكور؟

كم كتابا ألفوا فى الرد عليهم؟ ثم كيف يثق الناس بأن شيخ الإسلام حارب تلك البدع وها هى صادرة من أقرب الناس إليه- من علماء الفقى المعلق؟؟ وهل رأيت الآن كيف فاق هؤلاء أمر من يرمون بالغلو من أصحاب القصائد والمدائح النبوية؟؟

الإمام القرطبي والصوفية

الإمـام أبـو عبـدالله القرطبـى رحمـه الله لـه أقـوال وردور قاسـية علـى التصوف والصوفية كما يوجد ذلك فى مواضـع من تفسيره وبمـا يفيد ظاهره الإنكارعلى سلوك الطائفة.وقد ينقلها الأعداء حتَّى أننى سمعت بعضـهم يستدل بها فى التشنيع عليهم، جهلا منه بمراده ومقصـده ومن ثم رأيت التنبيهات التالية:

(١) القرطبـى يـتكلم خصوصـا عـن جماعـة جهلـة مـن الصـوفية كمـا يظـهر من كلامه وليس عن جميع الصوفية.

(٢) قد يعترض القرطبى علـى فهم الصـوفية عند المعارضـة مع مـا عنده من الأدلة، فيذكره ويرده ولا يعنى ذلك أنه يطعن فـى دين الصـوفية أو فـى عقيدتهم.ولو كـان كذلك لمـا احـتج هـو بهم فـى نفس تفسيره كما سنضرب عليه الأمثلة.

(٣) من استدل بقول القرطبى واعتراضه على الصوفية ممن يبدّعهم نقول له: القرطبى عندكم جهميٌّ معطّل، فهو أشعريّ العقيدة كما هو مالكيّ المذهب وتفسيره مليئ بالتأويل وحمل آيات الصفات المتشابهة على ما يليق بجلال وكمال الله تعالى وفقا لمنهج الأشاعرة.

وكذلك يؤمن ويقول برؤية – النبي ﷺ يقظة بعد انتقاله وهذا من أشد البدع عندكم بل هو محض الضلال!

نماذج من طعن القرطبى على الصوفية

(١) قال تحت قوله تعالى (وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة، البقرة: ٢٨٣): الثالثة: كما أمر الله تعالى بالكتب والإشهاد وأخذ الرهان كان ذلك نصا قاطعا على مراعاة حفظ الأموال وتنميتها، وردا على الجهلة المتصوفة ورعاعها الذين لا يرون ذلك، فيخرجون عن جميع أموالهم ولا يتركون كفاية لأنفسهم وعيالهم، ثم إذا احتاج وافتقر عياله فهو إما أن

يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهم، أو أن يأخذ من أرباب الدنيا وظلمتهم،وهذا الفعل مذموم منهى عنه اهـ راجع الجامع لأحكام القرآن (٤١٧/٣).

(٢) قال تحت قوله تعالى (آتنا غدائنا...) (الكهف:62) فيه مسألة واحدة،وهو اتخاذ الزاد فى الأسفار، وهو رد على الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون المهامة والقفاز، زعما منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، هذا موسى نبي الله وكليمه (عليه السلام) من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد اهـ فى (١٣/١١) من تفسيره.

(٣) قال عند قوله تعالى (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما... الكهف: ٧٧)... الرابعة فى هذه الآية دليل على سؤال القوت، وأن من جاع وجب عليه أن يطلب ما يرد جوعه خلافا لجهال المتصوفة انتهى فى (٢٤/١١) منه.

(٤) قال القرطبى (١٩٧/١٥) تعليقا على قوله تعلى (ردوهل علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق، ص:٣٣) ما نصه: **قلت**: وقد استدل الشبلي وغيره من الصوفية في تقطيع ثيابهم وتخريقها بفعل سليمان هذا. وهو استدلال فاسد، لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبى معصوم أنه فعل الفساد: والمفسرون اختلفوا فى معنى الآية، فمنهم من قال: مسح على أعناقها وسوقها إكراما لها وقال:أنت فى سبيل الله، فهذا إصلاح. ومنهم من قال: عرقبها ثم ذبحها، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز، وقد مضى فى "النحل" بيانه. وعلى هذا فما فعل شيئا عليه فيه جناح. فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فإنه لا يجوز اهـ.

هذه بعض الأمثلة. ففى الثلاثة الأولى صرح القرطبى وعين مقصوده بقوله "الجهلة" أو "الجهال" وهم الذين رأينا ردود العلماء عليهم فيما سبق من هذا الكتاب وعلى غلوهم – بما فيهم السادة الصوفية. فالقرطبى لم يأت بجديد.

أما الشبلى، فلم يقصد بالإعتراض عليه الطعن فى دينه أصلا، وإلا لم يعتدّ بكلامه فى تقسير كتاب الله تعالى فيما يأتى.

فقوله "وأما إفساد ثوب لا لغرض صحيح فإنه لا يجوز" لا إشكال فيه بحال من الأحوال لما فعل من تقييده بقوله "لا لغرض صحيح". فنحن نعلم أنه صاحه قد يفسده لغرض صحيح لا يظهر للرائى فلا يكون عليه من حرج حينئذ(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب).

نماذج من استشهاد القرطبى بالصوفية

لندل على ما قلناه ننقل شيئا مما أورده القرطبى من أقوال علماء الصوفية واعتمد عليه فى تفسير القرآن الكريم .

(١)- قال (398/١) عند قوله تعالى (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون، البقرة: ٥٢): الرابعة: فى عبارات العلماء فى معنى الشكر فقال **سهل بن عبد الله**: الشكر: الإجتهاد فى بذل الطاعة مع الإجتناب للمعصية فى السر والعلانية... وقال **الجنيد** حقيقة الشكر العجز عن الشكر وعنه قال كنت بين يدى **السري السقطي** ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر؟ فقلت ألا يعصي الله بنعمه فقال لي: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك.قال **الجنيد**: فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها **السري** لي. وقال **الشبلي** الشكر التواضع والمحافظة على الحسنات ومخالفة الشهوات وبذل الطاعات ومراقبة جبارالأرض والسموات وقال **ذو**

النـون المصـرى أبـو الفـيض الشـكر لمـن فوقـك بالطاعـة ولنظيـرك بالمكافأة ولمن دونك بالإحسان والإفضال اهـ.

فأنت ترى استدلاله المفصَّل بأقوال كل من **الجنيد، والسقطي وذى النون المصرى** بل وحتى **الشبلي** الذى ردعليه آنفا-ليدل على أن فعله مخالف لما عليه من يستدلّ بكلامه على الصوفية ويطعن فى عقيدتهم ويصرّ على تبديعهم و حتى تكفيرهم!

(٢)عنـد قولـه تعالى(ولقـد همـت بـه وهـم بها،يوسـف: ٢٤)قـال بعـد كلام:ولذلك **قـال علمـاء الصوفية**:إن فائدة قولـه "ولمـا بلـغ أشده آتينـاه حكمـا وعلمـا (يوسـف: ٢٢) إنمـا أعطـاه ذلـك إبـان غلبـة الشهوة لتكون له سببا للعصمة اهـ.

(٣)عند قوله تعالى (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، التوبة: ٣٥) قال: **وقال علماء الصوفية**:لما طلبـوا المـال والجـاه شـان الله وجوههم،ولمـا طـووا كشـحا عـن

الفقير إذا جالسهم كويت جنوبهم، ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتمادا عليها كويت ظهورهم اهـ.

(٤) قال عند قوله تعالى: (ومن الناس من يؤمن بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، البقرة: ٨)... : **وقال علماء الصوفية**: الناس إسم جنس، واسم الجنس لا يخاطب به الأولياء اهـ.

(٥) عند قوله تعالى (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث، يوسف: ١٠١) قال: **وقال سهل بن عبدالله التستري**:

لايتمن الموت إلا ثلاث: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه، أو مشتاق ومحب للقاء الله عز وجل اهـ. راجع الجامع (٢٦٩/٩).

(٦) وأخيرا قال عند قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا، التحريم: ٨)... **وقال سهل بن عبدالله التستري**: هى

التوبة لأهل السنة والجماعة، لأن المبتدع لا توبة له، بدليل قوله ﷺ: (حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب) اهـ.

قلت:فالحمدلله الذى بنعمته تتم الصالحات.

التحدّيّات التى تواجه الصوفية فى العصر الحديث

لخصها العلامة محمود صبيح على موقعه فنقلتها بحروفه ولى إليها إضافات تأتى وها هى كلماته:

(١) الصوفية هم نسيج الأمة "تداعى عليكم الأمم" فلا بد من تداعى الأمم على الصوفية.

(٢) اختراق الفرق والطوائف للصوفية فى محاولة لإضعاف الصوفية وتضييع الهوية الصوفية.

(٣) غياب الشيخ المسلك والشيخ المربي.

(٤) ضعف حالة المريدين بسبب غربة الزمان وكثرة الفتن وزيادة أعداد أهل الأهواء.

(٥) عدم تجاوب بعض الصوفية للتغيرات الحارثة فى المجتمع.

(٦) نمو بعض الكيانات نموا خبيثا والعياذ بالله فى جسد أهل السنة مثل المتمسلفة والروافض والبهائية وغيرهم.

(٧) الخلط فى المفاهيم مثل إحلال مفهوم التقارب مع الطوائف المسلمة الأخرى بدلا من مفهوم التعايش وشتان، فلن ترضى الشيعة بديلا عن التشيع، ولن ترض المتمسلفة وأتباع ابن تيمية عن التمسلف بديلا ولن ترضى الإخوان المسلمون عن الإنخراط فى سلكهم بديلا، ويصبح الصوفى هو الوحيد الذى يحاول الجميع احتراقه وتجنيد أكبر عدد منهم وبأسلوب التجنيد أو التحييد أو التجميد أو إلقاء الشبه عليه.

مشاكل عند بعض الطرق الصوفية

(١) موت كثير من الأئمة الكبار وتوريث الطريقة لأجيال ليست بنفس القوة وبعضهم مخترق من بعض الإتجاهات.

(٢) قد يكون فى بعض الأحوال المريد أقوى من شيخه

(٣) عدم تأصيل قواعد الصوفية عند المريدين وعدم معرفتهم بالأدلة اللازمة فيما هم عليه.

(٤) فهم الأمور القدرية والمكتوبة على الأمة وكيفية التعامل مع الأقدار.

(٥) عدم فهم آداب الوقت.

انتهى ما لخصه. وزدت عليه ما انتهى إليه بصرى وفكرى من خلال البحبث والملاحظة فى البيئة التى أعيش فيها ومنها الخاصة بالمشايخ وهى:

(١) ضعف الكثير فى بعض الفنون – ولا سيما الحديث– وبالتالى عجزهم عن إفحام الخصوم فى الحوارات العلمية.

(٢) ظاهرة استغلال المريدين من بعض الشيوخ

(٣) إيثار الخدمة النفسية على خدمة الدين والإنفاق على الأمة المحمدية.

(٤) الطعن فى شخصيات الخصوم وقبول الشائعات عنهم كرد فعل وكحملة معاكسة.

(٥) عدم الإنصاف فى معاملة الخصوم عامة، وفى أحوال الرد عليهم خاصة.

(٦) التساهل فى الزجر عن اشتغال العوام بسفاسف الأمور كسماع آلات اللهو المعاصرة والموسيقيات ونحو ذلك مما صار-للأسف وعلى تفاهته- كنوع سلوك لكثير من الشباب.

(٧) التساهل فى حث الشباب على طلب العلم.

من الخاصة بالمريدين:

(١) كراهية الطلب للعلم أو التكاسل الدؤوب عن التعلم بين شباب الطريق.

(٢) التعصب الممقوت فى التعامل مع فتيا وأقوال العلماء خارج الطريق وهذه ظاهرة عامة فى جميع الفرق.

(٣) اشتغال العوام بسفاسف الأمور كسماع آلات اللهو المعاصرة والموسيقيات ونحو ذلك مما صار-للأسف وعلى تفاهته- كنوع سلوك لكثير من الشباب.

التحدّيّات العامة:

(١) نمو الفرق الضالة وأصحاب الدعاوى الكاذبة فى التصوف وهى ظاهرة قديمة .

(٢) رفض التنظيم المعاصر فرارا من الإقتدا بالطرف المقابل.

(٣) التخلف عن التنافس مع المخالفين فى بث الآراء والأفهام السليمة عن طرق تصنيف الكتب والرسائل ونشر المقالات وإلقاء المحاضرات وإذاعتها فى وسائل الأعلام وكذا تكوين وإنشاء أجهزة خاصة بذلك.

(٤) عدم تجنيد الخدام الأغنياء لجمع الأموال نحو تنفيذ الخطط الداخلية للتطور الذاتى كما يفعل الجانب الآخر .

(٥) عدم كيان أو نظام قائم بتشجيع الشباب في التعلم عن طريق تمويلهم كي يصبحوا – يوما ما – ورثة الشيوخ الأكابر بعد ذهابهم.

(٦) عدم المراكز العلمية للبحوث الخاصة بالجانب الصوفي.

(٧) ندرة الوقوف على كتب قيمة ألفها علماء صوفية محققون – أمثال الغماري والكوثري – والتي فيها ما يكفي ويشفي في رد الشبهات الطارئة لقلة التمويل نحو نشرها.

(٨) التخلف الهائل عن نشاطات خاصة لتقديم المساعدة الإقتصادية والإجتماعية للمجتمع الوطني حتى يرغّب المؤلفة قلوبهم في الرجوع إلى حضن الإسلام.

تنبيه: هذه المشاكل ملحوظة من بعض المشايخ والمريدين وليس جميعهم.

معنى حديث "كل بدعة ضلا لة"

تقدم فى "الفوائد" أن الحديث المروى عند أحمد وأبي داود والترمذى وغيرهم **عام مخصوص** كما قال العلماء فى شرحه. ففى التعليق على حديث "من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها" قال النووى (١٠٥/١٠٤/٧) و (٤٦١/٣): و فى هذا هذا الحديث تخصيص قوله ﷺ: "كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلا لة، "وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة. وقد سبق بيان هذا فى كتاب صلاة الجمعة وذكرنا هناك أن البدع خمسة أقسام: واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة اهـ.

فدل قوله على خطأ المبتدعة وعلى أنه ليس كل محدثة باطلة، كما أنه ليس كل بدعة مذمومة كما يقولون زعما منهم أن ذلك عمل بالنص الشريف وهم عنه بعيدون (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب).

وهذا الذى قاله النووى مأخوذ من قول سيدنا عمر رضى الله عليه "نعمت البدعة هذه" كما ذكره نفسه.

وقد قسم البدعة قسمين قبله الإمام الشافعى رحمه الله انطلاقا من قول عمر المذكور واستدل بذلك الأئمة بعده – العز بن عبد السلام، الحافظ ابن عبد البر،وابن حجرالعسقلانى وغيرهم.

قال السيد عبدالله الغمارى فى "إتقان الصنعة" (ص:١٦): ولم يشذ عن هذا الإتفاق إلا الشاطبى صاحب الإعتصام، فإنه أنكر هذا الإنقسام، وزعم أن كل بدعة مذمومة، لكنه اعترف بأن من البدعة ما هو مطلوب وجوبا أو ندبا، وجعله من قبيل المصلحة المرسلة، فخلافه لفظى يرجع إلى التسمية اهـ.

وزاد فى موضع قوله: ولم يأت فيما شذ به بشئ معقول، واضطر آخر الأمر أن يعترف بأن الأمر المحدث ينقسم إلى الأحكام الخمسة،

كما قال سلطان العلماء وغيره، وسماه مصلحة لا بدعة فما صنع شيئا اهـ.

قلت: وحتى ابن تيمية جاء واعترف بـا نقسام البدعة حيث قال فى "قاعدته الجليلة" (٢٥/٢): من تعبد بعبادة ليست واجبة ولامستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع بدعة سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين". اهـ.

و فى (٢٧/٢) قال: وكل بدعة ليست واجبة ولامستحبة فهى بدعة سيئة، وهى ضلالة باتفاق المسلمين.

و من قال فى بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعى على أنها مستحبة،...!اهـ.

قلت: فهذا اعتراف بكون البدعة حسنة أو مستحبة إذا قام عليها دليل شرعى وهونفس قول العلماء ممن قسمها.

والبدعة قسمها الصحابة رضوان الله عليهم بقولهم كما فعل سيدنا عمر حيث أحدث اجتماع الناس فى التراويح على إمام واحد (رواه البخارى1871 والإمام مالك 252،250) وسمى ذلك بدعة بعد الثناء عليه، وسيأتى التفصيل فى ذلك.

ثم قسمها بعمله أيضا لما جعل لفظ "الصلاة خير من النوم"فى نداء الصبح كما فى الموطأ (١٥٦) وزاد سيدنا عثمان النداء الثالث فى صلاة الجمعة (انظر الموطاء أيضا والبخارى 915-912)، وزياد ابن عمر فى التلبية (انظر سنني أبي داود ١٨١٢، والترمذى ٨٢٨) وكان بلال يصلى ركعتين بعد كل وضوء (كما فى البخارى ١١٤٩، ومسلم ٢٤٥٨).

فرفض تقسيمها ليس فيه إلا تبديع الصحابة رضى الله عنهم، والأئمة من السلف الصالح.معاذ الله.

شبهة والرد عليها

دعوى أن قوله ﷺ "من سن سنة حسنة" الخ معناه: "من أحيا سنة نبوية بعد موتها" كذب مكشوف فإن الإمامين الترمذى وابن ماجه ترجم كل منهما لحديث "من سن سيئة" وحديث "من أحيا سنة من سنتى " فى فصلين متغايرين.فخرج الترمذى حديث "من سن سنة حسنة" فى "باب "من دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة الخ"(برقم ٢٨٩٣).

وأتى بحديث "من أحيا سنة الخ"(برقم ٢٨٩٠)فى "باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع".

وابن ماجه خرج الأول فى "باب من سنة حسنة أو سيئة "(برقم ٢٠٣، ٢٠٧)والثانى فى "باب من أحيا سنة" (برقم ٢٠٩، ٢١٠).

فهما حديثان مختلفان على الرغم من تلبيس المبطل وتحريفه للنص الشريف، ومن هؤلاء الشيخ الألبانى كما فى فتاواه.

تحقيق هام لمفهوم السنة

ثم إننا نقلنا هناك قول العلامة محمود على الإنترنت ما منه : السنة التى عناها النبي ﷺ فى قوله (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين) معناها: منهج أو طريق التعامل مع أصول الشريعة وأحكامها، لا يعنى به السنة التشريعية التى هى الأصل الثانى من أصول التشريع؟ لأن الصحابة رضوان الله عليه ليس لهم بعد انقطاء الوحى أن يؤصلوا أصلا إلا على مثال سابق. أو قل: سنة النى ﷺ سنة التأصيل وسنة الصحابة سنة التفريع. فالحديث يشبر إلى أصل تشريعى وهو القياس الذى فى الآية الكريمة (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم إضافة إلى الأصول الثلاثة: الكتاب، والسنة، والإجماع. كما قال الفخر الرازى فى تفسيره.ا هـ.

ثانيا، السنة الأولى فى حديث "من سن فى الإسلام سنة حسنة" فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة" شاملة للمعنى اللغوى وهو

الطريق والمنهج ى الشرعى أيضا على حد التوضيح السابق، أى سنة أو طريقة تفريعية حسنة، فهى سنة بالمعنى اللغوى الحقيقي وسنة أيضا تفريعية بالمعنى الشرعي الذى هو الأهمّ ها هنا.وهذه السنة مرادفة للفظ "البدعة الحسنة" فى كلام العلماء وكما دل عليه الحديث.

وأما السنة الثانية أي فى قوله "سنة سيئة" فهى مرادفة للبدعة الشرعية أو المصطلح عليها والتى لا تزال مذمومة.

فثبت غلط من أول فعل سيدنا عمر "نعمت البدعة هذه" على البدعة اللغوية فى الجمع فى التراويح حيث نسب إليه خلاف ما قصده.

بتوضيح آخر: البدعة اللغوية لا تتضمن مدحا ولا ذما أصلا، حتى تحتاج إلى التحسين بلفظ من الألفاظ. والبدعة الشرعية – أو البدعة فى عرف الشرع – هى المذمومة أصلا كما قال الحافظ ابن حجر، فاستوجب مدحها الإتيان بلفظ التجميل مثل – نعمت، حسنة وهلم جرا كما فعل الخليفة الثانى-عمر- رضى الله عنه.

نقد ما ينسب لمالك من ذم البدعة مطلقا

نقل الشاطبى فى "الإعتصام" (٤٩/١) أن ابن الماجشون قال سمعت مالكا يقول: "من اخترع فى دين الله تعالى بدعة يراها حسنه فقد زعم أن محمدا (ﷺ) خان الرسالة لأن الله تعالى يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا، المائدة:3).

قلت:قد انتقدنا فى "الفوائد" هذا القول المنسوب لمالك بما ملخصه: أن الشاطبى رواه معلقا ولم يذكر سنده المتصل إلى ابن الماجشون.

وثانيا: بفرض ثبوته عن مالك فهو إما محمول على البدعة الشرعية وهى ما خالف أصول الشرع كما وضحه الشافعى وغيره من العلماء وإما على أنه يحاول الإحتياط.(أى تقديره-إن صح عنه-"من اخترع محدثة تصلح أن تسمى فى اصطلاح الشرع بدعة ثم رآها حسنة" فها القول معناه أن الرسول ﷺ خان الرسالة والعياذ بالله وهذا الرجل فعلا مستدرك على الشريعة.

وبدون هذا التأويل يجب تبديع وتضليل الصحابة ومن جاء بعدهم ممن ذكرنا يستحسن البدعة الموافقة لأصول الشرع كالإمام الشافعى وابن عبد البر والعز وغيرهم.نسأل الله السلامة.)

ثالثا:الظاهر أن الشاطبى(790 هـ) يروى هذا عن ابن وضاح المالكى(287هـ) فقد أكثر النقل عنه من كتابه "البدع والنهى عنها" وابن وضاح يرويه عن ابن حبيب(238هـ) تلميذ عبد الملك ابن الماجشون كما فى رواية أخرى.

إذا ما هو حال سند هذا القول؟

أولا،ابن وضاح كان كثير الغلط كما فى سير الذهبى(454/25-455)حتى قالوا إنه ليس بثقة.وانظر اللسان للحافظ ابن حجر(416/5).

أما ابن حبيب فقد قالوا فيه ما يسقط الثقة بروايته.فمن جملة قول الذهبى فى السير(232/98-103):كان موصوفا بالحذق فى الفقه،كبير

الشـأن...إلا أنــه فــى بـاب الروايـة لـيس بمـتقن...ولا يتعـانى تحريـر الحديث...وقال ابن الفرضي كان حافظا للفقه ،نبيلا،إلا أنه لم يكن لـه علـم بالحـديث،ول يعـرف صـحيحه مـن سـقيمه...قال أبـو عمـر الصدفي...وكان يطعن عليه بكثرة الكتب.وكر أنه كـان يستجيز الأخذ بـلا روايــة ولا مقابلة,وأنــه أخـذ بالإجـازة كثيرا.قـال وأشـير إليــه **بالكذب**،سمعت أحمد بن خالد يطعن عليه بذلك،وينتقصه غير مرة.قال وظهر كذبه فى (الواضحة) فى غير شيء،..قال الذهبى –معلقا-وممن ضـعف ابـن حبيـب:أبو محمد ابـن حـزم،ولا ريـب أنـه كـان صـحفيًّا،وأما التعمد فكلا انتهى بحروف الحافظ الذهبى.

قلـت:فالعجـب ممـن يـدعى العمـل بالصـحيح واتبـاع السـلف ثـم يقـدم الشاطبى على أولئك الأعلام ويحتج بنقل من أسقط النقاد روايته! فابن حبيب هذا-سواء كان كذبه عمدا أو سهوا كما اختـار الـذهبى-ليس من الموثوق بمروياته بعد ما ثبت من كثرة غلطاته وضم إلى ذلك مـا قيل

فى ابن وضاح الذى نقل عنه الشاطبى.وعلى ما قلناه فلا حاجة لتأويل كلام مالك أصلا.والله الموفق.

ابن تيمية لا يرخص فى بدعة المعاملة

نقول لمن يقول إن الشرع نهى عن البدعة الدينية فقط ولم يقيد الأمور الدنيوية بأى توقيف ففيها سعة والأصل فيها الإباحة هذا الإحتجاج يرده شبخ الإسلام الذى تدينون الله بأقواله:

فقد قال فى مجموع الفتاوى (21/522-523)ما نصه:

أكل الشوى والشريح جائز سواء غسل اللهم أو لم يغسل؛ بل غسل لحم الذبيحة بدعة فما زال الصحابة – ﷺ – على عهد النبي صلى الله وسلم. يأخذون اللحم فيطبخونه ويأكلونه بغير غسله وكانوا يرون الدم فى القدر خطوطها؛ وذلك أن الله إنما حرم عليهم الدم المسفوح أي: المصبوب المهراق فأما ما يبقى فى العروق فلم يحرمه. ولكن حرم عليهم أن يتبعوا العروق كما تفعل اليهود الذين بظلم منهم حرم عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا. وسكين القصاب بذبح بها ويسلخ فلا تحتاج إلى غسل. فإن غسل السكاكين التى يذبح بها بدعة وكذلك غسل السيوف. وإنما كان السلف يمسحون ذلك مسحا؟ ولهذا جاز فى أحد قولي العلماء فى الأجسام الصقيلة كالسيف والمرأة إذا أصابها نجاسة أن تمسح ولا تغسل وهذا فيما لا

يعفى عنه. فأما ما تعين عدم نجسه فلا يحتاج إلى غسل ولا مسح واليسير يعفى عنه اهـ.

قلت: كم من تلاميذ ابن تيمية من لا يفعل هذه الأشياء؟

أغلى السنة التخلّق بمكارم الأخلاق

1- أخرج الإمام البخارى فى صحيحه (6035) عن مسروق قال: "كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو يحدثنا إذ قال لم يكن رسول الله ﷺ **فاحشا ولامتفحشا** وإنه كان يقول إن خياركم أحاسنكم (أحسنكم) أخلاقا" اهـ.

2- وأخرج مسلم (4632) عن النواس بن سمعان الأنصاى قال سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال" البر **حسن الخلق** والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس" اهـ.

3- وأخرج أبو داود (4798) عن عائشة رضي الله عنها, قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن المؤمن ليدرك **بحسن خلقه** درجة الصائم" اهـ.

4- وعن أبي الدرداء (4799), عن النبى ﷺ قال:" ما من شىء أثقل فى **الميزان من حسن الخلق**" اهـ.

5- وأخرج الترمذى (2133) عن أبي الدرداء أن النبى ﷺ قال "ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من **خلق حسن** وإن الله ليبغض الفاحش البذئ". قال أبو عيسى وفى الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس وأسامة بن شريك, وهذا حديث حسن صحيح.

6- وعنه أيضا (2134) قال سمعت النبى ﷺ يقول "ما من شئ يوضع فى الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة" قال أبو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه.

7- وأخرج عن أبي هريرة (2135) قال سئل رسول الله صلى عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله **وحسن الخلق**". وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال (الفم والفرج).

8 وأخرج عن عبد الله بن المبارك (2136) أنه وصف **حسن الخلق** فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى اهـ.

قلت: وقال النووى فى شرح مسلم (28/8) قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبشر, والتودد لهم, والإشفاق عليهم, واحتمالهم, والحلم عنهم, والصبر عليهم فى المكاره, وترك الكبر والإستطالة عليهم, ومجانبة الغلظ والغضب،

والمؤاخذة اهـ.

فأين المتشددون فى التبديع من هذه الأخلاق الكريمة؟؟

العمل بالحديث الضعيف وبعض الشبهات

قرر العلماء جواز – أو استحباب العمل بالحديث الضعيف فى أحوال ترغيبية بشروط خاصة وقد تعرض هذا القرار لتلاعب مرفوض نعرض شيئا عنه ومما قلناه نقلا من مقدمة كتابنا "التذكار فى تخريج أحاديث النبي المختار" – يسر الله إكماله وطبعه.

فمن قولنا هناك: يجوز العمل بالحديث الضعف فى الرغائب وفى فضائل الأعمال دون الأحكام والعقائد كما قرر ذلك أئمة الحديث منهم الإمام أحمد وعبد الرحمن ابن مهدى وابن الصلاح والنووى وفى ذلك يقول السيوطى فى ألفية:

ومن روى متنا صحيحا يجزم أو واهيا أو حاله لا يعلم
بغير ما إسند أن يمرض وتركه بيان ضعف قدرضوا
فى الوعظ أو فضائل الأعمال لا للعقد بيان ضعف قد رضوا

ولا يشتد ضعف ثم من ضعفا رأى فى سند ورام أن
يقول فى المتن ضعيف قيّدا بسند خوف مجىء أجودا
ولا تضعف مطلقا مالم تجد تضعيفه مصرّحا عن مجتهد اهـ

لكنهم اشترطوا فى ذلك أمورا.

قال العلامة خليل إبراهيم ملاّ خاطر العزّامي

فى "مساواة الحديث الضعيف بالموضوع" نقلا عن الحافظ ص 61:

1-أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفراد من الكذابين، والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه.

2-أن يندرج تحت أصل عام (معمول به من أصول الشريعة) فيخرج ما يخترع، بحيث لا يكون له أصلا.

3- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، لئلا ينسب إلى النبى ﷺ مالم يقله (بل يعتقد الإحتياط)

شبهة حرّانية ونقدها

ادعى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحرّانى أن الحديث الضعيف " عند الإمام أحمد وغيره ممن جوّز العمل به كما تقدم هو الحديث "الحسن" عند الإمام الترمذى، والترمذى -على حد قول ابن تيمية – هو أول من استعمل لفظ " الحسن بين علماء الحديث.... فلم يكن إلا الصحيح والضعيف فى زمن أحمد بن حنبل اهـ.

وهذه الفرية المكشوفة- أبطلها العلامة المحدث محمود سعيد ممدوح فى كتاب التعريف بما حاصله:

1- إن النقول الواردة عن الإمام أحمد نفسه تقضى على دعوى ابن تيمية

2- إن فى مسند الإمام أحاديث ضعيفة وقد ضعف بعضها ابن تيمية نفسه ومنها حديث الخروج إلى المسجد والذى فيه التوسل بذوات الصالحين.

3- إن الإمام أحمد قدم الحديث الضعيف على القياس وجعله الأصل الرابع من أصول مذهبه

4- إن كلا من الصحيح والضعيف على مراتب كما سبق، فتعين وجود قسم بينهما

5- إن المتقدمون كانوا يحتجون بالحديث الحسن فى الأحكام وهذا يعارض كلام ابن تيمية بل ينقضه تماما.

إشكال وحلّه

إذا قيل يعمل بالضعيف فى الرغائب وفضائل الأعمال ما عدا الأحكام فالفضائل أيضا تحت أحكام شرعية فما هو التوضيح لهذا الغموض؟

نقل العلامة اللكنوى فى "الأجوبة الفاضلة " (ص 57) عن الدوانى ما منه قوله:.... بقي هنا شيء: وهو أنه إذا عدم احتمال الحرمة فجواز العمل ليس لأجل الحديث إذ لو لم يوجد الحديث يجوز العمل أيضا، لأن المفروض انتفاءا الحرمة. لا يقال: الحديث الضعيف ينفى انتفاء الحرمة، لأنا نقول: الحديث الضعيف لا يثبت به شيء من الأحكام الخمسة، وانتفاء الحرمة يستلزم ثبوت الإباحة، والإباحة حكم شرعى، فلا يثبت بالحديث الضعيف، ولعل مراد النووى ما ذكرنا؟....

وحاصل الجواب أن الجواز معلوم من القواعد الشرعية الدالة على الإستحباب والإحتياط فى أمر الدين، فلم يثبت شىء من الأحكام بالحديث الضعيف، بل أوقع الحديث الضعيف شبهة الإستحباب، فصار الإحتياط أن يعمل به، واستحباب الإحتياط معلوم من قواعد الشرع اهـ. انتهى النقل المختصر من "التذكار" مع تصرف.

تقسيم التوحيد بدعة باطلة

قال السيد حسن السقاف فى التنديد بمن عدد التوحبد" ص 9-13:

أولا: لا يعرف فى الشرع اطلاق اسم موحد على من كفر ولو بجزء من العقيدة الإسلامية وذلك بنص الكتاب والسنة, بل لا يجوز أن نقوّل الشرع ما لم يقل ولم يرد, بل نطلق عليه أنه **كافر**, بدليل قول الله (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار, الزمر: 3) فقد وصفهم الله تعالى بالكذب وبالكفر, بل وصفهم بصفة المبالغة وهي: (كفار) كما تقول: ضارب وضراب.

فكيف يقال إنهم موحودون توحيد ربوبية والله تعالى تعالى يصفهم بالكفر صراحة؟ !!

ثانيا: هؤلاء الكفار الذين كانوا يقولون فيما وصفهم الله تعالى بقوله (ولئن سألتهم من خلق الله السموات والأرض ليقولن الله) (الزمر 37 ولقمان: 25...)

(و) انما قالوا ذلك عند محاجة النبى ومجادلته إياهم وإفحامه لهم بالأدلة التى تثبت وجود الله تعالى وتبطل إلهية ما يعبدون من دون الله سبحانه ...

ثالثا: أن أولئك الكفار اشتهر عنهم أنهم كانوا يعبدون تلك الأصنام ويحجون لها ويتربون إليها (واتخذوا من دون الله بلهة لعلهم ينصرون) يس – 74, ...

رابعا: **ابن تيمية** الذى اخترع تقسيم التوحيد إلى ألوهيه وربوبية يقول إن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية وأن المسلمين الذين يخالفونه فى آرائه كذلك وحدوا ربوبية ولم يوحدوا ألوهية, فهو يكفرهم بذلك, وهذا مراده من التقسيم.

وهل يعقل عاقل أو يقو إنسان بأن فرعون الذى كان من جملة المشركين كان يوحد ربوبية ولا يوحد ألوهية؟

وهو الذى يقول (ما علمت لكم من إله غيرى القصص 38, كما أنه هو القائل (أن ربكم الأعلى) النازعات: 24) ولوكان يقر بالربوبية لما قال (أنا ربكم الأعلى) بل لقال: أنا إلهكم الأعلى) اهـ بتصرف.

قلت:هذا كله إبطال للتقسيم المذكور من حيث الأدلة القرانية وهو كاف إن شاء الله على طريق الجدل والحوار العلمي السليم البسيط.

وأزيد دليلا واحدا من السنة النبوية فأقول: روى الإمام مسلم (برقم 5117) عند قوله تعلى(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) قال ﷺ: نزلت فى عذاب القبر فيقال له **من ربك** فيقول ربي الله ونبيي مُحَمَّد ﷺ اهـ.

قلت:فلماذا يكتفى بإقرار الربوبية ها هنا ولا يذكر الألوهية لو كانت بدعة التقسيم صحيحة؟؟ (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا).

وفى كتاب "حتى لا تحرم (ص 365- 466): وقال صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن مُحَمَّد عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (البخارى 1267/3) عن عبادة)

وقال ﷺ أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة (مسلم 55/1 عن أبي هريرة) أما من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

1-توحيد الألوهية

2- توحيد الربوبية

1- توحيد الأسماء والصفات

وحديثا قالوا أن هناك نوعا من التوحيد اسمه توحيد الحاكمية، وبذلك لم يصبح التوحيد ثالوث بل رباعى!!! نقول لهم: ما دليكم؟ كل شىء صغر أو كبر تقولون أين الدليل؟ ومن حقكم؟ فى أى آية. وفى أي حديث قال الله ورسوله: التوحيد ثلاثة أجزاء؟ ومن قال ذلك من الصحابة؟ ومن قال ذلك من التابعين؟ ومن وافق ومن عارض؟

أليس هذا التقسيم بدعة؟

أم أنها خطوة للسيطرة على عقول الناس؟ أم أنها وسيلة لاعتلاء المنابر؟ دريتم أم لم تدروا .. هذا جزء من خطة الشيطان، وأنتم مشاركون فيها بالنصب الأوفر. من وجد كلمة للإمام أبى حنيفة أو مالك أوالشافعى أو أحمد بن حنبل فليبرزها... ولن يستطيع. صدق رسول الله ﷺ الذى أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وكشف الغمّة، وهدى الله به هذه الأمة، وكذب من نسب إلى الله ورسوله مالم يأت فى قرآن أوسنة صحيحة اهـ.

حقائق فى العقيدة

ذكر حقائق تخفى على الكثير فى موضوع العقيدة.

خطأ الإمام ابن كثير فى القول بالجهة

كما تقدم، الإمام ابن كثير رحمه الله عالم كبير وصاحب تصانيف مفيدة إلا أنه ابتلى بشيء من بلايا ابن يتمية.وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك من الحافظ ابن حجر عند ترجمته فى الدرر الكامنة (125/1).

وقال السيد عبدالله الغمارى عن التفاسير المتداولة: تفسير ابن كثير سلفى متشدد فى سلفيته، يعنى لذكر الأحاديث الواردة فى موضوع الآية مع بيان رتبتها غالبا.ويذكر أقوال الصحابة والتابعين، وينبه على الإسرائليات وقد يقصر فى بعض الآيات: فلا يستوفى الكلام عليها كما ينبعى، ومن تشدده فى سلفيته: أنه جعل قوله تعالى (**وهو الله فى السموات) جملة مستقلة، وقوله تعالى (وفى الأرض يعلم سركم وجهركم)، جملة مستأنفة، لبيان شمول علم الله لجميع المخلوقات، وحكى الإجماع على أن الله فى السماء، ووسم من قال خلاف ذلك بأنه من الحشوية وهو متأثر بابن تيمية** اهـ. راجع بدع التفاسير (ص 158).

ابن القيم وزيادته فى العقيدة

أورد فى اجتماع الجيوش الإسلامية (55/1) عن مسند الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فى قصة الشفاعة وفيه قوله ﷺ فآتى ربي فأجده على كرسيه أو سريره **جالسا**.

قال الشيخ حسن السقاف فى اللتعليق على العلو للذهبى ص 11:

قلت:لفظة (**جالسا**) زادها ابن القيم من كيسه ولا وجودلها فى الحديث فى المسند (282،296/1 !! فهذه من جملة وضعه فى الحديث!!!

قلت: الذى وقفت عليه فى نسختى-وهى موافقة لثلاث طبعات- (295/1-296) هو فأرى ربي عز وجل، وهو على كرسيه أو سريره فأخر له ساجدا" وفى أخرى (281/1) فأتى ربي عز وجل على كرسيه أو سريره"

فلفظ "الجلوس" لم يأت إثباته الله تعالى فى حديث صحيح سوى الذى جاء به ابن القيم.

وقد ذكر حديثا عن أبي هريرة ونسبه لعبد الرزاق فى المصنف وفيه" فإذا نزل أي -الله تبارك وتعالى – إلى سماء الدنيا **جلس على كرسيه**.. فإذا كان عند الصبح ارتفع **فجلس على كرسيه** ثم قال، رواه أبو عبد الله فى مسنده وروي عن سعيد مرسلا وموصولا" اهـ.

ولم أجد هذا لا فى المسند ولا فى المصنف ! تعالى الله عن ذلك علوّا كبيراً.

من أخطاء الذهبى والألبانى فى احاديث العقيدة

1- أورد الذهبى فى العلو برقم (77) حديثا فيه أن "الله تعالى بعد ما خلق الله السموات نزل إلى الأرض فدحاها" وعزاه للبخارى فى الصحيح -ولا وجود له فيه -!وللعجب أن الألبانى سكت عنه فى مختصر العلو (94) بل قال: وكذا البيهقى فى الأسماء والصفات، وأبو الشيخ فى العظمة.وهو كما قال حسن السقاف عند الطبرانى (1.448) عن شيخ كذاب هو أحمد بن رشدين المصرى قال الحافظ فى اللسان (594/1): قال ابن عدي كذبوه وأنكرت عليه أشياء اهـ.

قلت:أما قول الألبانى إن البيهقى رواه فى الأسماء والصفات وكذا أبو الشيخ فى العظمة فالأثر خرجه البخارى فى الصحيح دون زيادة "ثم نزل إلى الأرض".

نعم،صحيح أنه عند هؤلاء لكن الملحوظ هو أن البخارى علقه عن المنهال عن سعيد بن جبير هكذا.

وأسانيد كل من البيهقى وأبى الشيخ والطبرانى فيها رواية زيد ابن أنيسة عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهمم. وزيد هذا مع كونه ثقة إلا أن في حديثه بعض النكرة. قال الحافظ فى تهذيب التهذيب (3/ 343) بعد ذكر توثيق ابن معين والعجلى وابن حبان له: وحكى العقيلى عن أحمد

أنه قال حديثه حسن مقارب وإن فيها لبعض النكارة وهو على ذلك حسن الحديث. اهـ.

وقال الذهبي فى الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لايوجب ردهم (96/1): ريد بن أبي أنيسة ثقة حديثه فى الأصول قال أحمد فى حديثه بعض النكارة اهـ.

واستنتج الحافظ فى التقريب(222/1) بقوله: ثقة له أفراد من السادسة مات سنة تسع عشرة وقيل سنة أربع وعشرين وله ست وثلاثون سنه اهـ.

قلت: وهذ اللفظ ما عدل عنه البخارى إلا لما قيل فى حديث زيد.

أما الطبرانى فهو يروى عن شيخ كذاب مباشرة بما أغنانا عن الكلام فى سنده إضافة إلى نكارة حديث زيد! وررقنا الله الإنصاف.

2- أورد الذهبى (ص 140) عن أبي هريرة قوله: قال رسوله الله ﷺ: كان ملك الموت يأتى الناس عيانا فأتى موسى عليه السلام فلطمه فذهب بعينه، فعرج إلى ربه عز وجل الحديث...

قال السقاف تعليقا عليه: وقد بحثت فى جميع الكتب الحديثة التى بين يديّ فلم أجد هذه اللفظة فيها ! والذى فى صحيح مسلم (2372) ومسند أحمد (315/2، 351) من حديث همام عن أبي هريرة: فرجع الملك إلى الله اهـ.

قلت: الموجود فى المسند (7634) هو لفظ: "**فرجع إلى ربه عز وجل**. وكذا فى صحيح مسلم (4374).

3- أورد الذهبى أيضا (برقم 186)حديثا فيه " إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد"وعزاه لمسلم ولا وجود له هناك كما اعترف بذلك الألبانى فى مختصر علوه.

4- ذكر حديث "اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى الله كأنها شرارة" وقال غريب وإسناده جيد (وذلك برقم 38). ولفظ الحديث كما فى المستدرك (29/1، وا/83(81) هو :"فإنها تصعد إلى السماء" وهو صحيح مفسّر بقوله "اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب" رواه البحارى (1496، 4347،2448) ومسلم (19) والترمذى (2147/32/8) و(3598) وابن ماجه (1752) وابن حبان (874/158/3)

6-وكذلك زاد الذهبى لفظة ت"وكان الله على العرش" فى حديث برقم (112) أو (132) من نسخة الشاملة وليس فى أصل

الحديث كما فى 2953 / 6982/4125/4107/6868 من الصحيح. وتبعه على ذلك الألبانى فى مختصر العلو بقوله: هذا حديث صحيح قد خرجه البخاري فى مواضع!

قلت:هاك نص الحديث: عن عمران بن حصين ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتى بالباب، فأتاه أناس من بنى تميم، فقال: " اقبلوا البشرى يابنى تميم" قلوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذلم يقبلها بنو تميم" قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض فنادى مناد: ذهبت ناقتك يااابن الحصين، فانطلقت، فإذا هى يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أنى كنت تركتها اهـ.من الصحيح الجامع.

وصلى الله على من جاء رحمة للعالمين وعلى آله أجمعين.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.نفعنا لله ونفع به الفقير إلى مولاه:مُحَمَّد البشير بن عثمان بن مُحَمَّد البشير

وكان الفراغ منه مساء الأحد 23/ من ربيع الثاني 1435 اهـ